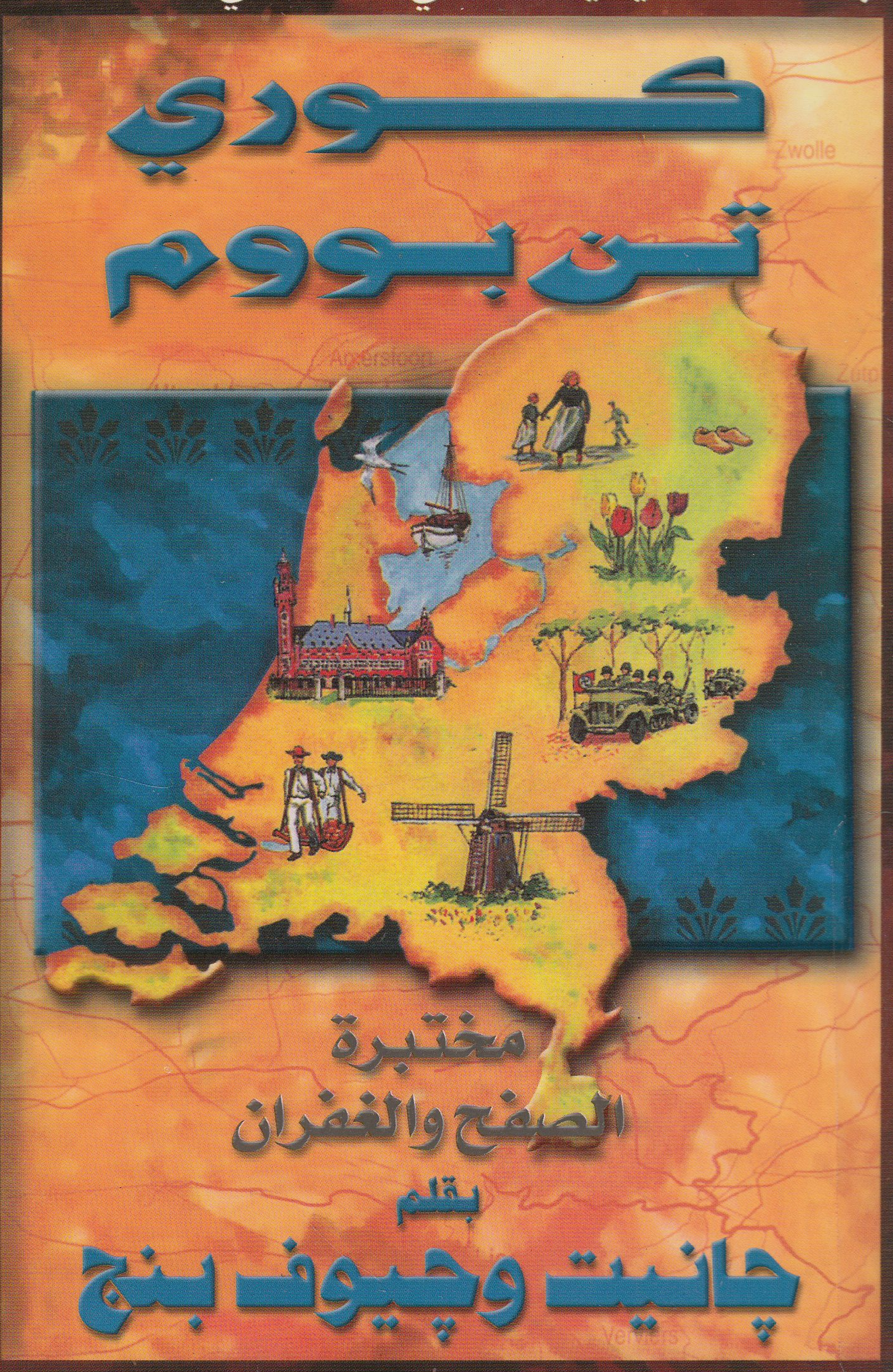
أبطال المسيحية : في الماضي والحاضر

كوري تن بووم



مختبرة الصفح والغفران

بقلم

چانيت وچيوف بنج

أبطال المسيحية: في الماضي والحاضر

كوري تن بووم

حارسة جُب الملائكة

المؤلف

جانيت وجيوف بنج

ترجمة

إدوارد وديع



طبعة أولى ديسمبر ٢٠٠١

كوري تن بووم | English Title:**Corrie ten Boom**

حارسة جُب الملائكة | **Keeper Of the Angels Den**

المؤلف: جانيت وجيوف بنج | Author :**Janet and Geoff Benge**

ترجمة: إدوارد وديع

الناشر باللغة العربية:- | Arabic Publisher:

مكتبة المنار | Lighthouse Book Center

١٧ش مراد الشريعي | 17,Murad El-Sherei st.,

سانت فاتيما ـ مصر الجديدة | Saint Fatima. Heliopolis, Cairo, Egypt.

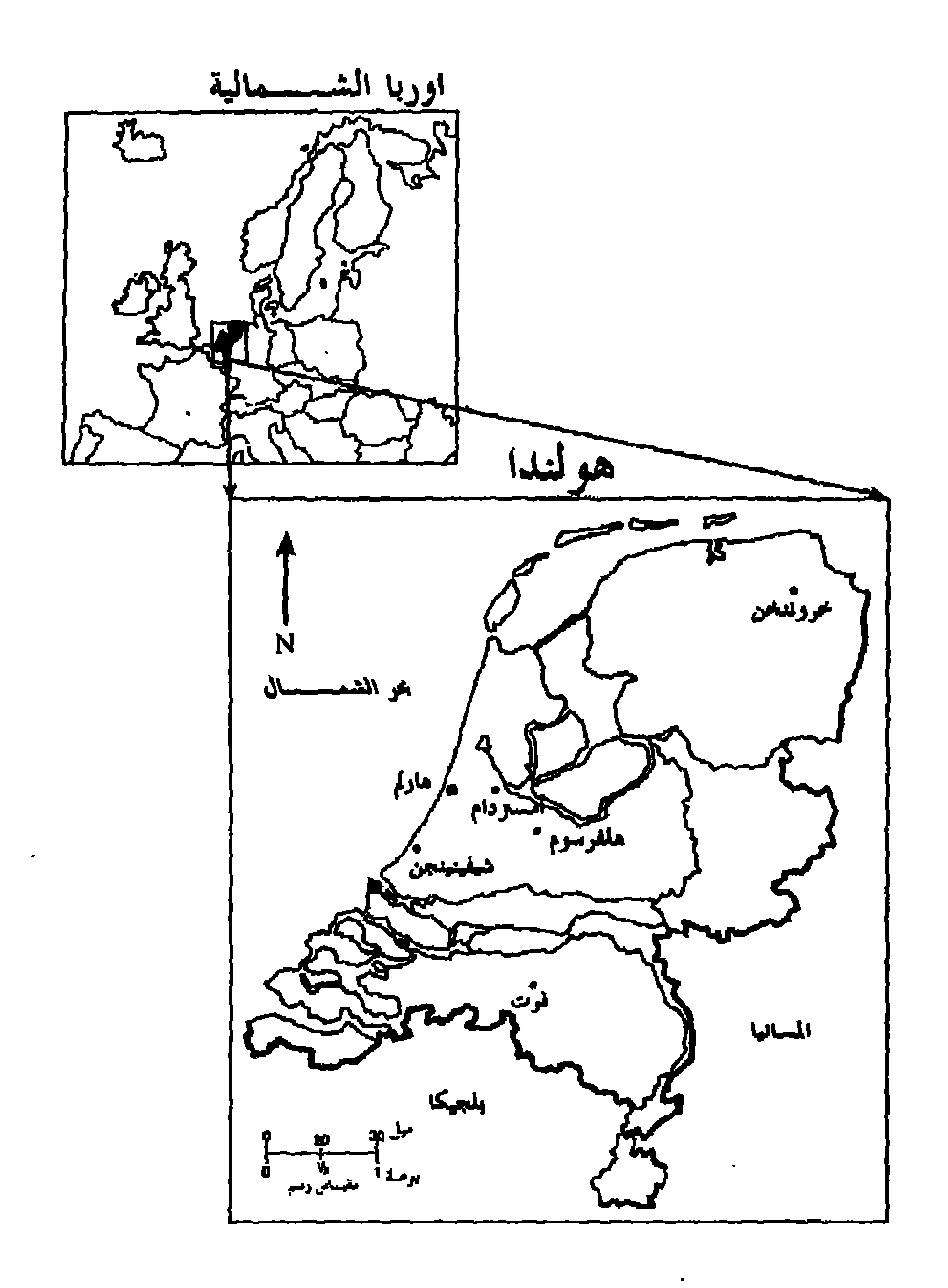
تليفون: ٦٣٩٥٠٣٠ (٠٢) | Tel: (02)6395030

فاكس: ٢٤٠٣٨٤٨ (٢٠٢) | Fax: (202)2403848

Mobil: 012/3233352

رقم الإيداع : ٢٤١٠ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولي : 977-5674-63-8



اوربا الشمالية
هولندا
N
بحر الشمال
هارلم
امستردام
هلفرسوم
المانيا
بلجيكا
0 20 30 ميل
0 ½ 1 بوصة
مقياس رسم

المحتويات

الفصل الصفحة

الفصل الأول

معاون لليهود

كـان القـيدان الحـديديـان الباردان يؤلمان معصمي كوري. وكان ذراعهـا الأيسـر مقـيداً بسلسـلة مـع أختها الأكبر بتسي، وذراعها الأيمن مقـيداً بسلسـلة مـع أبيها، وكل منهم كان مقيداً مع شخص آخر. وكانت السلسـلة الـتي تـربط المقيدين معاً تتدلى إلى الأرض بطول الزقاق المؤدي إلى Smedestraat. كـان ثـلج الصباح قـد ذاب وتحـول إلى برك رمادية اللـون فـوق الأحجـار المسـتديرة. ومـع كل خطوة، كان الماء المثلج يحدث طرطشـة عـلى سـاقي كوري. كان أحد أفراد الجستابو* المرافق للمجموعة يصيح في المسجونين بالألمانية، محاولاً أن يجعلهم يتحركون بسرعة أكبر، وكـان ذلـك أمـراً يسـتحيل تنفـيذه. كـان الوقـت بعـد حظر التجول بمدة طويلـة، ولم يكـن هـناك أي شـعاع ضوء في الشارع. كان كل ما تستطيع كـوري أن تفعلـه أن تحفـظ توازنهـا هـي وأبوها حتى لا يسقطان. لم تكن هـناك وسيلة تمكنهم من الإسراع في المسيرة لتحقيق رغبة سجانهم الألماني الجنسية. كـان والـد كـوري الـذي يـبلغ مـن العمـر ٨٤ سنة لا يستطيع بالطـبع أن يسـرع أكـثر مـن ذلـك، وكذلـك كـوري الـتي كانـت مريضـة بالأنفلونـزا. كـان الجـنود قـد شـدوها مـن فراشـها، وكانت تشعر بضعف

---

* الجستابو هو البوليس السري للنازي (المترجم)

شديد حتى أنه مع كل خطوة كانت تخطوها، كان عليها أن تقاوم الدافع للاستسلام والسقوط فوق الأحجار المبللة الباردة.

عندما تركوا الزقاق في اتجاه Smedestraat، تساءلت كوري إن كان بمقدورها رؤية الـ Beje، المنزل الذي عاشت فيه طوال حياتها تقريباً. هل يمكنها مرة أخرى أن تصلح الساعات في الدكان الذي يقع بالطابق الأرضي فيه؟ وهل يمكن لدخان سيجار والدها والرائحة اللذيذة لخبز بتسى المخبوز لتوه أن يملآ أرجاء المنزل مرة أخرى؟

لم يستغرقوا وقتاً طويلاً كي يصلوا إلى هدفهم: مقر شرطة هارلم. طوال حياة كوري، كان مقر الشرطة بالنسبة لها مكاناً للأمان والحماية. إنه المكان الذي تذهب إليه طلباً للعون، أو لتبلغ عن كلب ضال وجدته في زقاق، أو لتسأل عن كيس نقودك أو محفظتك الضائعة، ولكنه الآن قد أصبح المكان الذي يؤخذ الناس إليه ولا يسمع أحد عنهم مرة أخرى، إنه مكان الخوف والخداع حيث ترتكب جرائم بشعة لا يمكن الإفصاح عنها. في هذه الأيام، يتجنب سكان هارلم مقار الشرطة بأي ثمن. عصر الخوف والفزع معدة كوري عندما فتح الباب الخشبي الكبير وزج بالمجموعة إلى الداخل.

تسبب وميض الأضواء العالية في إيلام عيني كوري المتورمتين والمسودتين عندما اقتيد طابور المساجين المقيدين عبر دهليز نحو مبنى الجمنازيوم القديم في خلفية المبنى. كانت أرضية الجمنازيوم مغطاة بحصر غير سميكة، كانت تجلس عليها أو تنام فوقها مجموعات صغيرة من

الناس المتعبين والملطخين بالدماء أو الذين يعانون من كدمات وسحجات. كان من الواضح أن كوري وعائلتها ليسوا أول المساجين الذين تم جمعهم ذلك المساء. أولئك الذين كانوا ينامون على الحصر نادراً ما كانوا يتحركون. كان بعضهم ينظر إلى المجموعة الجديدة من المساجين يقتادون إلى داخل الحجرة. كان من الأفضل لو أن الجستابو لم يعرف من يستطيع التعرف على الآخرين.

أخيراً، أزيلت الأغلال، وتحسست كوري بيديها على وجهها المضروب والملئ بالكدمات. كان الألم لا يزال شديداً، ولكنه سوف يزول. ما كان يهم حقاً أن كوري لم تقدم أياً من المعلومات التي حاول ضابط الجستابو أن يستخرجها منها. كان سر "جب الملائكة" في أمان. لهذا، كانت ماري شاكرة. كانت القليل من الجروح والكدمات ثمناً بسيطاً يدفع لإنقاذ حياة ستة أشخاص مختبئين داخل الحجرة السرية.

كانت كوري تتوق للرقاد فوق إحدى هذه الحصر الرقيقة على الأرض لتنام. فقد جعلت الأنفلونزا كل مفصل في جسدها يؤلمها، وكان زورها خشناً وملتهباً، وكان صدرها يرتفع مع كل نفس تأخذه. ولكن بدلاً من السماح لها بأن ترقد على حصيرة، دفعها الحراس الألمان نحو صف من الناس كان يمتد حتى يصل إلى مكتب وحيد في الطرف البعيد للغرفة. وعندما تواصلت الدقائق حتى وصلت إلى ساعات، استندت كوري إلى حائط وتساءلت عما إذا كان بمقدورها أن تظل واقفة لمدة أطول. كان

جسدها يهتز، بسبب تأثير الأنفلونزا وبسبب الصدمة التي أصابتها لِما كان يحدث. كانت خائفة، أكثر من أي وقت مضى في حياتها.

أخيراً وصلت إلى آخر الصف. سُئلت عن إسمها وعمرها وعنوانها وأسماء أقاربها، والأنشطة التي اشتركت فيها، وتحركاتها خلال الشهر الماضي. كان يبدو أن الأسئلة تتواصل وتستمر. وعلى الرغم أن كوري كانت مترنحة وضعيفة، إلا أنها علمت أن محقق المخابرات الألمانية (الجستابو) خلف المكتب كان يحاول اصطيادها للأعتراف بشئ ما أو إفشاء سر الحجرة المخفية. كانت تصلي في صمت أن يساعدها الله حتى لا تقول الشئ الخاطئ.

ولما شعر المحقق بالإحباط لعدم قدرته على الإيقاع بها، لوح بيده أخيراً ليدعها تنصرف، ولكن كوري وقفت على مقربة من أبيها الذي كان يُستجوب. أجاب كاسبرتن بووم على كل أسئلة المحقق بوضوح وبافتخار. وبعد لحظات قليلة، دخل ضابط مخابرات ذو رتبة أعلى ونظر إلى والد كوري ثم إلى المذكرات التي كتبها المحقق. حبست كوري أنفاسها. هل هناك شئ خطأ؟

أخيراً تكلم الضابط بلغة هولندية سليمة وليس بالألمانية قائلاً:

"ما الذي يفعله هذا الرجل العجوز هنا؟ إن الرايخ* لا يريد أن يعول كبار السن أو العجزة. يمكنك أن تذهب إلى بيتك أيها الرجل العجوز. فقط

* الدولة أو الحكومة الألمانية (المترجم)

عليك أن تعد بألا تتورط في أي من هذه الأنشطة السرية العديمة المعنى مرة أخرى". كانت هناك نبرة عطف في صوت الضابط.

لاحظت كوري والدها الضعيف وهو يشد نفسه حتى ينتصب. نظر والدها في عينى الضابط مباشرة وأجاب: "لو سمحت لي بالذهاب، ففي صباح الغد سوف أفتح أبوابي مرة أخرى لأى شخص يكون في حاجة لمساعدتي. وإنـي أشفق عليك كثيراً، فعندما تقبض على يهودي مؤمن، فأنت تمس حدقة عين الله".

قال الضابط: "أنت معاون لليهود". وهنا اختفت نبرة العطف من صوت ضابط المخابرات الألمانية، واحمرت وجنتاه بدلاً من ذلك بسبب الغضب".

لاحظت كوري أباها وهو يحني رأسه قليلاً للضابط، كما لو كان الضابط يمتدحه. وعرفت كوري من عيني والدها أنه كان ممتناً. لقد أتهم الضابط للتو كاسبرتن بووم، صانع الساعات في هارلم، بانه معاون لليهود.

قال ضابط المخابرات وهو يزأر: "إجلس مع الآخرين، أيها الرجل العجوز".

كانت أجراس كنيسة بافو قد دقت معلنة الساعة الواحدة صباح ٢٩ فبراير سنة ١٩٤٤، عندما جلست كوري أخيراً على الحصيرة على الأرض. تكومت كوري مع أبيها، وأختيها الأكبر سناً بتسى ونوللى، وأخيها ويليم، وابن أخيها بيتر. وبينما كانت ترقد هناك،

مريضة ومتألمة ومنهكة لدرجة لا تستطيع معها أن تتحرك، كانت كوري تتساءل عما يمكن أن يحدث بعد ذلك. هل سينتهي الكابوس الذي لحق بهولندا؟ هل ستعود الأمور إلى ما كانت عليه من قبل؟ كم كانت تتمنى أن تعود هولندا إلى سابق عهدها جميلة وهادئة ودولة محبة للسلام قبل غزو الألمان لها. كان العنف والبؤس والكراهية والموت يبدو بعيداً تماماً عنها وقتئذاك. كانت للحياة مصاعبها، ولكن تلك المصاعب كانت تبدو قليلة الأهمية مقارنة بتلك التى أجبروا الآن على تحملها.

والآن فهذه المأساة الأخيرة يمكن أن تكلف عائلة تن بووم حياتها. ومع ذلك فعلى الرغم أن كوري كانت خائفة مما هى مقبلة عليه، إلا أن ذلك لم يكن أول مرة تواجه فيها احتمال موتها.

الفصل الثاني

اختراع حديث جداً

"يا كوري، يبدو أن درجة حرارتك مرتفعة. تعالي هنا ودعيني أتحسس جبهتك". مشت كوري البالغة من العمر ١٧ عاماً ببطء نحو أمها. لم تكن كوري تريد أن تعترف بما ألّم بها، ولكن أمها كانت محقة. لقد كانت تشعر بأنها مريضة منذ انتهاء العام الدراسي ولمدة عدة أيام قليلة. قالت أمها: "أعتقد أننا سوف نستدعي الدكتور بلنكر ليفحصك بعد الظهر عندما يأتي ليلقي نظرة على الخالة "بيب Bep" .

أومأت كوري رأسها بالموافقة. كانت الخالة بيب تعاني من مرض السل الرئوي، زمع أنه لم يكن هناك شئ يمكن للطب أن يفعله إزاء مرضها، إلا أن الطبيب كان يأتي مرة في الأسبوع لزيارتها على أي حال.

دقت الساعة الكبيرة في الصالة معلنة الثانية عندما وصل الدكتور بلنكر. أسرع الطبيب صاعداً السلم الضيق الدائري إلى الطابق الثالث حيث كانت الخالة بيب تعاني من نوبة سعال. عندما انتهى الطبيب من فحص الخالة بيب، طلبت أم كوري من الطبيب أن يفحص كوري أيضاً.

جلست كوري على سريرها بينما كان الدكتور بلنكر يمرر يديه على ظهرها، وهو يدق بمقدمة أصابعه كل عدة بوصات. استمع إلى صوت أنفاسها بالسماعة، ثم طرق على ظهرها مرةً أخرى. أخيراً، تنحنح وسأل: "منذ متى شعرتِ بأنكِ مريضة؟".

أجابت كوري: "منذ ما يقرب من اسبوعين"

سألها الطبيب أيضاً: "وهل تشعرين بالضعف والدوار أيضاً؟"

أومأت كوري رأسها بالموافقة.

قال الدكتور بلنكر: "انتظري هنا"، ثم أسرع خارجاً من حجرة النوم وهبط درجات السلم.

انتظرت كوري وتساءلت عما يمكن أن يكون قد ألم بها. مضت خمس دقائق، وأخذت كوري تعد كل دقيقة تمضي وهى ممسكة بالساعة في معصمها. ثم سمعت وقع أقدام على السلالم. كانت تنظر تجاه الباب حين دخلت أمها وأبوها الحجرة. كانت الدموع تجري على وجنتي أمها.

سألت كوري بعد أن أدركت خطورة الموقف: "ما هى المشكلة؟"

أجاب أبوها قائلاً: "الدكتور بلنكر يقول إنك مريضة. لديك مرض السل الرئوي، ويجب أن تلازمي الفراش حتى تهبط درجة حرارتك".

أحست كوري بأن اللون ينضب من وجهها. تزاحمت الأفكار في رأسها وهي تحاول أن تفهم ما سمعته. "السل الرئوي مثل الخالة بيب؟ السل الرئوي لابد أن ينهي حياتك؟".

أخيراً اندفعت وهي تقول بدون تفكير: "ليس هذا عدلاً. أنا في السابعة عشرة فقط، والخالة بيب إمرأة عجوز".

ذهبت الأم إليها ووضعت ذراعها حول أصغر بناتها: "إني أعرف صعوبة الموقف يا كوري. إن أفضل شئ يمكن أن تفعلينه لتساعدي نفسك أن تذهبي إلى الفراش كما قال الطبيب. فسوف آتي وأجلس معكِ بعد دقائق قليلة".

لم تشعر كوري بأنها مريضة إلى الحد الذي تمكث فيه في الفراش، ولكنها كانت بحاجة إلى وقت للتفكير، ولذا فقد أزاحت اللحاف إلى الوراء وتمددت في الفراش. أخذت مرآة اليد وتفحصت وجهها وحلت شعرها من القرص المستدير خلف رأسها. لم تكن تبدو مريضة جداً، كانت عيناها الزرقاوان محمرتين قليلاً، كانت تبدو محمرة الوجه، وليست مريضة مرضاً مميتاً. قالت لنفسها باكتئاب وهي تضع رأسها على الوسادة: "ليس الآن، على أي حال".

بينما كانت ترقد كوري هناك بعد ظهر أحد أيام الصيف في سنة ١٩٠٩، حاولت أن تتذكر كل شئ سمعته عن السل الرئوي. كانت الخالة بيب واحدة من ثلاثة أخوات لأمها وكانت تعيش معهم في المنزل. كانت مريضة بالسل الرئوي لمدة سنة. لم يكن أحد يتكلم كثيراً عن ذلك،

ولكن أمها كانت قد أخبرت كوري أن الخالة بيب سوف تموت بالداء. كان كل من يصاب بالسل الرئوي يموت بسببه. بعض الأثرياء كانوا يذهبون إلى المصحات، لأنها كانت تقع حيث يوجد الهواء النقي، وكان ذلك يساعد قليلاً، ولكن وفقاً للمعلومات التي عرفتها كوري، لم يكن هناك شفاء من السل الرئوي.

مرت الأيام ولم تكن كوري تشعر بأنها أسوأ حالاً، ولكنها في نفس الوقت لم تكن أفضل حالاً كذلك. ترك الطبيب تعليمات مشددة بألا تترك الفراش حتى تهبط درجة حرارتها. ولكن لسوء الحظ كان يبدو أن درجة حرارتها لا تريد أن تهبط. ولذا فقد لازمت الفراش.

مع أن حجرة نوم كوري كانت في الطابق الثالث، كل ما كان عليها أن تفعله أن تنظر إلى ساعة معصم يدها لتعرف بالضبط ما كان يحدث في باقي أرجاء البيت. كانت عائلتها منضبطة كالساعات التي كان والدها كاسبرتن بووم يصلحها.

في تمام الساعة ١٥ : ٨ صباحاً، كان والد كوري يهبط درجات السلم إلى حجرة الطعام، حيث كانت تنتظره شريحتان من الخبز، إحداهما بنية اللون والأخرى بيضاء، وكوب من القهوة، وفي الساعة ٣٠ : ٨، عندما كان ينتهي من إفطاره، كان يأخذ الكتاب المقدس الضخم ذا الغلاف الجلدي الأسود من على الرف ويقرأ أصحاحاً بصوتٍ عالٍ. ثم كان يقود العائلة في صلاة صباحية، وكانت تنتهي دائماً بصلاة بركة خاصة لولهيلمينا Wilhelmina ، ملكة هولندا: كل من في البيت

باستثناء المرضى في الفراش، كان المفروض أن يتواجدوا أثناء قراءة الكتاب المقدس والصلاة.

بعد الإفطار والفرصة التعبدية، كان والد كوري يبدأ يوم عمله في دكان الساعات. وفي نفس الوقت، كانت أم كوري وأختها، الخالة "أنا Anna" يبدآن الأعمال المنزلية. وعند بدء العمل، كانت الخالة "جانز Jans"، أخت أمها الأخرى والتي كانت تعيش معهم، تذهب عادة إلى مكان "هام".

عندما كانت أجراس كنيسة القديس بافو تعلن منتصف النهار، كان الغذاء يوضع على مائدة بيضاوية كبيرة في حجرة الطعام. كان كل من في البيت يأتي مرة أخرى، وكان كاسبرتن بووم في الغالب يدعو واحداً من عملائه لتناول الطعام. وكان العشاء يقدم في الساعة السادسة بعد الظهر تماماً. وأخيراً، كان والد كوري يقرأ أصحاحاً آخر من الكتاب المقدس في الساعة ١٥ : ٩ مساءاً قبل صعود السلالم في التاسعة والنصف للذهاب إلى الفراش. وفي طريقه إلى الفراش، كان والدها يتوقف دائماً ويصلي لكوري ويقبلها قائلاً لها: "تصبحين على خير". كان يفعل ذلك منذ أمد بعيد على قدر ما كانت تستوعب ذاكرتها.

في الأسابيع القليلة الأولى بعد مرضها، كانت كوري تستقبل زواراً كثيرين. كانت قد انتهت لتوها من المدرسة العليا، وكان عدد كبير من الأصدقاء والصديقات يأتون ليخبروها عن خططهم. كان عدد من الفتيات ينوين أن يعملن مربيات للأطفال، وقال إثنان من الشبان إنهما

سيذهبان إلى "ليدن" للتدريب على العمل كراعيين في الكنيسة الهولندية المصلحة. أخبرتهما كوري عن كل ما تستطيع أن تتذكره بخصوص ليدن. فقد زارت ويليم، أخاها الأكبر سناً هناك، قبل عامين حين كان يتدرب ليكون راعياً.

كانت "نوللي" أخت كوري الأكبر منها بعامين، تتدرب لتصبح مُدرسة. كانت كل ليلة تأتي إلى حجرة كوري وتخبرها قصصاً مضحكة عن الأطفال الذين كانت "تمرنهم" في ذلك اليوم. وكانت بتسي، أخت كوري الأخرى، تصعد السلالم لتزورها أيضاً. كانت بتسي أكبر من كوري بسبع سنوات، ولم تكن بصحة جيدة أبداً. فمنذ أن كانت بنتاً صغيرة، كانت تعاني من اختلال في الدورة الدموية مما كان يجعلها تتعب بسرعة فائقة. وفي بعض الأحيان عندما كانت بتسي تصعد السلالم إلى حجرة كوري، كانت كوري تعتقد أن بتسي كانت تبدو في حالة مرضية أشد مما كان مظهرها يوحي به!

كانت أم كوري تصعد وتزورها عدة مرات في اليوم الواحد. وكانت تجلس غالباً على سرير كوري وتقوم بأعمال التطريز وتتحدث معها عما كان يحدث في الطوابق السفلى.

بالرغم من كل الزوار، كانت كوري تقضي العديد من الساعات لوحدها في فراشها كل يوم. وعندما كانت ترقد مستمعة هناك، كانت تتعرف على كل صوت في البيت. كان بيتاً صغيراً. في الحقيقة، كان هذا البيت يتكون من منزلين. وكان المنزلان يطل كل منهما على خلفية المنزل

الآخـر، وقد تم ضمهما معاً منذ ما يزيد على مائة سنة مضت، قديماً قبل أن ينـتقل جدهـا لذلـك المـنزل ويفتـتح دكانـه في واجهـة البيـت في شارع "بارتليجوريسترات Barteliojorisstraat" في قلب مدينة هارلم.

كانـت حجـرة نوم كوري في الطابق العلوي من المنزل الخلفي. وكانت حجرة نوم والديها تقع أسفل حجرتها، وكانت حجرة الطعام تقع أسـفل الحجـرة الأخـيرة. وقـد تم إلحـاق حجـرة صـغيرة بحجرة الطعام. اسـتخدمت كمطبخ. فإذا كان الباب المؤدي إلى السلم مفتوحاً، كان بإمكان كـوري أن تسـمع الخالـة "أنا" وهى تنشد الترانيم أثناء إعدادها للطعام في المطـبخ. كان المنزل الأمامي أكبر. وكان مقسماً إلى أربع حجرات صغيرة في الطابق العلوي. كانت حجرة الخالة "بيب" تمثل القسم الأمامي وكان بها النافذة الوحيدة. أما الحجرات الثلاث الأخرى فلم يكن بها أي نوافذ لأن السقف المكون من الآجر كان ينحدر بشدة دون أن يترك فراغاً لأى نافذة.

وفي الطـابق الـذي كـان يقع أسفل هذه الحجرات كانت توجد حجـرة الخالـة جانـز. كانـت كوري تخشى دائماً سماع وقع أقدام الخالة جانـز عـلى السـلم. كانـت الخالـة جانـز آخـر أخـوات أمها التى وصلت "للـزيارة"، دون أن تغـادر المـنزل مرة أخرى. كانت متزوجة من قسيس، ولكنه مات صغيراً، تاركاً إياها تقضي بقية حياتها قلقة بشأن موتها هى. كانـت الخالـة جانـز تتأكد أن أطفال تن بووم ملتحفين بالغطاء جيداً لئلا "يموتـوا مـن الـبرد"، وكانت تجعلهم يشربون من الأدوية ذات الطعم غير المستسـاغ في حالـة مرضهم. نادراً ما كانت تقوم بأي أعمال منزلية وكانت

تقضي معظم وقتها إما في كتابة النبذ عن كيفية تجنب الجحيم أو زيارة الأثرياء من الشعب الهولندي لجمع المال للمبادئ العديدة التي كانت تنادي بها. وعندما كانت تصعد إلى غرفة كوري لزيارتها، كانت تحاضرها بشأن كيفية الاستعداد للموت، وبذلك كانت تبث فيها الرعب قبل أن تقطع منتصف المسافة إلى هناك!

ولكن زائر كوري المفضل كان أخوها ويليم. كان ويليم يزورها أحياناً في أيام العطلات الأسبوعية، وكان يحضر معه كتباً لتقرأها كوري. كان ويليم مهتماً دائماً بما كان يحدث في العالم. كان يحتجز لكوري مقتطفات من الجرائد، فيقرآها ويناقشاها سوياً. علمت كوري أن الأمريكي روبرت بيرى نجح في الوصول إلى القطب الشمالي وأن القيصر نيقولا في روسيا، كان يذيق الويلات للشعب اليهودي الذي كان يعيش هناك.

ولكن الليالي كانت من أصعب الأوقات على كوري. كان الجميع نياماً، والبيت صامتاً اللهم إلا من تكتكة الساعات. ففي خلال تلك الساعات كانت كوري تفكر في السبب الذي يميتها الله لأجله. ولكن مهما بذلت من محاولات في التفكير، لم تكن تصل إلى إجابة مقنعة. وبالتدريج، عندما كانت الأسابيع تتلاحق الواحد تلو الآخر ويتحول الصيف إلى خريف، كانت تكف عن القلق بشأن الموت وتقرر أن تعيش كل يوم بأفضل ما يمكنها أن تفعل. لم يمض وقت طويل بعد أن قررت ذلك، وبعد مرور خمسة شهور بأكملها على صدور الأمر لها بالبقاء في

الفراش لأول مرة، بدأت كوري تحس بآلام رهيبة في المعدة. ظنت أن ذلك الألم من الأعراض الغريبة، لأن السل يؤلم صدر المرء، وليس معدته.

في وقت لاحق في ذلك الأسبوع، قام الدكتور بلنكر بزيارته المنتظمة إلى منزل تن بووم للتأكد من حالة الخالة بيب، ولينصح الخالة جانز بشأن دواء جديد معين كانت تقرأ عنه، وليقيس درجة حرارة كوري. قطب جبينه عندما أزال الترمومتر من تحت لسانها وأمسك به ناحية الضوء ليقرأ. سألها بعطف: "يا كوري، درجة حرارتك قد ارتفعت. كيف تشعرين؟".

وضعت كوري يدها على معدتها وأجابت قائلة: "لا أدري إن كان ذلك له علاقة بدرجة حرارتي أم لا يا "دكتور"، ولكن معدتي تؤلمني هنا".

ضغط الدكتور بلنكر بشدة على معدة كوري في المكان الذي أشارت عليه. فصاحت كوري: "أوه، هذا المكان يؤلمني".

ثم ضغط الدكتور بلنكر بأكثر شدة على الجانب الآخر من معدتها وسألها: "وماذا بشأن هذا المكان؟". جلست كوري في غير ارتياح من شدة الألم.

سال الدكتور بلنكر كوري عدة أسئلة، ثم علت وجهه ابتسامة عريضة. قال: "اعتقد أني أخطأت في تشخيص حالتك، ولكنه خطأ سعيد. إذا لم أكن مخطئاً هذه المرة، فأنت لديك التهاب في الزائدة الدودية، وليس السل!"

"التهاب الزائدة الدودية!" لم تسمع كوري من قبل كلمة ذات رنين عذب كهذه الكلمة. التهاب الزائدة الدودية يمكن أن يشفي عن طريق إجراء عملية جراحية. على أي حال لن تموت كوري! ولذلك أخذت إلى المستشفى على عجل، حيث أجريت لها العملية في اليوم التالي. وفي خلال شهر استردت صحتها وكانت على ما يرام مرة أخرى. لقد شفيت تماماً من "السل"!

بالطبع، بعد مرور ما يقرب من ستة شهور في الفراش، كانت كوري تقدر كل يوم حق قدره. انهمكت في العديد من المشروعات، وقد نما بعضها بأكثر مما قدرت له. كانت بتسى تقوم بالتدريس في فصل لدراسة الكتاب المقدس، وابتدأت كوري تساعدها. لم يمض وقت طويل حتى كانت كوري تعلم الكتاب المقدس في العديد من المدارس المحلية. وكان هناك أيضاً نادٍ للبنات. فقد لاحظت كوري أنه لم يكن لدى الفتيات المراهقات الشئ الكثير ليعملنه في هارلم، ولذا فقد أنشأت ما أطلقت عليه اسم "نادى المشى". في البداية، لم يكن لدى كوري سوى عدد قليل من البنات من فصل بتسى لمدرسة الأحد وقد كن يقمن بالمشى فوق الكثبان الرملية قبل الكنيسة في صباح أيام الآحاد. وعندما سمع عدد من الأثرياء في الضاحية المجاورة عن النادي، قدموا حدائقهم الجميلة للفتيات للتمشى فيها. وقبل أن تعرف كوري ما كان يحدث، كان هناك ثلثمائة فتاة في النادي!

سرعان ما أنشأت كوري أندية أخرى لتعطي البنات المزيد من الأعمال ليقمن به. كان هناك نادٍ للألعاب الرياضية، ونادٍ لتعلم اللغة الألمانية، ونادٍ للتمثيل الدرامي. لم يمض وقت طويل قبل أن يكون هناك على الأقل اجتماع واحد لأحد النوادي يعقد كل ليلة في الأسبوع. ثم في سنة ١٩١٩، عندما بلغت كوري السابعة والعشرين من العمر، واتت كوري فكرة حديثة بعقد اجتماع لنادٍ يمكن فيه للبنات والأولاد أن يجتمعوا سوياً لممارسة الألعاب والاستماع إلى الموسيقى. كانت الفكرة برمتها تبدو فاضحة بالنسبة للعديد من الآباء، ولكن بعد افتتاح النادي لمدة سنة، اتفق معظم الآباء على أنها كانت فكرة رائعة.

بعد أن اتسعت مهام نواديها، علمت كوري أنها كانت بحاجة لاسم أفضل للنادي، الذي كان قد ازدادت أنشطته بأكثر من مجرد المشي. توصلت كوري والفتيات إلى اسم "النادي المثلث". كان الرمز على اللافتة الجديدة للنادي عبارة عن مثلث داخل دائرة. وكانت جوانب المثلث تدل على المهارات الاجتماعية والجسمية والعقلية التي كانت الفتيات ينمينها في أنشطة ناديهن، كانت الدائرة المحيطة بالمثلث ترمز لله. في كل اجتماع للنادي، حاولت كوري أن تساعد البنات ليفهمن المزيد عن محبة الله لهن.

كان النادي يقدم مرة واحدة كل عام استعراضاً لكل ما تعلمنه، وكان يحضر ما يزيد على ألف شخص لمشاهدته. لقد أصبح نادي كوري بالفعل مشهوراً في كل أنحاء هولندا.

مع أن خالاتها الثلاث قد متن، إلا أن المنزل (البيج) لم يفرغ أبداً من الناس. كان هناك دائماً وأبداً شخص ما يحتاج إليه، وكانت عائلة تن بووم تستضيفه في المنزل. كان هناك أطفال المرسلين الذين كانوا بحاجة لمنزل في هولندا، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى، استضافت العائلة الأطفال الأيتام. فقد تبنت عائلة تن بووم عشرة أطفال على مدى تاريخها، وقد وصل عدد كبير منهم إلى سن الرشد.

في سنة ١٩٢١، تلقت أم كوري سلسلة من الضربات وماتت. كانت ضربة قاصمة بالنسبة لكوري. كانت أمها خير معينة ومعاونة لها. ولكن كوري تغلبت على الخسارة ببطء، ولم يمض وقت طويل بعد ذلك حين قررت أن تكون صانعة ساعات يد. كان أبوها واحداً من أمهر صناع ساعات الحائط في هولندا، ولكن ساعات اليد كانت قد أصبحت أكثر انتشاراً. كان أبوها بحاجة لشخص ما في دكان الساعات يعرف كيف يصلح ساعات اليد، ولذا. ذهبت كوري إلى مصنع للساعات في سويسرا وتعلمت كيف تصنع وتصلح ساعات اليد. في سنة ١٩٢٤، وهي في سن الثانية والثلاثين، أصبحت أول إمرأة في هولندا تقدم لها شهادة بأنها صانعة ساعات.

بعد الاعتراف بها رسمياً كصانعة ساعات يد، اعتقدت كوري أن والدها سوف يموت ويتركها لتحافظ على تراث إصلاح الساعات قائماً بالنسبة لعائلة تن بووم. أصيب كاسبرتن بووم بمرض التهاب الكبد الوبائي، وهو مرض خطير لأي واحد، ولكن بنوع خاص لمن يبلغ الرابعة

والستين من العمر. كان والد كوري يرقد في المستشفى عدة ايام وهو يعاني من هذا المرض الخطير. حتى بدأ يتعافى أخيراً. وكان اليوم الذي رجع فيه إلى البيت من مستشفى سانت اليزابيث من أروع الأيام بالنسبة للمدينة كلها.

كان والد كوري بالنسبة لمعظم الناس هناك محبوباً على نطاق واسع ويشتهر بانه "رجل هارلم الكبير العجوز". كان يشبه بابا نويل، ومحبوباً مثله! كانت الورشة الصغيرة التى كان يصلح فيها ساعات الحائط وساعات اليد تستضيف سيلاً لا ينقطع من الناس الذين كانوا بحاجة للنصيحة، والكلمة الرقيقة أو للصلاة. كان بعض زواره من تجار اليهود الأثرياء، والبعض الآخر كانوا شحاذين مفلسين. لم يكن يهمه هويتهم، فقد كان صدره متسعاً للجميع. ولذا فإن عدداً كبيراً من اصحاب المتاجر المحيطة "بالبيج" (منزل كاسبرتن بووم) ـ وكنائس الشارع وأصحاب القوارب، وباعة الزهور، وحتى رجال الشرطة من المقر الرئيسي للشرطة كانوا قد جمعوا نقوداً ليشتروا لكسبرتن بووم هدية عصرية تقدم له في المنزل: جهاز راديو!

أفسحت كوري مكاناً على المنضدة الجانبية أسفل النافذة للراديو، وعندما وصل ويليم ومعه الراديو، وضع حقيبته الخشبية اللامعة فوق المنضدة. كان الراديو يبدو أكبر في الردهة المزدحمة عما كان يبدو عليه في الكتالوج الخاص به. قام كاسبرتن بووم من كرسيه ومشى نحو

الهديـة الجديـدة الـرائعة وأخذ يتحسس قشرته الخشبية اللامعة ثم قال: "إنه جميل". كانت عيناه الزرقاوان اللامعتان تشع بريقاً مبهجاً.

قالـت بتسي: "تخيلوا. سوف يصبح في مقدورنا أن نستمع إلى الحفـلات الموسـيقية مـن كل أنحاء أوروبا. انظروا، فلدى برنامج للأسبوع كله"

مالـت كوري لتدرس الحاشية التى كانت بتسى تكتب عليها. كتبـت بتسى بخـط أنـيق قائمـة بـالحفلات الموسـيقية في كل ليلة، واسم المحطات التي سوف تذاع منها.

أضـاف ويلـيم: "سوف يمكننا سماع الأخبار أولاً بأول من كل أنحاء أوروبا أيضاً".

منذ أن كـان أبـناء بووم الأربعة صغاراً، أصر أبوهم على أن يتكـلموا الألمانـية والإنجليزية بالإضافة إلى الهولندية. كان ذلك لأن هولندا كانـت تقـع عـلى طـول الشـاطئ فـيما بـين ألمانـيا في الشـرق وبلجـيكا في الجنوب. وعلى بعد أميال قليلة إلى الشمال الغربي عبر بحر الشمال كانت تقع الجزر البريطانية.

كانـت موسـيقى براهمـز وبيـتهوفن تنسـاب من سماعة الراديو الـتي تشـبه المحـارة وتمـلأ كـل جنـبات البيـت. خلال الأسابيع القليلة التالـية، كـان الأصـدقاء والجـيران يـأتون لمشاهدة الجهاز الجديد الرائع. كانت كوري تسمع والدها يقول مراراً وتكراراً: "عليكم أن تتخيلوا فقط أن أوركسـترا بأكمـلها تعـزف هـناك، واسـتمعوا إلى أعـذب الأصـوات" أو

"الكهرباء! ، الكهرباء مذهلة الآن. أولاً ، حصلنا على الأضواء بمجرد إدارة مفتاح، والآن هناك الآلات التي تلتقط الموسيقى من الهواء ذاته"

عـندما كانت كوري تجلس مع بتسى وأبيها خلال صيف عام ١٩٢٤ ، لتسـتمع إلى الموسـيقى مِن الراديو، لم يكن تتخيل أبداً أن الراديو الـذي يـأتي الآن بمثل هذه الموسيقى الجميلة ، سوف يأتي يوماً ما بأخبار الحرب في هولندا. والأدهى من ذلك، لم تكن تتصور أن الردهة التي كانوا يجلسـون فـيها بهـدوء ليرتشفوا القهوة، سوف تصبح مركزاً للإنقاذ لمئات اليائسين، ثم تصبح بعدئذ شركاً مميتاً لبعض الذين أحبتهم كوري بشدة.

لم تكـن تتخـيل حـدوث أياً من هذه الأشياء، ولم يكن أي واحـد في هولـندا الآمـنة يمكـنه أن يتخـيل ذلـك أيضـاً. ولكـن هـذه الأحـداث قـد وقعـت بـالفعل، وتحولت حياة كوري السعيدة والنشطة إلى كابوس مقيم.

الفصل الثالث

رئيس الوزراء غبي!

كـان تـاريخ الـيوم هو ٩ مايو سنة ١٩٤٠، ولم يكن هناك داع لكـوري لكي تسأل أباها إن كان سوف يسهر دون أن يذهب إلى الفراش في موعـده المعـتاد في السـاعة ٨:٤٥ مسـاء. كـان يبدو أن الجميع في هولندا سـوف لا يـنامون قـبل سمـاع خطـاب رئيس الوزراء. ففي السـاعة ٩:٣٠ مسـاء في تلـك اللـيلة، كـان رئـيس وزراء هولندا سوف يلقي بياناً يذاع في الـراديو. إنـه سوف يعلن للأمة إن كانت هولندا سوف تشترك في الحرب العالـمية الثانـية أم لا. فمنذ عدة شهور لم يكن هناك حديث بين الناس في هولـندا سوى الحديـث عـن هـذا الموضـوع. طـيلة السبعة شهور الماضية، كانـت الحـرب قـد اشتعلت حولهم، منذ أن غزت ألمانيا النازية بولندا في سبتمبر سـنة ١٩٣٩ ومـنذ ذلك الحين، أصبحت ألمانيا أكثر عدوانية وقد استولت على الدنمرك والنرويج. وتنبأ كثيرون أن لوكسمبورج، وبلجيكا، وهولندا سوف تصبح أهداف النازي التالية. ولكن نفراً من الناس من أفراد الشعب الهولـندي، اعـتقدوا أن هـذه فكـرة مجـنونة. وقـالوا إن الشـعب الهولـندي سـوف لـن يجـبر عـلى القـتال في الحـرب. ظلت هولندا خلال الحـرب العالـمية الأولى عـلى الحـياد، لا تساند أى طـرف. فـلماذا تكون

الحـرب العالمـية الثانـية مخـتلفة؟ وبالإضـافة لذلـك، فالشـعب الهولندي تـربطه روابـط حميمة بألمانيا. فالزوج الراحل للملكة ولهيلمينا كان ألمانياً، وزوج الأمـيرة جوليانا، والمرشح للعرش، كان ألمانياً أيضاً. ولكن عدداً آخر مـن أفـراد الشـعب الهولـندي لم يكن على هذا القدر من التأكيد. قالوا إن أدولـف هـتلر، قـائد ألمانـيا النـازية، رجل مجنون لن يتوقف حتى يهزم العالم كله. ولذا فالجميع في هولندا كانوا ينتظرون بيان رئيس الوزراء بقلق بالغ.

كانـت كـوري وأبوهـا يعـلمان المـزيد عما كان يحدث في ألمانيا أفضـل مـن الكـثيرين في هولندا لأن ويليم درس هناك للحصول على درجة الدكـتوراه. ومـع أن ذلك كان منذ ١٣ سنة من قبل، إلا أنه قد رجع وهو يحمـل إنـذاراً محزناً. بل إنه قد كتب بحثاً في الجامعة التي كان يدرس بهـا. عـن أصـول شـر مسـيطر كـان يخـتمر في ألمانيا. كان يعتقد أن الفقر وخزى الهزيمة التي لحقت بالألمان بعد الحرب العالمية الأولى كانتا مزيجاً خطـيراً. ودافـع عن رأيه بالقول أن الألمان كانوا غاضبين ويشعرون بالمرارة وكنتـيجة لذلـك كـانوا يبحـثون عـن كـبش فـداء يوجـهون له اللوم بسبب مشـكلاتهم. فـإذا اسـتثارت الحكومـة غضـبهم وشـعورهم بالمرارة، فسوف يـتعرض الشـعب الـيهودي لخطـر عظـيم. عندما سلم ويليم بحثه، ضحك أسـاتذته وهـنأوه عـلى خـياله الخصب وأكدوا له أنه لن يحدث شئ مثل ذلك في ألمانيا.

ولكـن ويليم لم يستطع أن يكف عن التفكير في المشكلات التي في ألمانيا. كان واثقاً أن هذه المشكلات سوف تنفجر وتؤثر على العالم كله. منذ بداية سنة ١٩٣٣، كان ويليم يخبر أعضاء كنيسته بأن الكراهية تسمم الشعب الألمـاني. فعـندما لا تسـير الأمـور عـلى مـا يـرام بالنسـبة للقـائد الألمـاني، أدولـف هـتلر، كـان يحاول إيجاد من يلقي باللائمة عليه. كان الذيـن يوجـه إلـيهم اللـوم غالباً هم اليهود. وفي حقيقة الأمر، إنه في سنة ١٩٣٣، حظـر هـتلر عـلى الـيهود تـولي المناصب العامـة، ومـن العمل في الخدمـة المدنـية، ومن العمل في سلك التدريس والصحافة. وكان عدد كبير من الألمـان، حـتى الألمـان الـيهود، لا يهتمون كثيراً بذلك، كان ما يزال أمـامهم العديـد مـن المناصب الجيدة التي يمكن لليهود أن يتقلدوها. ولكن هـذا الحظـر لم يكـن سوى البداية. ففي سنة ١٩٣٥، أصدر قراراً بحجب الجنسـية الألمانـية عـن الـيهود الألمـان، وكنـت عـائلات عدد كبير منهم تعـيش في ألمانـيا مـنذ مـئات السنين. لم يعد بمقدورهم بعد ذلك أن يدلوا بـرأيهم في الانـتخابات ولا أن يـتزوجوا من غير اليهود. وفي سنة ١٩٣٨، لم يسـمح للـيهود بـأن يعـلموا كمحـامين أو أطباء. هرب بعض اليهود إلى أمـريكا وأجـزاء أخـرى مـن أوروبـا، ولكن كثيرين غيرهم بقوا في بيوتهم، معتقدين أن الأمور لا يمكن أن تسوء أكثر من ذلك في بلد "متحضر".

ولكـن ويليم، كان واثقاً بأن الأمور سوف تسوء بالنسبة لليهود في ألمانـيا. حـاول ويلـيم أن يحذر أفراد طائفته. لقد كان هتلر مصمماً على

الاحـتفاظ "بعنصـر متمـيز" في ألمانـيا، يـتكون مـن شـعب أبـيض اللـون، مسـيحي، مـن شمـال أوروبـا. وقـد دعـاه بالشـعب الآرى، واراد أن "يستأصـل" أي شخص لا ينتمي لهذا الجنس. إن اليهود بالطبع لا يمكن أن يدخلـوا ضـمن تركيـبة الجـنس المتمـيز، وكذلـك القبائل الرحل الذين يـنـتقلون مـن مكـان إلى آخـر أو أي شعب به عيوب جسمية أو عقلية. في رأى هتلر، ان هؤلاء الناس كانوا يصيبون الدم الألماني النقي بالعدوى وهم السبب في كـل مشـكلات ألمانـيا. وكـان يعـتقد أن الـتخلص مـنهم سوف يجعل من ألمانيا أعظم قوة على الأرض.

ولكـن أفـراد طائفـة ويلـيم تـن بووم ملوا من تحذيراته، والتي كانـت تـبدو أشـبه ما يكون بقصص الخيال العلمي عنه بالحقيقة بالنسبة لهـم. ولـذا فقـد ويلـيم منصـبه كخادم كنيسة محلي. وبدلاً من ذلك، فقد سمحت له الكنيسة الهولندية المصلحة هو وزوجته، تاين، أن يفتتحا داراً للمسـنين في هلفرسـوم، على بعد ٣٠ ميلاً إلى الجنوب الشرقي من هارلم، عـلى الجانب الآخر من أمستردام. كانت الدار تقبل أساساً شيوخ اليهود، ولكـن ويلـيم كـان قـد أخـبر كـوري أنه خلال الأربع سنوات الماضية فإن أعـداد مـتزايدة من اللاجئين اليهود من الشباب من ألمانيا كانوا يتوجهون إلى هـذه الـدار. كـان لكـل واحد منهم قصة مخزية يرويها، وكانت كوري مـتأكدة أن ويلـيم لم يكـن يـردد عـلى مسامعها أسوأ القصص. كان أخوها يـروى لهـا قصصـاً عن الشعب اليهودي الذين كانوا يجبرون على الخروج

من منازلهم بعد حرقها، وعن معلمي اليهود الذين كانوا يزيلون لحاهم بحرقها فوق وجوههم، وعن أطفال اليهود الذين كانوا لا يقدرون على الكلام لمدة أسابيع بعد وصولهم إلى هلفرسوم من هول ما يشاهدونه. كانت القصص تستدر الدموع من عيني كوري. كانت كوري تسأل هذا السؤال: كيف يتسنى لأى إنسان أن يكره إنساناً آخر إلى هذه الدرجة التي تجعله يفعل به كل هذه الأشياء؟.

قبل الساعة التاسعة والنصف مساء بدقائق قليلة، ضبط كاسبرتن بووم مفاتيح الراديو الكبير، الذي ظل معه لمدة ١٦ سنة حتى الآن، والذي كان يستغرق بضع دقائق قليلة للإحماء والتسخين حتى يبدأ في الإرسال. كان يمكنهم سماع الحديث في الراديو الأصغر والأحدث الذي كان لديهم في الطابق السفلى، ولكن كوري أحست بطريقة ما أنهم جميعاً يريدون أن يسمعوه من جهاز قديم ومتين، يذكرهم بالأمسيات الهادئة الآمنة التي كانوا يقضونها في الاستماع إلى الموسيقى الأوركسترالية.

كان الراديو يطن ويصدر أصواتاً ذات فرقعة، فانحنت كوري إلى الأمام لضبط المحطة. وفي تمام الساعة ٣٠: ٩ مساء، ملأ صوت رئيس وزراء هولندا أجواء الحجرة. كان الصوت ناعماً وهادئاً. لقد اكد للشعب الهولندي أن بلاده لن تدخل الحرب وذكرهم بما حدث في الماضي عندما كانت بقية أوروبا تحارب، وظلت هولندا تنعم بالسلام. وأخبر المستمعين أنه تحدث إلى قادة الحكومتين، وأنه ليس لدى أي قائد النية في الزج

بهولندا في أتون الحرب. فالشعب الهولندي يحب أن يبقى هادئاً ويؤدي أعماله اليومية كما كان يفعل دائماً.

كانت كوري تستمع بعناية لكل كلمة قالها رئيس الوزراء لدرجة أنها لم تلاحظ أباها وهو يترك كرسيه. ولم تلحظه وهو يمشي تجاه الراديو، حين أغلقه، دون أن يستكمل رئيس الوزراء الجملة.

نظرت كوري وبتسى كل منهما إلى الأخرى حين كانتا تنصتان إلى الحديث بعناية. ما الذي كان والدهما يفكر فيه؟ إن رئيس الوزراء لم يكمل حديثه بعد. سار كاسبرتن بووم تجاه الباب دون أن ينطق بكلمة واحدة، حيث استدار حوله ليواجه بنتيه.

قال بغضب: "لم أستطع أن أستمع إلى المزيد من تلك الأكاذيب". "إن رئيس الوزراء غبي إذا تصور إن هولندا يمكن أن تبقى بمنأى عن الحرب وكل الذين يصدقونه أغبياء. فألمانيا سوف تغزو هولندا. وسوف نخسر المعركة. سوف تكتسحنا ألمانيا. كان الله في عون جميع الذين في هولندا الذين لا يدعون باسمه". وبعد أن قال هذا استدار وصعد السلم.

جلست كوري وبتسى في صمت مع شعور بالصدمة. لم يسمعا والدهما المسالم العطوف يستخدم لهجة غاضبة من قبل. هل حقاً يدعو رئيس الوزراء غبياً؟ لم يستخدم أبداً لغة كهذه. ولذا ففي العديد من

المرات عندما كانتا طفلتين، أخبرهما أن يتحدثا بالخير عن الآخرين أو لا يتحدثا على الإطلاق.

وأخيراً، وقفت كل من كوري وبتسى دون أن تنطقا بكلمة واحدة، وصعدا السلالم، وذهبت كل واحدة إلى غرفتها الخاصة. ليس هناك ما يقال، وليس هناك ما يناقش. ذهب معظم الناس في هولندا تلك الليلة إلى الفراش وقد كان تأكيد رئيس الوزراء مازال يرن في آذانهم. لن تكون هناك حرب في هولندا. لقد كانوا في أمان. ولكن كوري وبتسى تن بووم ذهبتا إلى الفراش بدون مثل هذا التأكيد. لقد كانتا موقنتين في قرارة نفسيهما بأن أباهما كان على حق. سوف يتم غزو هولندا بالتأكيد ودمارها، ولن يستطيع أحد فعل أي شئ إزاء ذلك.

في الساعة ٣٠: ٢ صباحاً تلك الليلة، أيقظ أنفجار قوي كوري. في البداية لم تعرف ما الذي أيقظها، ولكن خلال ثوان كان هناك أنفجار آخر مع وهج من الضوء البرتقالي في ستائرها. جلست ووضعت قدميها على الأرض. لم تخالجها ذرة من الشك، كان أبوها على حق: القنابل الألمانية تتساقط، وهولندا كانت تتعرض للهجوم. أمسكت كوري بثوبها واتجهت نحو السلالم. مرت على حجرة والدها واستمعت بتدقيق. كانت تسمع صوت أنفاسه وهى تدخل وتخرج. ومن المدهش، أنه كان لا يزال مستغرقاً في النوم. أمسكت بدرابزين السلم وأخذت تجري نازلة عدة درجات قليلة حتى وصلت إلى حجرة بتسى. وجدت كوري أختها جلسة

علـى حافـة سـريرها واندفعـت بـين ذراعـيها. تعلقت الاثنتان كل واحدة بالاخـرى، منـتظرتين توقـف الضوضـاء، ولكـنها اسـتمرت. وأخيراً، بعد عشـر دقـائق، تكلمت بتسى. "دعنا نذهب إلىٰ الحجرة الأمامية وننظر من الشباك".

أومأت كوري رأسها بالموافقة.

أمسكت كل منهما بيد الأخرى، تماماً كما كانتا تفعلان عندما كانـتا صـغيرتين، وزحفـت كـوري وبتسـى نحـو الحجـرة الأمامية. شقتا طريقهما نحو النافذة ونظرتا إلى الخارج.

همسـت بتسى، وهي تشير في اتجاه ومضات الضوء البرتقالي: "لابد أنـهم يقصفون المطار بالقنابل".

أومأت كوري مرة أخرى رأسها بالموافقة، وهي لا تزال عاجزة عـن الكلام بسبب الصدمة. وقفتا عند الشباك لبضع دقائق قليلة. ومع كل انفجار كان المزيد من الضوء البرتقالي يهز أركان الحجرة، مما كان يجعل الأشياء التي كانت قائمة على مدى مائة سنة تبدو أنها ليست في مكانها. شـدت بتسـى ذراع كـوري، وقالـت: "دعـنا نصـلي"، وهـى تـركع عـلى قدمـيها أمـام كرسـي البـيانو. ركعت كوري بجوارها وبدأت تصلي. صلت لأجـل الـناس الذيـن أصابهم الضرر أو قتلوا عن طريق القنابل التي كانت تتسـاقط، صـلت لأبـيها، ولويلـيم وتـاين وأطفالهمـا، ولأخـتها نولـلى،

وزوجها، فليب، وأطفالهما. وصلت أيضاً للملكة ولهلمينا ملكة هولندا. وعندما انتهت كوري من صلاتها، انتظرت بتسي لتصلي هي الأخرى.

بدأت بتسي تصلي قائلة: "يا الله، نذكر أمامك الطيارين الألمان في تلك الطائرات التي تلقي بالقنابل فوقنا الآن. نحن نصلي لكي تنفتح أعينهم على حقيقة الأساليب الشريرة لهتلر. ليباركهم الله، ويجعلهم يعرفون أنك معهم دائماً".

فتحت كوري عينيها وحملقت في أختها كما لو كانت شخصاً غريباً. للمرة الثانية في ليلة واحدة، أصيبت كوري بالدهشة بسبب تصرفات إنسان كانت تعتقد أنها تعرفه جيداً. أولاً، قام أبوها بإغلاق الراديو بغضب واتهم رئيس الوزراء بالغباء، والآن صلت أختها لأجل الألمان. أغلقت شفتيها تماماً ولم تذكر شيئاً يضايق بتسي في تلك اللحظة، ولكن لم يكن بمقدورها إطلاقاً أن تقول "آمين" بعد سماعها هذه الصلاة السخيفة!.

في صباح اليوم التالي، نزل كاسبر تن بووم لتناول الإفطار في الساعة الثامنة والربع تماماً كما كان يفعل دائماً. قرأ أصحاحاً من الكتاب المقدس وذهب إلى العمل في دكان الساعات في التاسعة. ومع ذلك، لم يقم بأداء عمل كثير. فقد حضر إليه سيل لا ينقطع من الناس. قضت كوري وبتسي ذلك اليوم والأيام الأربعة التالية في حمل أوعية القهوة الساخنة من المطبخ إلى الورشة وحجرة المبيعات. وحملت كوري الراديو الصغير من

حجرة الطعام، إلى حجرة المبيعات. كان هناك المزيد من الأخبار. فقد استقال رئيس وزراء بريطانيا العظمى، نيفيل تشمبرلين البالغ من العمر ٧١ سنة، وأصبح ونستون تشرشل رئيس الوزراء الجديد. وعندما سمعت كوري ذلك، كانت تأمل أن يكون تشرشل أكثر صلابة تجاه هتلر من تشمبرلين. وكان أهم ما تريد أن تسمعه ما قالته محطات الاذاعة عن هولندا. لسوء الحظ، كان ما قالته المحطات الألمانية والإنجليزية شيئاً واحداً: تم اجتياح الأراضي الهولندية بواسطة الدبابات الألمانية والقوى البشرية، ولن يمضي وقت طويل قبل وصول الدبابات الألمانية للحدود الشرقية واحتلال هولندا. وكانت لوكسمبورج وبلجيكا في الجنوب أيضاً تتعرضان للهجوم.

كان بعض زوار دكان الساعات يريدون من والد كوري أن يصلي لأجلهم، وكان يبدو أن البعض الآخر يريد أن يجلس في بيت كاسبر، كما لو كان السلام الذي يشيع في بيت الـ تن بووم سوف يحميهم مما يمكن أن ياتي عليهم. ولكن ذلك لم يحدث.

فبعد خمسة ايام من وعد رئيس الوزراء بالسلام، حل السلام، ولكن ليس بنفس الطريقة التي كان يقصدها. استبسل الهولنديون في القتال، حتى بالرغم من تفوق الألمان عليهم. ولكن يوم ١٤ مايو سنة ١٩٤٠، كان أسوء يوم في تاريخ هولندا. عندما أحبط أدولف هتلر بسبب الطريقة التي كان يقاوم بها الهولنديون مجهوداته، أمر بقصف مدينة

روتردام. وعند نهاية اليوم، مات ١٠٠٠ هولندي من الرجال والنساء والأطفال، وشرد ما يزيد على ٨٧,٠٠٠ شخص. تم تدمير ٢١ كنيسة و٤ مستشفيات. وعندما هدد هتلر بتحويل مدينة انترخت إلى أنقاض، وقَع رئيس الوزراء الهولندي وثيقة استسلام في اليوم السابق، هربت الملكة ولهلمينا إلى بريطانيا العظمى على متن سفينة حربية بريطانية، وأنشأت في لندن ما أطلقت عليه الراديو البرتقالي (محطة إذاعة هولندية، واللون البرتقالي هو لون العائلة الملكية الهولندية). كان الراديو البرتقالي (راديو هولندا) يذيع الأخبار بالهولندية كل ليلة طيلة أيام الحرب، وكانت الملكة ولهلمينا تتحدث كثيراً إلى الشعب، وتشجعهم على مواصلة القتال. عندما استسلمت البلاد، هرب عدد كبير من الجنود الهولنديين إلى إنجلترا، حيث كانوا يتمنون أن يعيدوا تنظيم قواتهم ويستردوا أرض الوطن يوماً ما من يد الألمان.

في البداية لم تتغير هولندا كثيراً. كان هناك جنود ألمان في الشوارع وفي المركبات. كانت عجلات عرباتهم الضخمة التي تسير وسط برك المياه المتكونة من رخات المطر في الصيف تحدث طرطشة على كوري عندما كانت تركب دراجتها للذهاب إلى بيت نوللى. كان يبدو أن الناس في كل مكان يتحدثون الألمانية. كان هناك أيضاً حظر للتجول، ولكنه كان يبدأ من الساعة العاشرة ليلاً، وحيث أنه لا أحد من عائلة تن بووم كان يوجد بالخارج حتى هذه الساعة المتأخرة، فلم يؤثر عليهم إطلاقاً. ولكن

كانت هناك قوانين تمنع التجمعات، ولذا فقد اضطر النادي المثلث للتوقف عن ممارسة أنشطته. اضطر كل شخص لحمل كوبونات التموين (للحصول على السلع الغذائية) كانت المنتجات متاحة للشراء فقط بهذه الكوبونات. وكانت المنتجات تعرض في قائمة بالجرائد في يوم السبت. كانت بتسى طباخة مبدعة دائماً، فتشتري أكبر كمية من الطعام بأقل التكاليف، ولذا لم يلحظ أحد في البيج (بيت تن بووم) الفرق. وكان من المستغرب أن تزدهر تجارة الساعات. كن الجنود الألمان دائماً في دكان الساعات يبحثون عن بعض الهدايا لإرسالها لأرض الوطن. فقد باع دكان الـ تن بووم المزيد من ساعات الحائط وساعات اليد في السنة الأولى للاحتلال للألمان بأكثر مما كان قد باعه في سنة واحدة من قبل.

بعد احتلال هولندا بعدة أسابيع، أصدر الألمان أوامرهم بتسليم كل أجهزة الراديو إلى البوليس الهولندي، الذي كان الآن تحت السيطرة الكاملة للجيش الألماني. كان من المرجح أن ترسل كوري كلا الجهازين لو أن إبن اختها بيتر، الإبن الأكبر لأختها نوللى، لم يتحدث في هذا الأمر.

كانت كوري وبتسى وبيتر جالسين معاً في الردهة حيث كان بيتر يعزف مقطوعة موسيقية لبراهمز على البيانو القديم. عندما انتهى بيتر من العزف تنهدت كوري وربتت على الراديو القديم قائلة: "إني أكره أن أضطر لأخذ هذا الجهاز إلى دكان Vroom en Dresman ولكنني تلقيت معلومة مطبوعة بالبريد اليوم. تقول هذه المعلومة إن كل

أجهـزة الـراديو في هـارلم يجـب تسليمها إلى الألمان". تنهدت كوري مرة أخرى ثم مضت تقول: "لقد كان هذا الجهاز مصدر فرح لوالدي، والراديو هو الطريقة الوحيدة للحصول على الأخبار الحقيقية".

أومأت بتسى رأسها بالموافقة وهى مكتئبة.

واصـلت كـوري حديثها قائلة: "كل ما تقرأونه في الجرائد هو مـدى نجـاح الألمـان، وسـعادة الهولـنديين لكونهـم قد أصبحوا جزءاً من الامـبراطورية العظـيمة للشـعب الآرى. إنـي اشـتري الجـريدة فقـط حـتى تستطيع بتسـى أن تعرف ما يمكن أن تشتريه بكوبونات التموين. إني لا أقـرأ أبـداً بـاقي الجريدة، فأنا استخدمها فقط لإشعال الموقد". قالت ذلك وكتمـت ضحـكة، وقالـت: "بـدون أحاديث رئيس الوزراء تشرشل وسماع الأخبار من راديو هولندا، كيف يمكننا أن نعرف كيف تسير الأمور؟"

ظـل السـؤال معلقاً في الهواء. برغم قلق كوري، لم يكن للسؤال إجابة، حتى تكلم بيتر.

"لكـن ألا ترين معي يا خالة كوري، أننا لسنا مضطرين لنفعل مـا أمرونـنا به؟ يمكنك الاحتفاظ بواحد من الجهازين. نعم، هناك المئات من الأماكن التي يمكنك أن تخبئ الجهاز فيها في هذا المنزل القديم!".

التفتت كوري بدهشة إلى بيتر. لم تكن تفكر ولو للحظة واحدة ألا تفعـل مـا يامـرها الألمان بأن تفعله. ولكن ما كان يقوله بيتر صحيحاً. كـان "البـيج" هـو مكـان الاختـباء الكامل للراديو الصغير. فدوناً عن سائر

البيوت في المنطقة، كان "البيج" أكثرها في عدم الانتظام، لأنه كان بالفعل مكوناً من بيتين ارتبطا معاً. وعند إدماج المنزلين معاً، كان هناك فارق في مستوى الطوابق بين كل منزل وآخر يبلغ مقداره خمسة أقدام. كان هذا يعني أنه كانت هناك كل أنواع المخابئ والشقوق في كل أنحاء البيت. عندما كان أطفال عائلة تن بووم صغاراً، لعبوا ذات مرة لعبة حيث كان أحدهم يضرب على جانب حائط بينما كان على الآخرين تخمين ما كان يحدث على الجانب الآخر من الحائط. كان يستحيل تقريباً معرفة ما يحدث لوجود التفافات ومنعطفات السلالم، والزوايا الغريبة للجدران، وفارق الخمسة أقدام بين المنزلين.

بدأ خيال كوري يعمل. كانت كوري تعرف البيت جيداً شأنها شأن الاخرين. أين يوجد المكان الذي يصلح لتخبئ فيه الراديو؟ يجب أن يكون من السهل الوصول إليه إذا أرادوا الاستماع إلى الأخبار.

قال بيتر: "دعنا نذهب وننظر إلى السلالم".

سارت بتسي وكوري وبيتر جميعهم ببطء إلى أعلى وأسفل السلالم. شعرت كوري بأنها إمرأة عجوز تبلغ من العمر ٤٨ سنة تبحث في بيتها عن طريقة لخداع "العدو". لم يكن يبدو الأمر حقيقياً. بدأت كوري تضحك للموقف. نظر إليها بيتر نظرة حازمة، فتوقفت عن الضحك.

أعلن بيتر وهو يقف على السلالم خارج حجرة جدة: "هاهنا، أفضل مخبأ، انظري إلى هذا. لقد صنع لتخبئة شئ ما. سوف انتزع الألواح الخشبية، ويمكنك أن تضعي الراديو في التجويف. وسوف أضع الألواح مرة أخرى في مكانها على القمة، ويمكنك انتزاعها عندما تحتاجين للاستماع إلى الراديو". ابتسم بيتر لخطته، ثم أضاف: "إنه قريب أيضاً من البيانو".

لم تفهم كوري لماذا يعد القرب من البيانو هاماً، ولكن يبدو أن بيتر قد أعد كل شئ بإحكام"، وقال مفسراً ذلك فيما بعد: "إحداكما يمكنها أن تعزف البيانو بصوتٍ عالٍ بينما يستمع الآخرون إلى الأخبار. إنها خطة ناجحة تماماً".

نظرت كوري إلى إبن أختها الموسيقار المراهق، ولم تجد لديها رغبة في المزيد من الضحك. قالت لنفسها بحزن، إنه يجب أن يكون في المدرسة ليستعد للجامعة، لا أن يحلم بخطط يتغلب بها على ذكاء الجيش المحتل. وشعرت كوري بفيض من الكراهية للألمان. وقد أدهشتها حدة هذه الكراهية.

في وقت لاحق ذلك اليوم، حملت كوري راديو والدها القديم الرائع إلى دكان Vroom en Dreesman قام شرطي هولندى هناك بنسخ بيانات بطاقتها الشخصية، والتي كان يجب على كل

الشعب الهولندي الآن أن يحملها في كل الأوقات. وعندما فرغ من كتابة البيانات، نظر إلى خانة العناوين.

سألها الشرطي: "كورنيليا تن بووم، أرى إنكم ثلاثة تعيشون معاً في هذا العنوان. هل أنت متأكدة أن لديكم راديو واحد لجميعكم؟".

نظرت كوري إلى وجهه مباشرة وقالت: "بالطبع، لماذا نحتاج إلى أكثر من واحد؟".

اندفعت كوري إلى البيت لتخبر بيتر أنها أكملت أول عمل ضد غزاة بلدها. يوجد في المنزل الآن راديو غير شرعي مخبأ خلف درجة من درجات السلم.

في تلك الليلة وكل ليلة بعد ذلك، كان فرد من أفراد العائلة يرفع الألواح في السلم ويفتح الراديو على إذاعة الـ BBC في لندن. وفي نفس الوقت، يعزف شخص آخر نغمات عالية مرحة على البيانو ليغطي على صوت الراديو. وعندما كانت الإذاعة تنتهي، كانوا يجتمعون معاً في الردهة لسماع تقرير عن كيفية سير العمليات الحربية.

لسوء الحظ، لم تكن الأخبار جيدة في يوم من الأيام. في نهاية سنة ١٩٤٠ أصبحت فرنسا تحت الاحتلال الألماني أيضاً. وكان يبدو أن الفائدة الرئيسية التي تعود على ألمانيا من احتلال هولندا قربها من إنجلترا دوناً عن كل أقطار شمال أوروبا. كانت بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي لم تصبح تحت حكم هتلر. وكانت القاذفات الألمانية

تستخدم مطارات هولندا في شن الغارات الجوية على لندن. وعلى الرغم أن معظم الشعب الهولندى كان يشعر بالأسف لما يعانيه الإنجليز، إلا أنهم قالوا أيضاً إنه طالما كان الهدف الرئيسي من احتلال هولندا توجيه الضربات لبريطانيا، فإنهم في مأمن من الناحية المنطقية. كان يبدو ان الجيش الألماني يتخذ من هولندا نقطة ارتكاز لا أن يحاول تغييرها.

ولكن كوري كانت قد استمعت إلى كل ما قاله ويليم لها، وكان لديها إحساس بأن شيئاً رهيباً سوف يحدث في بلدها. في البداية لم تكن متأكدة مما سيحدث، ولكن شيئاً فشيئاً، بدأت العلامات تتضح. سرعان ما اضطرت كوري لاتخاذ قرارات تغير حياتها إلى الأبد وتغير حياة الذين أحبتهم.

الفصل الرابع

ضيوف معينون

كما يسري الدم في الضمادة، زحفت التغييرات عبر الحدود إلى داخل هولندا. فالجنود الألمان الذين كانوا يجيئون إلى دكان الساعات لم يكونوا مؤدبين كما كانوا من قبل. كانوا يسألون أسئلة ويحملقون من خلال الأبواب المفتوحة. وسرعان ما تبخر الارتياح الذي كان الشعب الهولندي يستمتع به. كانت هناك مضايقات بسيطة في أول الأمر. فازدادت عدد ساعات حظر التجول، حتى أصبح من المحظور أن يبقى شخص في الشوارع بعد الساعة الثامنة مساء. وفي كل ليلة كان من المحتم وضع ستائر سوداء على النوافذ حتى لا تستطيع المقاتلات البريطانية رؤية الأضواء في الجو مما يساعدها على تحديد أهدافها.

كان عدد كبير من الأشياء التي تعتبر مسلماً بها قد اختفت من فوق أرفف المتاجر. وكان لا يتم شراء بعض الأشياء سوى من السوق السوداء فقط، وكان يستحيل العثور على أشياء أخرى. أصبح البن أغلى من الذهب، وكان من الصعب العثور على الأحذية والملابس. لم يعد كاسبرتن بووم في مقدوره شراء السيجار الذي كان يحب أن يدخنه في الردهة في المساء، وكانت بتسى تعيد سلق عظام الضأن خمس أو ست

مرات لاستخلاص كل ما يمكن استخلاصه من نكهة وطعم منه. فاترينات العرض في المتاجر والتي كانت مليئة من قبل بالبضاعة لم يكن بها الآن سوى العلب الفارغة الملفوفة بعناية والملصقات الكبرى لأدولف هتلر والتي تؤكد للمواطنين الهولنديين أن تضحيتهم سوف تعمل على مساعدة الجنود الألمان في الحصول على الغذاء والكساء.

ولكن بعض القوانين النازية، كانت تجعل الشعب الهولندي يضحك. وعلى سبيل المثال، فقد حظر النازيون كل الزهور والنباتات البرتقالية اللون في هولندا!

ولكن لم تكن هذه سوى مضايقات بسيطة مقارنة بما كان يحدث للـ ١١٥,٠٠٠ يهودي الذين كانوا يعيشون في هولندا. كان يتم عزلهم ببطء ولا رحمة عن بقية المجتمع الهولندي. كانت واجهات العرض في المتاجر تحمل لاقتات تقول: "يحظر البيع لليهود". وكان يحظر وجود اليهود أيضاً في المكتبات العامة والمطاعم. تم فصل جميع اليهود الهولنديين الذين كانوا يشغلون وظائف حكومية، أما جميع "العاطلين والذين لا يرجى منهم نفع" كانوا يجمعون في مكان واحد ويرسلون إلى معسكرات العمل في شرق هولندا. فقد أجبر ما يزيد على ٨٠٠٠ رجل على ترك عائلاتهم، دون أن يعرفوا إلى أين هم ذاهبون أو إذا كانوا سيرجعون، أم لا. أغلقت العديد من الشركات اليهودية المألوفة القديمة فجأة. ففي يوم كان تاجر وعائلته يعمل على خدمة العملاء، وفي

اليوم التالي كان المتجر يغلق أبوابه ولا يسمع شئ ما بعد ذلك عن التاجر وعن عائلته. هل هربوا من هولندا أم أخذوا إلى معسكرات العمل؟ لم يكن أحد يعرف على وجه اليقين، ولم يكن أحد يريد أن يسأل العديد من الأسئلة.

كان يبدو أنه في كل أسبوع كان الألمان يسنون قانوناً جديداً لليهود. غير مسموح لليهود بالسفر دون تصاريح. كان على الأطفال اليهود دخول مدارس يهودية فقط. لم يكن مسموحاً ليهودي بامتلاك دراجة، واستخدام المواصلات العامة، أو قبول الركوب في سيارة خاصة. وكلما شاهد الجنود الألمان يهوداً في الشارع، كانوا يهزأون بهم. توقعت كوري ذلك من الألمان، ولكن المؤسف ان عدداً كبيراً من أفراد الشعب الهولندي قد أصبحوا قساة في التعامل مع جيرانهم من اليهود. كون النازيون جماعة في هولندا تدعى الرابطة الاشتراكية القومية (NSB)، وكان عدد كبير من أفراد الشعب الهولندي شغوفين بالانضمام إلى الجماعة. كان يحصل أعضاء هذه الرابطة على أفضل المساكن، وأفضل كوبونات للحصول على الطعام، والحصول على أماكن في أول الصف عند وصول منتجات جديدة إلى التاجر. كان البنزين يرد للسيارات وعربات نقل البضائع بكميات محدودة أيضاً، أما الجيش الألماني وأفراد الـ (NSB) كان يمكنهم شراؤه بطريقة أسهل عن بقية أفراد الشعب الهولندي. كان يبدو أن إعطاء كوبونات زائدة للحصول على السلع، وتوفير السكن، أو تقديم البنزين،

نـوع مـن تبادل المنفعة العادل لأجل تدعيم النازي ومراقبة أنشطة اليهود. ولكـن ما كان يخيف كوري بصورة أكبر هؤلاء الأفراد الذين انضموا إلى الـ NSB والذيـن كـانوا يؤمـنون حقاً بما قاله هتلر وأراده بأن تكون هولندا جزءاً من جنسه المتميز.

كانـت الحـرب تـتخذ بعـض المـنعطفات الـتي تجمـد الـدم في العـروق. فلدهشـة الجمـيع أمـر هتلر في يونيو سنة ١٩٤١ الجيش الألماني بمهاجمـة الجـيش الروسـي. مع أن الروس كان المفروض أن يكونوا حلفاء لألمانيا في الحرب. وعندما سمع أفراد عائلة تن بووم عن أخبار الهجوم في راديـو هولندا، اصيبوا بالصدمة. أي جنون أصاب أدولف هتلر لدرجة أنه يهـاجم حلفـاءه؟ وكالكـثيرين غيرهم في هولندا، بدأوا يشعرون بالقلق لأنه إذا استطاع أن يفعل مثل هذا الشئ مع الروس، فما الذي يمكن أن يفعله مـع الهولنديين؟ شعور غريب اجتاح هولندا. لم يكن أحد يعرف من يمكن أن يضـعوا ثقـتهم فـيه بعـد أو مـن سيكون الشخص اليهودي التالي الذي سيختفي.

ثـم وضـع الألمـان قانونـاً جديداً فرض على اليهود كلما ظهروا علـناً أن يـرتدوا فوق ملابسهم قطعة قماش تحمل نجمة داود كبيرة صفراء اللـون مـع كـتابة كلمة "يهودى" عليها. عندما قرأ كاسبرتن بووم عن هذا القانون الجديد في الصحيفة، لبس قبعته ومعطفه.

سألته بتسى وهو يغادر المنزل: "أين أنت ذاهب؟"

قال لها: "سوف ترين سريعاً بما فيه الكفاية"

رجع بعد ساعتين ووضع قطعة قماش عليها نجمة داود صفراء بارزة على ذراع كرسيه. ثم سألها عاجلاً: "يا بتسى، هل يمكنك أن تحيكي هذه فوق معطفي، من فضلك؟".

نظرت كوري وبتسى إلى قطعة القماش، ثم نظرت كل منهما إلى الأخرى. تعرفت كوري على نظرة الرعب في عينى أختها.

قالت كوري باندفاع: "لا، يا أبي، لن يفيدك أن ترتدي هذا"

رفع كاسبرتن بووم رأسه، وكانت عيناه اللامعتان الزرقاوان تلمعان من خلال نظارته الخالية من الإطار: "إذا كان يستحسن أن يعاني شعب الله، فيستحسن بالنسبة لي أن أعاني معهم".

جلست ابنتاه بجواره وبدأتا عملية طويلة لإقناع أبيهم العنيد بوجود طرق أجدى لمساعدة اليهود، وأن المخاطرة بتعريض نفسه للقبض عليه الآن لن يفيد شيئاً.

أخيراً، تم إقناعه ووضع قطعة القماش التي تحمل النجمة الصفراء بحب في صفحات الكتاب المقدس الخاص بالعائلة. ومع أنه لم يلبس قطعة القماش إطلاقاً، عرفت إبنتاه أنه كان على استعداد أن يفعل ذلك بفخر، لقد كان على استعداد أن يعاني بل وأن يموت لمساعدة المضطهدين والمنبوذين من اليهود.

كان يوم الأحد ١٠ مايو سنة ١٩٤٢، هو الذكرى الثانية لقصف ألمانيا لهولندا بالقنابل. شعرت كوري وبتسى ووالدهما بالحاجة للخروج من المنزل لعدة ساعات، ولذا فقد قرروا أن يقوموا بزيارة فلسن، وهي مدينة مجاورة حيث كان إبن اختهما بيتر يعزف الأرغن في كنيسة.

كان كل أفراد عائلة تن بووم موسيقيين، ولكن بيتر كانت لديه موهبة خاصة وكان قد فاز بمركز عازف الأرغن متقدماً على أربعين شخص آخر تقدموا لهذه الوظيفة. كانت كوري مسرورة بنوع خاص لذلك لأن العمل كعازف أرغن في هولندا وظيفة هامة. كانت تأمل أن تحمي بيتر من إرساله إلى ألمانيا للعمل في مصنع كالكثيرين من الشباب الهولندي.

بعد ركوبهم قطار بطئ من هارلم، وصلت كوري وبتسى ووالدهما إلى الكنيسة الهولندية المصلحة في فلسن. كانت الخدمة قد بدأت بالفعل، ولذا فقد اضطروا للجلوس في المقعد الخلفي. منذ بداية الاحتلال، كانت الكنائس في كل أنحاء هولندا أكثر امتلاءً بالناس في أيام الآحاد عما كان الحال عليه قبل الاحتلال. وفي بعض الأحيان كان عدد الحاضرين كبيراً لدرجة أنهم كانوا يقفون في الشارع.

كانت الخدمة تسير وفقاً للنمط المعتاد ـ ترنيمة افتتاحية، ثم صلاة، فترنيمة أخرى، ثم العظة، يقدم فيها الراعي بعض التعليقات ـ المختصرة والمصاغة بكلمات لينة ـ عن الاحتلال. فهمت كوري تماماً سبب

الحـذر. فمـن المحـتمل وجـود جواسـيس ألمـان في الكنيسة. وعندما وقفوا ليرنمـوا آخـر ترنـيمة، أخذت كوري تسترجع بعض عظات أخيها ويليم. فقـد كان شيئاً طيباً أنه لم يعد يلقي تلك العظات في أيام الآحاد. فالطريقة التي كـان يـتحدث بهـا عـن الـنازي، كـان يمكـن أن تجعـلهم يمسكوه ويسجنوه منذ مدة طويلة.

عند انتهاء الترنيمة، أغلقت كوري كتاب الترنيم وجلست مع بقـية الحاضرين. ولكن لدهشة الجميع، استمرت موسيقى الأرغن. شهقت كـوري. هـل بـيتر غـير ملتفـت لمـا يحـدث؟ كانت تأمل أن يدرك غلطته بسـرعة. كـان يبدو إنه لم يتدارك خطأه. استمر يعزف، بصوت أعلى عن ذي قبل. وبينما كانت كوري تستمع، أدركت أنه لم يعد يعزف الترنيمة. فـبدلاً مـن ذلـك، تعرفـت على لحن "Wilhelmus"، النشيد الوطني لهولـندا. وضـعت كوري وجـهها في يديها في فزع. كان الجميع يعرفون أن الألمان قد حرّموا عزف النشيد الوطني منذ عدة شهور.

بيـنما كانـت كـوري تجلس قلقة بشأن القبض على بيتر والزج بـه في غياهـب السـجون، أحست أن أباها بجوارها يقف على قدميه، ثم سمعـت صـوته القـوي الواضـح يلـتقط لحـن النشـيد. وكمـا لـو كـان الأعضـاءالآخرون ينـتظرون قـائداً، فقـد وقفـوا واشتركوا في ترديد النشيد، حـتى وقـف كـل الحاضـرين. مـلأت الكـلمات المـثيرة للنشيد كل ركن في الكنيسـة. كانـت لحظـة رائعـة، وحـتى كـوري امتلأت بالفخر والحماس

الوطني. ولكن عندما بدأ القرار الأخير للنشيد يخرج بصوت خافت من أنابيب الأرغن القديم، بدأت كوري تشعر بالقلق بشأن الثمن الذي كان على إبن اختها المحبوب لديها أن يدفعه بسبب هذا العمل الدال على العصيان ضد النازي.

لم تكن بحاجة لانتظار طويل حتى تتكشف الحقائق. فبعد ثلاثة أيام قبض على بيتر وأرسل إلى السجن في أمستردام. بكت كوري عليه كما بكت لأجل كل شباب هولندا. كانت تتساءل عما يمكن أن يحدث لهم قبل أن ينزاح الكابوس الذي جثم على صدر هولندا.

مع وجود بيتر في السجن تساءلت كوري عما إذا كانت العائلة كلها مراقبة. كم سيمضي من الوقت قبل أن يفقد والد بيتر، فليب وظيفته كمدير مدرسة أو عندما يزور شخص ما ويليم وتاين لفحص سجلات كبار السن في دار المسنين؟ حاول ويليم جاهداً أن يخفي حقيقة أن معظم الذين كان يعتني بهم كانوا يهوداً، ولكن ذلك كان صعباً. وحيث أن الحكومة الهولندية لم تأخذ التهديد بالهجوم من قبل الألمان مأخذ الجد، فإنها لم تدمر أي وثائق رسمية. وعندما استولى الألمان على هولندا بعد مدة زمنية، كان هذا التأخير من جانب الألمان في احتلال هولندا يعني وجود سجلات مفصلة ودقيقة للمعتقدات السياسية والدينية لكل شخص. ولو قرر الألمان فحص السجلات في دار ويليم للمسنين، كان من السهل أن يجدوا دليلاً كافياً للقبض عليه وترحيله.

لم يكن هناك وقت كاف في شهرى مايو أو يونيو للتفكير كثيراً فيما حدث لبيتر. كانت أشياء رديئة تحدث بسرعة في هولندا. في أوائل يونيو، جاء ويليم لزيارة بيت العائلة (البيج). كان يبدو أن لديه معلومات مؤكدة عن الموقف بالنسبة لليهود أكثر من أي شخص آخر، ولكن كوري كانت لا تزال تجد صعوبة في تصديق ما كان يقوله لها. هل صحيح أن النازي قد أمروا بإبلاغ كل يهودي عن نفسه حتى يتم شحنهم لمعسكرات العمل؟

سألت ويليم: "وماذا بشأن كبار السن والضعاف عقلياً؟ بالتأكيد فإن النازي لا يريدونهم".

أومأ ويليم رأسه بالموافقة وقال: "أعتقد أن لديهم خطة أخرى بخلاف العمل لهؤلاء الناس. إنهم يريدون محو اليهود من على وجه الأرض".

أغلقت كوري عينيها. كانت قلوب النازي مليئة بالكراهية، من أين جاءت، والأهم من ذلك، هل سوف تقف عند حد معين؟

بعد مرور ثلاثة أيام من تحذير ويليم بشأن ما كان ينتظر اليهود، وصلت مسز كلير ميكر إلى دكان الساعات. كانت الساعة حوالي الثامنة مساء إلا عشر دقائق، وكانت تحمل حقيبة وترتدي ما كان يشبه أربعة أو خمسة أطقم من الملابس. عندما فتحت كوري الباب لأول مرة، شعرت مسز كلير ميكر بخوف شديد لدرجة إنها لم تستطع الكلام. ولكن

بعد شرب فنجان من القهوة الخفيفة المصنوعة من التين المطحون، بدأت تكشف ببطء عن تفاصيل قصتها.

كان قد قبض على زوجها منذ عدة أسابيع، وأصبح ابنها "غواصاً". (كلمة "غواص" هى كلمة هولندية جديدة تعني الشخص الذي تواري عن الأنظار لتجنب القبض عليه من قبل النازي). كانت مسز كلير ميكر نفسها في بيتها عندما شاهدت جنوداً هولنديين يدعو شكلهم إلى الشك والريبة يقفون حول الباب الأمامي. ارتدت وهى خائفة ملابسها الثقيلة، وجمعت القليل من متعلقاتها، وهربت من الباب الخلفي. كانت خائفة جداً لدرجة أنها لم تستطع العودة إلى المنزل وأرادت أن تعرف إن كانت عائلة تن بووم يمكن أن تساعدها، فلم يكن لديها مكان آخر تلجأ إليه.

لم تكن بحاجة لأن تحكي المزيد. لم يكن كاسبرتن بووم قد حاك قطعة القماش التي تحمل نجمة داود الصفراء فوق معطفه، ولكنه كان على استعداد لمساعدة أي يهودي يكون في احتياج. دعا مسز كلير ميكر لتبقى في منزل الأسرة (البيج) حتى يتم عمل الترتيبات اللازمة.

في خلال أسبوع، تكرر نفس الموقف. في هذه المرة كان هناك شخصان مذعوران يقفان عند الباب. ثم إدخالهما إلى حجرة الطعام وتهدئة مخاوفهما بتقديم بعض القهوة الساخنة المصنوعة من التين المطحون.

عـندما صبت كـوري لهمـا فـنجاناً ثانـياً مـن القهوة، دهشت لـرباطة جـأش الـرجلين في مواجهـة مـثل هـذا الجـنون. كانت عائلتاهما تعيشـان في هولندا منذ القرن السادس عشر، وكانت لجان التفتيش طردت أجدادهـم من أسبانيا والبرتغال. والآن فقد كانا يطاردان كالكلاب من قبل قوات البوليس التي كانت مخلصة من قبل للملكة المحبة للسلام.

ولم يكـن هناك الكثير من الوقت للتفكير في مدى سوء الأحوال في هولندا، فقد كانت هناك الكثير جداً من الأمور العملية التي كان ينبغي الـتعامل معها. وأهم هذه الأمور، التي كانت بحاجة لتعامل فوري معها، كانـت مشـكلة الحصول على طعامٍ كافٍ. فبدلاً من ثلاثة أفراد فقط كانوا يعيشـون في بيـت العائلـة (البـيج)، كـان يوجـد الآن سـتة أفـراد، ولأن الضـيوف الـثلاثة كـانوا يهـوداً، لم يكن لديهم بطاقات تموينية. ولم يكن بمقـدور العائلـة زراعـة الخضـراوات في حديقة، لأن البيت كان يقع على ناصية مـزدحمة في وسـط المدينة ولم يكن هناك مكان لبوصة واحدة تصلح كحديقـة في أي مكان حوله. كان عليهم أن يجدوا بكيفية ما طريقة أخرى للحصول على طعام يكفيهم جميعاً ليأكلوا.

عـندما كانـت كـوري تفكـر في المشـكلة، كانـت تدرك أنها لا تعـرف مـاذا تفعـل. الشـئ الوحـيد الـذي كانـت تستطيع التفكير فيه أن تـتحدث مـع ويلـيم عـن الموقـف. كانـت تعـرف أنـه كـان عـلى صـلة بالجماعـات السـرية الـتي تعمـل في الخفـاء، وربمـا كانـت له صـلة بمـن

يستطيع تقديم المساعدة. وفي اليوم التالي أخذت القطار المتجه إلى هلفرسوم. وفي أثناء ركوبها القطار، قررت أن أفضل شئ "للضيوف" الثلاثة أن ينتقلوا إلى الريف إن أمكن. هناك يكونون أكثر حرية للتحرك هنا وهناك، بل يمكنهم مساعدة الفلاحين ويحصلون على حمايتهم. وبغض النظر عن مقدار ما كان يطلبه النازي من الفلاحين الهولنديين لإرساله إلى الجبهة الألمانية، كانت كوري تعرف أن الفلاحين يمكنهم إيجاد وسيلة للاحتفاظ بطعام يكفيهم ويكفي مساعديهم.

عندما وصلت كوري إلى دار المسنين الخاص بويليم، وجدت أخيها مكباً على دفتر حسابات في مكتبه. دخلت إليه وأغلقت الباب عامدة خلفها. قالت له: "لقد جئت لأناقش معك مسألة خاصة".

رفع ويليم حاجبيه وقال: "ماذا وراء أختي الجريئة من أخبار حتى الآن؟" سألها هذا السؤال بصوت مرح وغير جاد، على الرغم أن كوري استطاعت أن تتبين اهتمامة الكامن خلف ضحكته.

قالت: "لدينا ضيوف معينون في بيت العائلة، ونعاني من مشكلة إيجاد طعام لهم جميعاً".

استدرك ويليم فوراً قائلاً: "كم عدد الذين تتحدثين عنهم؟"

أجابت كوري بأمانة: "إنهم ثلاثة حالياً، ولكن لا أستطيع أن أقول بالتأكيد انه لا يمكن أن ينضم إليهم ثلاثة آخرون في الوقت الذي أصل فيه للمنزل".

ضرب ويليم بأصابعه على المكتب وقال: "لي اتصالات معينة، واعتقد أني سوف أتمكن من إيجاد مساكن لهم، لو كان معهم بطاقات تموينية".

نظرت كوري لأخيها وهي مصدومة واندفعت تقول: "بطاقات تموينية، بالطبع ليس لديهم بطاقات تموينية. إنهم يهود!".

مد ويليم يده عبر المكتب ووضع يده على ذراع كوري قائلاً: "ليس لديهم بطاقات تموينية الآن، ولكن يمكن أن تكون معهم البطاقات الأسبوع القادم، قال ذلك بنوع من التأكيد وليس كسؤال يتطلب إجابة.

كانت كوري في دوامة من الأفكار، وحاولت أن تفهم ما يمكن أن يعنيه، ولكنها لم تستطع.

مضى ويليم يقول: "هناك طرق للحصول على بطاقات تموينية، فمثلاً، يمكنك أن تسرقيها...".

ظلت كلماته معلقة في الهواء.

شهقت كوري أخيراً، وقد أصيبت بالذهول بسبب اقتراح أخيها: "هل يمكنك أن تفعل ذلك؟".

أجاب برقة: "كلا، فالجنود يراقبون كل تحركاتي. ما أقصده هو أنتِ يا كوري. يمكنك أنتِ أن تسرقيها".

بعد مضى ساعتين وهى تمشي في طريق العودة إلى بيت العائلة، لم تكن كوري قد أفاقت بعد من صدمة اقتراح أخيها. ما الذي

كـان يفكـر فـيه ويليم؟ ها هى، صانعة ساعات وعانس في سن الخمسين، لم تسـرق حـتى مشبك ورق من بنك، والمفروض أن تسرق بطاقات تموينية تحـت سمـع وبصر الألمان. أرادت وهى تهرول في الشارع أن تصرخ قائلة: "كـلا!" لم تكـن تـريد لعالمهـا أن ينقلـب رأسـاً على عقب. فلو أمسكت، لأرسـلت إلى معسـكر للعمل بالتأكيد، وهكذا بالنسبة لبتسى وأبيها. إنهما أكبر من أن يقدما على تصرفات كهذه.

ولكـن بمجـرد أن فتحـت كـوري الباب الجانبي لبيت العائلة ودخلـت، امـتلكها سلام عجيب. هؤلاء اليهود المحبطون قد جاءوا إليهم للحصول على المأوى، ولن يتم التخلي عنهم. ومهما كلفها ذلك من عناء، فقـد تعـاهدت كـوري تـن بـووم بيـنها وبين نفسها بأن تبحث عن وسيلة لمساعدة هؤلاء الناس.

الفصل الخامس

الحجرة السرية

أخذت كوري تتقلب في الفراش في تلك الليلة في حجرتها في الطابق العلوي من بيت العائلة. حاولت أن تتخيل نفسها وهى تندفع نحو مكتب الغذاء وتطلب بطاقات تموينية وإلا. وإلا ماذا؟ ماذا في إمكانها أن تفعله؟. ثم عندما أعلنت أجراس كنيسة القديس بافو منتصف الليل، واتتها فكرة جديدة إنها ليست مضطرة لسرقة بطاقات تموينية بنفسها. هناك عدد كبير من النساء والرجال الهولنديين بإمكانهم مساعدتها. وأخيراً بدأت تنام بالتدريج مع بداية لخطة أخذت تتشكل في عقلها. تذكرت أن زوج امرأة في الكنيسة كان يعمل في مكتب الغذاء في هارلم. كان اسمه فريد كورنسترا، وربما كان بإمكانه مساعدتها.

بعد ظهر اليوم التالي، دفعت كوري دراجتها القديمة في الزقاق وبدأت في رحلة قصيرة إلى منزل كورنسترا. مثل كل الدراجات الأخرى بعد ظهر ذلك اليوم، كانت دراجتها تحدث قعقعة مزعجة فوق أحجار الطريق. منذ سنة مضت، فرض الألمان على كل الناس في هولندا تسليم إطارات دراجاتهم لشحنها إلى ألمانيا لتساعد في المجهود الحربي.

افترضت كوري أن المطاط في تلك الإطارات قد استخدم لعمل إطارات الشاحنات الضخمة.

بينما كانت كوري تدفع دراجاتها ضد الريح، كانت تفكر فيما عساها أن تفعله. إنها لم تكن تعرف عائلة كورنسترا جيداً. ماذا يمكن أن يحدث لو كانوا منحازين لجانب النازي؟ وما الذي يمكن أن يحدث لو أتضح أنهم هولنديون عملاء بغرض الحصول على مكافأة مالية؟ أثناء ركوبها الدراجة في الطريق، صلت أن يحدث شئ يمنعها من الوصول إلى بيتهم لو كان الذهاب إلى هناك يحمل مخاطرة لها. لم يحدث شئ، وسرعان ما وجدت كوري نفسها تطلب المساعدة من فريد كورنسترا. استمع إليها دون أن يتكلم كثيراً، وبدأت كوري تخشى أن تكون قد تورطت. ولكن كما اتضح فيما بعد، فقد كان يفكر جدياً في وضع خطة. وفي النهاية، قرر فريد كورنسترا أن يجد صديقاً يدخل إلى مكتب الغذاء عندما يكون لوحده مع عامل آخر فقط هناك. سوف يقوم صديقه بربط فريد والعامل الآخر وسرقة بعض البطاقات التموينية. شكرت كوري فريد وانتظرت لرؤية ما سيحدث. في يوم الأربعاء التالي، سمعت الخبر: تم السطو على مكتب الغذاء وتم اكتشاف ضياع مائة بطاقة تموينية. حاول الموظفان في المكتب في ذلك الوقت التصدي للص، ولكنهما تعرضا للضرب وتم تقييدهما.

في اليوم التالي، زارت كوري فريد كورتسترا لترى كيفية شفائه من الإصابات التي ألمت به. كانت عينه اليمنى متورمة ومغلقة، وكان هناك جرح بليغ في جبهته، ولكنه ابتسم عندما رأى كوري. أعطاها لفة "لاقتسامها" مع عائلتها. وعندما عادت كوري إلى المنزل وفتحتها، كانت هناك مائة بطاقة تموينية بداخلها.

كان الحصول على بطاقات تموينية كافية مجرد البداية لأشياء أخرى تحدث في منزل العائلة. لم تفكر كوري، وبتسى، أو والدهما كاسبرتن بووم كثيراً في بعض الجوانب الأخرى المتعلقة باختباء الناس لمدة طويلة، ولكن المساعدة كانت في الطريق.

بعد حدوث السرقة بأسبوع، فتحت كوري الباب لتجد إمرأة يهودية وأطفالها الثلاثة الصغار واقفين هناك. أدخلتهم ثم أرتهم الطريق إلى حجرة الطعام، حيث أعطت بتسى لكل واحد منهم كوباً من الحساء. وبمجرد أن أنتهت كوري وبتسى من إجلاس الأطفال على وسائد موضوعة على كراسي حجرة الطعام، سمع طرق على الباب الجانبي. اندهشت بتسى وأخرجت المزيد من الأكواب من البوفيه. سوف تكون ليلة مليئة بالأحداث.

اندفعت كوري تجاه الباب. كان الوقت بعد حظر التجول، ووجود أي شخص على سلم بيتهم سوف يعرضهم جميعاً للخطر. فتحت كوري الباب وشدت المرأة العريضة الأكتاف الواقفة هناك إلى الداخل.

أدركت فقط في ضوء دكان الساعات أنها لم تكن إمرأة إطلاقاً، بل كيك، الابن الأكبر لأخيها ويليم.

سألته كوري: "ماذا تفعل هاهنا؟ هل عائلتك بخير؟"

أومأ كيك رأسه بالموافقة ثم قال: "نعم يا "طنط" كوري، لقد أتيت لآخذك إلى مكان ما". ثم نظر إلى فستانها الرقيق وأردف قائلاً "البسي معطفاً الان، واتبعيني".

لم تجرؤ كوري على توجيه المزيد من الأسئلة. علمت أنه لابد أن الأمر هام حتى يخاطر كلاهما بالسير بعد حظر التجول. أسرعت إلى غرفتها وأمسكت بمعطفها. عندما نزلت، كان كيك يلف ملاءة قديمة حول حافة عجلتي دراجتها. قال وهو يبتسم: "انه منظر غير جذاب ولكنه بالتأكيد يقلل من الضوضاء".

أومأت كوري رأسها بالموافقة واتبعت إبن أخيها شاكرة في تلك الأمسية الباردة المليئة بالحياة.

مضى ما يقرب من ساعة قبل أن يبطئ كيك من خطوته. كانت ليلة ظلماء، وكنت كل أنوار الشارع مطفأة بالطبع، ولذا كان على كوري أن تجهد عينيها حتى ترى معطف كيك الرمادي اللون وربطة عنقه الخضراء. أخذا يخترقان الأزقة الخلفية، فوق الكباري، وفيما بين قواعد الأشجار، حتى أشار كيك أخيراً لكوري كي تقف. كانا أمام منزل كبير فخم. نزل كيك ونزلت كوري من فوق دراجتيهما، ثم مد كيك يده

وسحب دراجة كوري لتكون في مستوى واحد مع دراجته. وبوضع يد واحدة على دراجة، ورفع الدراجتين في الهواء صعد بهما فوق السلم العريض للمنزل. لم يكن هناك ما يدعو لرن جرس الباب. فتح الباب في اللحظة المناسبة، ودخل كيك، يحمل دراجة في كل يد، كما لو كان معتاداً على ذلك عند زيارة الجميع. تبعته كوري مباشرة. وعند دخولهما، خلع كيك معطف المرأة وفك ربطة عنقها.

دهشت كوري لرؤية ما لا يقل عن ثلاثين دراجة مصطفة على طول جانبي الردهة بداخل البيت. تساءلت عن نوع هذا الاجتماع الذي يجعل كل هذا العدد من الناس يخاطرون بأنفسهم ويتعرضون للقبض عليهم بعد سريان حظر التجول. قبل أن تتاح لها الفرصة للتفكير في الإجابة، أشار واحد إليها هي وكيك للدخول إلى الحجرة الأمامية، حيث كان الناس يجلسون في مجموعات صغيرة، غارقين في مناقشات جادة. قدمت خادمة لكوري فنجاناً من القهوة. توقعت كوري ان تكون هذه القهوة مصنوعة من التين المطحون وقد ظل الناس يشربونها باعتبارها قهوة طوال الـ ١٨ شهراً في بيت العائلة، ولكنها لحسن الحظ كانت مخطئة. صبت الخادمة من وعاء القهوة الفضي الأنيق أجود أنواع القهوة ذات الرائحة الحلوة التي رأتها كوري منذ وقت طويل. ظلت كوري تتذكر الرائحة الرائعة لتلك القهوة من بين كل الأشياء التي حدثت في تلك الليلة الغريبة.

كـان يبدو أن كيك يعرف كل شخص في الحجرة، مع أنه قدم كـل واحد على أنه مستر أو مسز "سميث". فهمت كوري تماماً، أنه كلما كـان الـناس أقـل قدرة على إخبار النازي عن الآخرين، كان ذلك أفضل. وسـرعان مـا شـرح كـل واحـد من هؤلاء الناس الذين يحملون إسماً واحداً لكـوري كـيف يمكـنه أن يقـدم لهـا المساعدة. قال رجل أصلع أن بإمكانه الحصول على تصريح بدفن أجساد الغواصين* وقالت إمرأة ترتدي جوربا سمـيكاً أخضـر أنهـا تعـرف قابلـة تقـوم بتولـيد الأطفـال في الحـالات "الحـرجة". وعـرض شـاب تسـهيل الاتصال بتليفون بيت عائلة تن بووم (البـيج). وعرضت فتاة بجوار كوري أن تقوم بخدمات مزور ماهر للوثائق. حاولـت كـوري أن تكتب كل هذه المعلومات. ولكن رأسها كان يؤلمها. فلم تكـن قـد فكـرت مـن قـبل في أنـاس يموتـون أو يولد لهم أطفال سريين في البـيج: لأول مـرة فهمت أن عدداً كبيراً من هؤلاء الناس كانوا يتوقعون أن يمـتد أمـد الاحـتلال لعدة شهور أخرى، قد تصل لسنوات. ومن الواضح، أنهـا وبتسـي ووالدهـا، كـان علـيهم أن يفكـروا بجديـة أكـثر فيما يتعلق "بضيوفهم".

وفي طـريق عودتهـا في شـوارع هـارلم بعـد منتصـف الليل بمدة طويلـة، كانت تفكر كوري في المحادثة الأخيرة التي شاركت فيها. سألها

* الغواص هو الشخص الذي توارى عن الأنظار لتجنب القبض عليه من قبل النازي (المترجم)

رجل ذو شارب ضخم عن مكان اختباء الضيوف في البيج أثناء الغارة الجوية. اضطرت كوري لتعترف بأنه لا يوجد مكان لذلك، وأنه ربما يمكنهم الصعود إلى السطح والأختباء هناك. هز الرجل رأسه وقال: "لن يصلح هذا" فحياة الناس تتوقف على المكان الصحيح للأختباء. سوف أرسل لك شخصاً في الأيام القليلة القادمة. إسمه سميت وهو يبني أفضل الحجرات السرية في كل أنحاء هارلم".

كانت الأيام القليلة التالية تحمل الكثير من الأنباء كالأيام السابقة. أقام بعض الضيوف ليلة واحدة، والبعض أقام أسبوعاً، والبعض، مثل مايرموسيل، الذين أطلقوا عليه اسم "يوسى"، سوف يبقى حتى النهاية. كان يوسى قائداً للإنشاد في مجمع أمستردام، ولأن ملامحه يهودية، لم يستطع ويليم أن يجد أي واحد يمكنه أن يخاطر باستضافته. كان زوجة يوسى الحامل دورا وابناهما الصغيران أسعد حظاً، فقد تولى فلاح هولندي العناية بهم.

مع وصول المزيد من اليهود إلى البيج كل يوم، كانت كوري سعيدة جداً، عندما دخل إلى دكان الساعات في صباح أحد الأيام، بعد مضى أسبوع من اجتماع منتصف الليل، شخص يدعى "مستر سميت" وقدم نفسه باعتباره مفتشاً للمباني.

حيت كوري الرجل الضئيل الجسم وأرته كل التحذيرات التي فكرت فيها. كان هناك تحذير الساعة في النافذة. شرحت كوري له أنها

إذا كانت مقلوبة رأساً على عقب كان ذلك بمثابة تحذير من خطورة دخول أي شخص. قال مستر سميت إن هذه فكرة جيدة. ثم أرته كوري بعد ذلك مكان إخفاء الراديو تحت درجات السلم حيث كان محفوظاً. لقد أعجبه ذلك أيضاً، خاصة الطريقة التي تم بها إخفاء المفصّلة فوق درجة السلم. ثم ابتدآ يناقشان مكان وضع الحجرة السرية.

كان يجب أن تكون الحجرة كبيرة بما فيه الكفاية لتسع سبعة أو ثمانية أشخاص بالغين، وأوضح مستر سميت أنها يجب أن تكون في مكان مرتفع في المنزل بقدر الإمكان حتى يمكن أن تتاح للضيوف أفضل فرصة للوصول إليها حالما يدخل إلى البيت جندي في الطابق السفلي. قطبت كوري الجبين عندما سمعت ذلك. إن حجرة نومها أعلى حجرة في البيج، ولكن حجرتها صغيرة. كيف يمكن أن يكون هناك فراغ يكفي لإضافة حجرة سرية إليها؟

اتبعت كوري مستر سميت،وهي تصعد في بئر السلم الحلزوني.

وكلما صعد إلى أعلى، كان يشعر بالمزيد من الإثارة. صاح قائلاً: "يا له من بيت غير عادي!. لا يوجد جداران متقابلان عند زاوية قائمة، ولا توجد حجرتان في نفس المستوى. هذه فرصة رائعة. هنا يمكنني أن أقوم بأفضل عمل". قال ذلك وفتح باب حجرة كوري.

قـال بحس الفنان المرهف "آه، هنا سوف أعمل. وحالما أنتهى مـن مهمتي، فحتى أنتِ، يا سيدتي العزيزة، سوف تقسمين أنه لا توجد حجرة سرية هنا". لوح بذراعيه تجاه الجدار الأيسر لحجرتها.

قـبل أن تـتمكن كـوري مـن أن تقول كلمة، أزاح مستر سميت سـريرها جانباً، وأخرج قلم رصاص وشريطاً للقياس من جيبه، وبدأ يرسم رسماً كروكياً.

نامـت كـوري لـمدة أسـبوع عـلى الأريكة في الصالة بينما مستر سميـت، المهـندس المعمـاري والبـناء، ومستر سميت، المساعد، يعملان في حجـرتها. كـان سـيل منـتظم مـن "العملاء" يدخلون "البيج". أحدهم كان يحمـل معـه قالـبين مـن الطـوب أو ثلاثـة قوالـب ملفوفـة في قطعة قماش وموضـوعة في سلة كأرغفة خبز مخبوزة لتوها، بينما كان يحمل آخر معه. مـيزان مـاء وضـعه في جوربـه وغطـاه ببـنطلونه. حاولت كوري وبتسى أن تجعـل الـرجال يعملون بأكثر ما يمكنهم. وفي اليوم السادس، استدعاهما، مستر سميت المهندس المعماري والبناء واستدعى والدهما لرؤية ما صنعه.

شـهقت لورى، لم يكن هناك شئ يرونه! كانت الحجرة تبدو كمـا كانت بالضبط. كان الدولاب الحاوي للملابس باقياً في مكانه كما كان مـن قـبل، والمكتبة المثبتة بطول الحائط لها نفس الرفوف العتيقة البالية، وكـان الطـلاء الأصـفر على الحائط بارزاً في بعض المناطق كما كان من قبل حتى "كرانيش" الجدران كانت قديمة ومتربة.

سألت بتسي: "كيف فعلت ذلك؟"

ابتسم مستر سميث وقال: "جميعنا لدينا لمساتنا البسيطة التي ندعم بها المقاومة للعدو". ثم فتح باب دولاب الملابس مزهواً، ثم مد يده إلى الرف السفلي وأخرج مقبضاً. كان هناك صوت احتكاك بسيط عندما انزلق جزء من الحائط إلى الوراء. كانت توجد خلف هذا الجزء فجوة تكفي للزحف من خلالها.

ثم قال هو ينظر إلى كوري وبتسي: "هل يمكنكما أن تتحملا عناء المحاولة" زحفت كلتاهما مرة واحدة نحو الفراغ القائم بين الحائط القديم والحائط الجديد.

قالت كوري: "إنه أمر يدعو إلى الدهشة".

أومأت بتسي وهي تقول: "اعتقد أن الحجرة السرية عريضة بما فيه الكفاية لتسع مرتبة أيضاً".

أخرج مستر سميث رأسه من خلال الفجوة وقال لهما: "كما سوف تلاحظان، يا سيدتي، انها عالية بما فيه الكفاية حتى يمكن الوقوف فيها وعريضة بما فيه الكفاية حتى يمكن لثلاثة أو أربعة أشخاص أن يرقدوا فيها. لقد زحزحت أحد قوالب الطوب من مكانه في منتصف الحائط الخارجي. ويمكن إزالته لإدخال الهواء المنعش"

استدارت كوري وبتسي وزحفتا خارجتين من الحجرة السرية.

صاحت كوري: "يجب أن تنظر ما بداخلها، يا والدى. لقد نمت في هذه الحجرة لعدة سنوات، وأنا لا أكاد أصدق أنها موجودة هنا".

ابتسم كاسبرتن بووم وقال: "يا له من عمل رائع" ممتدحاً مستر سميت.

أجاب مستر سميت قائلاً: "شكراً لك، إني أعتبرها من أفضل الأعمال التي قمت بها. سوف تلاحظ أن الطوب قد استخدم بدلاً من الخشب للحائط. وبهذه الطريقة، فحتى لو تم الطرق على الحائط، فإنه لن يبدو أجوفاً. وألواح الأرضية قد سويت مع حافة الحائط الجديد. وبهذه الطريقة، فحتى لو أقتحم الجستابو المنزل وبدأوا في تحطيم الأرضية بحثاً عن مخبأ، فلن يجدوا ألواحاً أرضية تحت ما يفترض بأنه حائط خارجي. كلا، إنهم سوف يواجهون بمهمة صعبة في البحث عن هذه الحجرة السرية".

أومأ والد كوري رأسه. لم يعرف أحد في البيج بهذه الحجرة وقتئذ، ولكن كوري سوف تعلم فيما بعد بأن "مستر سميت" كان واحداً من أعظم المهندسين المعماريين في أوروبا.

وواصل مستر سميت حديثه قائلاً: "الآن هناك نقاط معينة أخرى في حاجة إلى نقاش. فالحجرة السرية وحدها لن تنقذ أحداً".

نزلوا جميعاً إلى أسفل بئر السلم الحلزوني واستقروا في حجرة الطعام. عملت بتسى دروقاً من الشاي بينما أعطى مستر سميت لكوري

قائمة من المؤشرات. أشار أولاً إلى أن كل شئ يمتلكه الضيف يجب وضعه في الحجرة السرية. وبهذه الطريقة، وعند سماع الإنذار، على الضيوف أن يهتموا فقط بالدخول في التجويف. وعندما يضطرون للهروب إلى الحجرة، عليهم أن يكونوا حريصين على أن يأخذوا معهم أي شئ كان يدل على قيامهم بعمل ما، سواء كان شغل إبرة، أو خطابات لم تكتمل، أو حتى رماد الغليون (البايب)، أي شئ يمكن أن ينبه الجستابو لوجود شخص ما آخر يعيش في البيت. فإذا كانوا يأكلون، عليهم أن يأخذوا طعامهم، وأطباقهم، وأوانيهم الفضية، أيضاً، فليس هناك طريقة لغسل الأطباق الزائدة وإزالتها مع ضيق المساحة الزمنية. ويجب أن تحوي الغرفة السرية أيضاً على مخزون مياه وفيتامينات في كل وقت، ويجب أن تكون هناك مرتبة على الأرض جنباً إلى جنب مع عدد من البطاطين ووعاء ذي غطاء يصلح كمرحاض.

أخذت كوري تفكر في كل التفاصيل الدقيقة. وكانت تأمل أن تتذكرها كلها. ولكن مستر سميت لم يكمل حديثه بعد فقال: "إن منتصف الليل هو الوقت المفضل لغارات الجستابو. فيجب التدريب على أن توقظوا بعضكم بعضاً من النوم العميق وتذهبوا إلى الحجرة بأسرع ما يمكن في الظلام الدامس. تذكروا أن الهدوء يكون أكثر في الليل. وعلى كل شخص أن يرتدي جورباً فقط، مع الامتناع عن الحديث. ثم شئ آخر - إذا حدثت غارة في الليل، على كل واحد أن يقلب مرتبته أو مرتبتها.

فضابط الجستابو لا يقتنع بوجود مكان دافئ في سرير فارغ، أليس كذلك؟".

افترضت كوري أن الأمر كذلك بالفعل، ولكنها لم تستطع أن تتصور أن بعض الأمهات الشابات والنساء المتقدمات في السن اللواتي يقمن معهن يمكنهن أن يطوين مراتبهن في الظلام ثم يسحبن ثلاثة أو أربعة أطفال إلى الحجرة السرية.

قال مستر سميت وهو يرتشف الشاي: "أوه، وأنتم بحاجة لنوع من نظام الإنذار داخل المنزل. سوف أتفق مع شخص ما لكي يدخل لكم هذا النظام سريعاً. وهناك أيضاً غسيل الملابس. لاحظوا الملابس المعدة للغسيل، وعما إذا كانت هناك أي ملابس لا تناسب أحداً منكم ومعّلقة على حبل الغسيل أو معّلقة بجوار الموقد..." هز رأسه قبل أن تموت الكلمات على شفتيه. فهمت كوري مقصده.

غادر مستر سميت البيج بعد عشر دقائق. وعندما أوصلته كوري إلى الباب، قدم نصيحة أخيرة. "لاحظوا الروتين. لا يصح أن يستغرق كل ضيوفكم أكثر من دقيقة واحدة للتحرك من مكان تواجدهم إلى الحجرة السرية".

اغلقت كوري الباب خلفه ورجعت إلى حجرة الطعام. ألقت بنفسها على كرسي وهى تشعر أنها منهكة تماماً. كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ المفروض أن يختفي سبعة أو ثمانية أشخاص دون أن يتركوا أثراً في

مـدة سـتين ثانية! سوف يحاولون ذلك بقدر ما يمكنهم، ولكنها صلت في سرها حتى لا يضطروا لإثبات إمكان تحقيق ذلك في موقف طارئ فعلي.

الفصل السادس

غاسل الشباك

سأل ويليم كوري: "أي نفع يمكن أن يرجى من إبعادها؟ انها لا تستطيع أن تعمل وسوف يتطلب نقلها في إحدى قطاراتهم جهداً ومالاً". كان ويليم يشير إلى المرأة اليهودية العمياء التي تبلغ من العمر ٩١ عاماً والتي حملها النازي من دار المسنين الذي أقامه. حملقت كوري في عينيه المتعبتين، ولم يكن لديها إجابة. ظل العديد من الأسئلة بلا إجابة الآن في هولندا. وكان مجرد توجيه الأسئلة مؤلماً في معظم الأوقات وبحلول عام ١٩٤٣، لم يكن هناك سوى عدد قليل من اليهود في البلاد، وكانوا مختبئين جميعهم. أما الذين كان يعثر عليهم كانوا يكومون في القطارات ويشحنون إلى معسكرات الاعتقال، فلا يسمع أحد عنهم شيئاً بعد ذلك.

بحلول صيف عام ١٩٤٣، كان يوجد في البيج ستة ضيوف دائمين، أربعة منهم يهود، وسيل لا ينقطع من الناس الآخرين، أغلبهم من الرجال الهولنديين الذين كانوا يحاولون تجنب إرسالهم إلى معسكرات العمل. في بعض الأحيان، عندما لم يكن الموقف شديد التوتر، كان هانز، أحد الضيوف، يقضي عدة ساعات في إعادة كتابة الأوراق والخطابات التي كانت تخبر الشعب الهولندي عن الأشياء الرهيبة الحادثة في بلدهم

وفي ألمانيا، وكان يوضح لهم كيفية قيامهم بدور في المساعدة على توقفها. وفي أحيان أخرى، مثلما حدث عندما تم القبض على نوللى لأنها خبأت فتاة يهودية في بيتها، كان من الخطورة بمكان عمل الشئ الكثير، ولكن كان يكفي فقط الإنحناء للعاصفة والانتظار. في خلال تلك الأوقات، كان الرجال يتنقلون لمدة ساعتين وهم ينظرون من خلال الستائر السوداء على أمل أنه إذا قام الجستابو بغارة على مكان اختبائهم، فإنهم سوف يتمكنون من قرع جرس الإنذار مبكراً بدرجة كافية ويعطون أنفسهم مهلة لمدة ثلاثين ثانية إضافية مما يجعلهم يهرولون إلى "جب الملائكة" وهو الاسم الذي أطلقوه على الحجرة السرية.

مضت الأيام بطيئة متثاقلة. ولم يتمكن الضيوف بالطبع من مغادرة البيج، سوى في حالة الضرورة القصوى.. ولكن في بعض الأحيان، كانوا يتمكنون من الجلوس على السطح في مجموعات قليلة العدد. كانت هناك شرفة ضيقة، عرضها حوالي سبعة أقدام وطولها عشرون قدماً، تطل من الجزء الأوسط من سطح المنزل الأمامي. كانت عائلة الـ تن بووم قد وضعت حبل غسيل في الشرفة، وكان العديد من المهام العائلية، مثل تقشير البطاطس وإصلاح الملابس، تؤدى هناك أثناء النهار. وحيث أن الشرفة لم تكن منظورة من الشارع، كان الضيوف بمقدورهم أن يسترخوا فيها قليلاً ويستمتعوا بضوء الشمس ويحسدوا الطيور التي كانت تطير بحرية في كل أنحاء مدينة هارلم.

كانـت اللـيالي أمـتع مـن أوقات النهار. كان التيار الكهربائي يـنقطع بعـد الغـروب بقليل وذلـك للاحـتفاظ بالطاقـة لـلمجهود الحربي الألـماني. ولذا ابتكرت العديد من العائلات في هارلم سبلاً أخرى للاضاءة. في البـيج، كانت دراجة كوري تؤخذ إلى حجرة الطعام بعد العشاء وتوضع عـلى حـامل. وكـان الموجـودون يتـناوبون تحـريك إطاراتهـا بكـل قوتهم. بالطـبع، لم تكن الدراجة تتحرك، ولكن العجلة الخلفية التي كانت تدور كانت تشغل الدينامو، والذي كان بدوره بضئ المصباح في مقدمة الدراجة. وعـند إضـاءة الـنور، كـان شـخص ما يسحب كرسيه نحوه ويقوم بالمهمة المتفق عليها. كان "ليندرت"، الذي أدخل جهاز الإنذار في البيت، يعطي محاضـرات عن الأدب الهولندي ويشرف على قراءة بعض التمثيليات. أما مـاري، الـتي كانـت مـندوبة لشـركة سياحة إيطالية في أمستردام، كانت تقـدم أحاديـث عـن الأمـاكن الشـهيرة في إيطالـيا وكانـت تحاول أن تعلم الجمـيع اللغـة الإيطالـية. حـتى كاسـبرتن بـووم، الـذي لم يكـن بحاجة لاستخدام اللغـة الإيطالـية في سن الرابعة والثمانين، كان يحضر دروسها ومعـه كراسة سوداء صغيرة وقلم رصاص مبري لتوه. وكان هانز يدّرس علم الفلـك، وبعـد ذلـك يـتم تحريك الدراجة نحو البيانو، حيث كانت ماري تعـزف موسـيقاها. وفي أغلـب الأحـيان كـان بعـض الضـيوف الآخـرين يشـتركون في العـزف عـلى الكمـان أو الأبوا. كانت الكثير من الكتب تقرأ بصوت عـال خـلال هـذا الوقـت، كالتمثيلـيات، والقصـائد الشـعرية،

والـتاريخ، والأسرار الغامضة، وأي شئ لتمضية الوقت وإبعاد عقول الناس عن الأشياء المريعة التي تحدث خارج مأواهم الصغير.

ولكـن لم يكـن النسـيان مـن الأشـياء السهلة. كان أي شخص يدخـل البـيج يمكـن أن يكـون جاسوسـاً، وحـتى الأشـخاص الذين كانوا مخلصين للقضـية كـان يمكـن أن يقبض عليهم ويعذبوا من قبل الجستابو للحصـول على معلومات. لم يكن أحد يعرف على وجه اليقين كيف يمكن لأى واحـد أن يسـتجيب لخطـط الجستابو. ولكن جميعهم كانوا يعلمون، أنـه تحـت التعذيب، فأي معلومات يمكن أن تشى بهم جميعاً. ولذا كان الخـيال يجمـح دائمـاً، ويجعـلهم يتسـاءلون إن كانـت الأمـور الـتي تبدو معتادة وبريئة هى بالفعل كذلك أم إنها كانت غطاءً لشئ أكثر شؤماً.

أثـناء تـناول الغـذاء في يونـيو سـنة ١٩٤٣ كان يجلس التسعة أشـخاص في المـنزل، وهـم كـوري وبتسى ووالدهما، بالإضافة إلى الضيوف الستة، حـول المـائدة في حجـرة الطعـام. وفجأة سمعوا ضوضاء بالخارج، وكـف الجميع عـن الأكـل. نظـرت كـوري نحـو الشـباك وتجمـدت مـن الخـوف. كـان هـناك رجـل يحملق فيهم من خلال ستائر الدنتلة الرقيقة. تسـاءلت كـوري عـن كيفـية حـدوث ذلـك، إذ أن طو له لابد أن يكون ٨ أقـدام حـتى يسـتطيع الـرؤية مـن خـلال الشباك. وقد وصل طوله إلى ذلك بـالفعل بمسـاعدة سـلم متنقل! أخذوا جميعهم يراقبونه وهو يبلل الشباك بقطعة قماش وينظفه بنشاط.

قالت كوري بصوت خفيض: "نحن لم نطلب شخصاً يغسل الشباك" جلس الجميع يحملقون، حتى كسر يوسى حاجز الصمت وهمس بإلحاح: "واصلوا الحديث. نحن نستمتع بالوقت. جميعنا في حفلة عيد ميلاد مستر تن بووم، وبعد دقيقة فقط سوف ننشد له".

رفعت كوري شريحة الخبز التي لم تأكل سوى نصفها إلى شفتيها، وكان فمها جافاً بحيث لم تستطع أن تبتلع أي شئ، ولكنها كانت تعرف أن يوسى كان على حق ـ فعليهم أن يتصرفوا كالعادة. مررت ماري الملح، وقال هانز نكتة وضحكوا جميعاً بصوت عال لسماعها. ثم اتجه يوسى إلى كاسبرتن بووم وأنشد أغنية عيد الميلاد الهولندية (سوف يعيش طويلاً). صفق الجميع بحماس في نهاية الأغنية، وشعرت كوري بأمان مما حدا بها لأن تنهض تاركة المائدة لكي تتحدث مع غاسل الشباك.

قالت وهي تخرج رأسها من الباب: "طاب يومك. لم أكن أعلم إننا أتفقنا على غسل نوافذنا اليوم".

نظر إليها غاسل الشباك باستغراب متسائلاً: "أليس هذا منزل "باكر"؟" ضحكت كوري بأفضل ما يمكنها وقالت: "كلا، أعتقد إنك حصلت على العنوان الخاطئ. إن بعض الأصدقاء وأنا كنا نحتفل بعيد الميلاد الخامس والثمانين لوالدي، ولذا فهو ليس يوماً لغسيل الشباك. هل تنضم إلينا؟" سألته هذا السؤال مع ابتسامة مصطنعة.

هـز غاسل الشباك رأسه وقال: "كلا، يستحسن أن ابحث عن منزل عائلـة "باكـر". آسـف للإزعاج".وضع قبعته، وجر السلم بعيداً عن الحائط وسار في الشارع.

أغلقـت كـوري الـباب خلفهـا ورجعـت إلى غـرفة الطعـام. كم تغيرت الأمور! قبل الاحتلال، كان غاسل الشباك الذي يخطئ في العنوان يعد بالفعل هكذا دون زيادة أو نقصان. أما الآن فهو يمكن أن يكون واحداً مـن عـدة أشـخاص. فهـو يمكـن أن يكون جاسوساً من الـ NSB * أو شخصـاً مـن الشـارع المجـاور أراد أن يكسـب المـزيد مـن السـلع الغذائية بإفشـاء أسـرار مجموعـة مـن الغواصـين* ومضيفيهم. تبخر جو الحفلة في حجـرة المـائدة بأسرع مما بدأت. وجلس الجميع صامتين يجترون همومهم وأفكارهم.

بعـد هذه الحادثة، شعرت كوري بالأمان فقط في حجرة المائدة عـندما أسدلت الستار السوداء. كانت تود أن تسد لها طوال النهار، ولكن ذلك كان يمكن أن يجعل الجيران يشتبهون فيهم بالتأكيد.

اقـترب عـيد المـيلاد سـنة ١٩٤٣، وكذلـك عطلة حنوكة (عيد ديـني يهـودي لـمدة ٨ أيام في شهر ديسمبر). اشترك الجميع في الاحتفال

---

* NSB هى الرابطة الاشتراكية القومية المعاونة للنازي.

* يقصد بالغواصين الأشخاص الذين تواروا عن الأنظار لتجنب القبض عليهم من قبل النازي (المترجم)

مـع يوسـى كـان يشـعل في كـل ليلة شمعة أخرى بهذه المناسبة ويقرأ من التوراة، وينشد الصلوات القديمة.

في داخل البيج، كان كل فرد آمناً، ولكن مغادرة البيت كانت شيئاً آخر تماماً. لم يكن أحد من الضيوف يحب فكرة الذهاب إلى الخارج، فعند كل عدة أمتار قليلة كان يوجد موظف ما قد يسألهم عن أوراق الهوية . وفي نفس الوقت، لم يحبوا التواجد داخل البيج طوال الوقت، أيضاً. فمهما حاولوا تسلية أنفسهم، فالجلوس بالداخل شهراً بعد شهر كان يتحول إلى ملل قاتل .

كان أصغر ضيف يبلغ من العمر ١٧ سنة واسمه جوب. كان يعمل مساعداً لكوري ووالدها في صناعة الساعات. وبعد أن كاد يقبض عليه ويرسل إلى معسكر للعمل، طلب والداه إن كان يمكن أن يقيم في البيج. في أول الأمر، كان يشعر بالأمان وهو يعمل في الطابق السفلي في ورشة إصلاح الساعات، ولكن بمرور الوقت، نقل منطقة عمله إلى مائدة كبيرة في الصالة.

بعد ظهر أحد الأيام في يناير سنة ١٩٤٤، كان جوب وكوري يتحدثان في مؤخرة دكان الساعات عندما دخل بهدوء "رولف فان فليت"، رجل بوليس محلي. حيته كوري تحية ودية. فقد عرفت أنه كان يساعد الجماعات السرية على قدر استطاعته. وكالعديد من الرجال الهولنديين، اتخذ القرار المؤلم بالبقاء في عمله، ولكن تحت السيطرة

الألمانية، وكان يحاول تحذير الناس، إن لم يستطع منعهم، من أردأ الأشياء التي كان النازي يحاولون أن يفعلوها. ولهذا السبب كان في دكان الساعات. كان قد قرأ في تقرير للبوليس أن ملجأ سرى آخر، مثل البيج، كان سيتم غزوه في تلك الليلة. كان يأمل أن تكون كوري على دراية بشخص ما يمكن أن يوصل رسالة لهم.

نظرت كوري إلى ساعة الحائط الكبيرة الموجودة في الممر المؤدي من دكان الساعات إلى حجرة الطعام. كانت الساعة الخامسة تقريباً. لم يكن هناك وقت لاستدعاء شخص ما من الجماعات السرية، وإعطائه التعليمات بشأن الغارة، وجعله يسلم الإنذار قبل الساعة السادسة مساء، موعد حظر التجول.

قالت كوري لرولف: "إني آسفة، فأنا لا يمكنني التفكير في شخص يستطيع أن يسلم التحذير في هذه المدة البسيطة. إن الأمور تصبح أكثر تعقيداً بمرور الوقت.."

قال جوب مقاطعاً إياها: "يا كوري، دعيني أذهب. إني أعرف تلك المنطقة جيداً، وسوف أسرع".

نظرت كوري إلى الشاب المتحمس والتي أصبحت مغرمة به لدرجة كبيرة. كان والدى جوب شاكرين لوجود جوب آمناً في البيج. كيف يمكن أن تسمح له بالذهاب للقيام بهذه المهمة الخطيرة؟ ومن الناحية الأخرى، كيف تستطيع ألا تسمح له بالذهاب؟ كان هو أفضل من

يمكنه تحذير "عائلة" بأكملها، فهي كالعائلة التي في البيج، كانت الغارة على وشك أن تشن عليها. كيف يكون شعورها لو أن شخصاً ما كان بإمكانه تحذيرها من الغارة الوشيكة ولكنه لم يفعل؟

قالت بسرعة: "عليك أن تكون في منتهى الحذر"، وهي تأمل ألا تندم على هذا القرار الذي اتخذته، ثم استدركت قائلة: "وسوف نضطر لأن نجعلك ترتدي ملابس خاصة".

ابتسم جوب. لقد رأى العديد من الناس يدخلون ويخرجون من البيج وعرف أن الشبان نادراً ما يخرجون إلى الشارع بدون رداء خاص وقبعة وفراء. في تلك الأيام كانت الشابات أكثر أمناً من هولندا، ما لم يطلب منهن بالطبع التوقف وإبراز أوراق الهوية. ثم إن "الشابة" كانت تعرف أفضل كيف تجري لمسافة أطول وأسرع!.

بعد عشر دقائق، استعد جوب وارتدى الملابس الخاصة، وقَبل كوري قُبلة الوداع وتسلل من الباب الجانبي. انتظرته كوري كي يعود بفارغ الصبر. أخيراً، أعلنت أجراس كنيسة القديس بافو السادسة صباحاً، وكانت كوري تعلم أنها لن تسمع شيئاً من جوب حتى الصباح. فما أن يحل موعد خطر التجول، فلن يمكنه المخاطرة بالعودة إلى البيج. سوف يجد نفسه مختبئاً في مكان ما طوال الليل.

في صباح اليوم التالي، لم يكن جوب واقفاً بالباب، ولكنه كان رولف رجل البوليس. كان رولف يحمل خبراً سيئاً. عندما طرق جوب

على باب البيت، لم يكن صاحب البيت هو الذي فتح الباب. ولكون جوب ليس عضواً منتظماً في الجماعات السرية، لم يعرف أن الرجل لم يكن هو صاحب البيت الأصلي. فقدم له الإنذار، ثم فُتح الباب على مصراعيه ليكتشف عميلين للجستابو يصوبان البنادق نحوه.

شحب وجه كوري وقالت هامسة: "ما كان ينبغي أن أدعه يذهب. ما كان يصح أن أجعله يعرض نفسه للخطر".

وضع رولف يده على يدها "كلنا نعمل ما نعتقد أنه الأفضل في حينه" أومأت كوري رأسها بالموافقة. كانت تعلم أنه على صواب. لم يكن هناك شخص في هولندا في تلك الأيام يتعرض لخطورة أقل أو أكثر من أي شخص آخر. كان الجميع معرضين للخطر بنفس القدر.

مضى رولف يقول: "لا أحب أن أقول ذلك، ولكن لا يوجد غلام عمره ١٧ عاماً يمكنه أن يخفي أسراراً عن الجستابو. فلديهم وسائل مرعبة..." ثم خفت صوته. لم يكن بحاجة لقول المزيد. عرفت كوري بالضبط ما يعنيه. قد يستغرق الأمر ساعة أو يوماً أو أسبوعاً، ولكن في النهاية، سوف يخبرهم جوب شيئاً ما عما يحدث في البيج.

في وقت متأخر في تلك الليلة، أخبرت كوري أباها وبتسى عن موضوع القبض على جوب. ثم توجيه السؤال، نفس السؤال، الذي كان يوجهه أفراد عائلة الـ تن بووم لأنفسهم في لحظات خطر أخرى، تم توجيهه مرة أخرى. هل ينبغي عليهم مواصلة أنشطتهم السرية وتعريض

أنفسـهم وضـيوفهم لـلخطر؟ وكانـت الإجابـة بنعم، كما كانت في كل مرة يسألون فيها أنفسهم هذا السؤال. إنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً آخر. كـان علـيهم أن يعملـوا كل ما في وسعهم لحفظ سلامة ضيوفهم، ويثقوا أن الله هو المتكفل بالباقي.

عـندما ذهبـت كـوري إلى الفـراش أخيراً في تلك الليلة، كانت يقظـة لمـدة طويلـة وهى تنظر إلى رف الكتب القديم والذي يقع خلفه جب الملائكة.

صـلت تقول: "يا الله، مهما يحدث، فلتجعل ملائكتك تحيط بهذا المخبأ ولتجعل كل من يختبئ هنا آمناً في رعايتك".

الفصل السابع

الاحتفاظ بالسر

تقلبت كوري في الفراش. لم يكن هناك فائدة من محاولة النهوض، فقد كانت مريضة لدرجة كان يصعب معها التحرك. عندما استغرقت في النوم ليلة الأحد، كانت تأمل في الاستيقاظ بصحة جيدة حتى تتمكن من "العمل". كانت هناك بطاقات للسلع الغذائية كانت تريد توزيعها، وكانت بحاجة لاكتشاف ما يمكنها أن تعرفه عن مكان احتجاز جوب من قبل الألمان. ولكن رأسها كان يؤلمها، وكذلك كل عظمة في جسدها. تنهدت بعمق. كان عليها أن تبقى في الفراش ما لا يقل عن يوم آخر، وربما يومين. لقد ثبت أنها كانت تعاني من فيروس انفلونزا عنيد يصعب التخلص منه. ومن المرجح أنها لم تستطع تجنب إنهاك جسدها الذي يبلغ من العمر ٥١ عاماً بسبب التوتر المستمر الناتج من القلق بشأن الغارات التي يمكن للجستابو أن يشنها في أي وقت.

وعلى مدار اليوم، كانت بتسى تحمل إليها أكواب الشاي مع أخبار ما كان يحدث في الأدوار السفلى. كان يوماً حافلاً في البيج. كان ويليم وبيتر قد وصلا لقيادة اجتماع الصلاة الأسبوعي بعد الظهر. بعد حادثة عزف النشيد الوطني في فلسن، تم وضع بيتر في السجن في

أمستردام لمدة أسبوعين، وقد أعطى تحذيراً شديد اللهجة ألا يعزف النشيد مرة أخرى، ثم أطلق سراحه. والآن فهو موجود في الردهة مع خاله مع خمسة وعشرين شخصاً من سكان هارلم لحضور اجتماع الصلاة. استطاعت كوري أن تسمع عزف البيانو يصل إلى مسامعها في الحجرة عندما رنمت الجماعة إحدى الترنيمات. وعند صعود بتسى في جولة أخرى تحمل معها المزيد من الشاي لكوري، أخبرتها أن عدة أعضاء ممن يعملون تحت الأرض كانوا يدخلون ويخرجون من دكان الساعات لتبادل المعلومات والتقاط حزم من منشورات هانز. وفي نفس الوقت، كان الضيوف في حجرة نوم الرجال في الطابق الثالث، يقرأون ويلعبون الشطرنج. ومعظم الناس في اجتماع الصلاة الذين التقوا في الردهة لم يكونوا يعرفون أن هناك ضيوفاً في البيت.

بقرب حلول المساء، ظهرت بتسى مرة أخرى في حجرة كوري. فتحت الستائر قليلاً لتكشف عن جو رطب كئيب في الخارج. وفي وقت مبكر من صباح ذلك اليوم، كان الثلج قد نزل لفترة قصيرة. قالت: "يوجد رجل في الطابق السفلي. وهو يقول إنه يجب أن يراك في الحال. يقول إن إسمه "جان فوجيل"، ولكني لم أره من قبل. قلت له إني سوف استدعي والدى أو ويليم للحديث معه، ولكنه مصر على أنه بحاجة للحديث معك".

مـدت كـوري ساقيها فوق حافة السرير ووقفت ببطء. "أخبريه أنـي سـوف آتـي"، ثـم تـنهدت، وهـى تضع فستاناً فوق بيجامتها. على الـرغم مـن شـعورها بالـمرض، فـإذا كـان لابـد للرجل أن يراها، فلابد أن نظـرته إليها تتأثر بمظهرها، ومما يوحى به ارتداء الفستان فوق البيجاما. وقفـت أمـام المرآة الصـغيرة عـلى الحائط. وعرفت أنها كانت تبدو بشعة دون حاجـة لـتذكير نفسـها بذلـك. نزلـت السـلالم بـبطء، وهـى مـتعلقة بالدرابزين لتستند عليه.

كان يوجد في دكان الساعات رجل قصير يلبس نظارة لها إطار مـن السـلك. نظـرت إلـيه كوري من أعلى إلى أسفل. كانت بتسى محقة، فقـد كـان غريـباً. قدمـت نفسها له قائلة: "أنا كوري تن بووم. أي خدمة تـريد أن أقدمهـا لـك؟ هـل لديـك سـاعة يـد أو سـاعة حـائط بحاجـة للإصلاح؟".

هـز الـرجل القصير رأسـه. دون الـنظر إلى كوري مباشرة، بدأ يتكلم ويخـبرها عـن كيفـية اقتحام منز له في غيابه. فقد كان هو وزوجته يخبـئان فـتاة يهوديـة، عـثر الألمان عليها في منز له، وقد تم القبض أيضاً عـلى زوجـته، سمـع الآن عـن طريق الجماعات السرية أن رجل البوليس الـذي قـبض عـلى زوجـته كـان يسـهل تقديـم رشـوة له. وكان متيقناً أنه بالإمكان الإفراج عن زوجته نظير ٦٠٠ جلدر.

حاولت كوري إجهاد عقلها لتفكر في صحة ما يقوله الرجل. هل هى خدعة، أم هل كان الرجل يخبرها الحقيقة؟

قالت أخيراً بعد تلعثم: "لا استطيع أن أفهم كيف يمكنني مساعدتك. إني صانعة ساعات فقط، والظروف ليست مواتية الآن. كل ما يمكنني أن أعمله أن أطعم أختي ووالدى المسن".

ابتسم الرجل لها ثم قال بثقة: "ولكن الناس أخبرونني أن الخالة كوري ستساعدني".

سألته كوري: "ومن قال لك ذلك؟"، وهى تريد قبل كل شئ أن تنهي المحادثة معه وتصعد السلم إلى فراشها.

قال على سبيل التبسيط: "أعضاء الجماعات السرية، لم يذكروا أسماءهم، إنه شئ خطير بالطبع".

شئ ما في عقل كوري الباطن جعلها تدرك أن الرجل قد استخدم بالضرورة واحداً من الأسماء الشفرية على الأقل للإشارة إلى الجماعات السرية، ولكن رأسها كان مثقلاً. كانت بحاجة للجلوس على كرسي في الورشة. ما الذي ينبغي عليها أن تعمله؟ لا شك أن زوجة الرجل كانت تساوي ٦٠٠ جلدر، خاصة إذا كان القبض عليها قد تم لإخفائها شخصية يهودية. ومن الناحية الأخرى، كيف يكون الحال لو كانت القصة مختلقه؟ على الرغم أنها لم تكن متأكدة من القصة، كان

هناك ٦٠٠ جلدر في البنك، ولو كانت القصة حقيقية، يكون من المشرف أن تستخدم النقود لإطلاق سراح إمرأة شجاعة من السجن.

قالت: "تعال مرة أخرى الساعة الخامسة، وسوف يكون لدى المال لك. أما الآن فأعذرني، فأنا لست على ما يرام".

عدل الرجل القصير من وضع نظارته فوق أنفه، وأنحنى قليلاً، وترك دكان الساعات.

طلبت كوري من بتسى تدبير شخص ليذهب إلى البنك ويسحب ٦٠٠ جلدر، ثم صعدت السلم، وهى تقف خارج الردهة لحظة لتستمع إلى موسيقى بيتر.

وعلى أمل أن تحصل على أكبر قدر من الفائدة من فترة يقظتها، زحفت كوري نحو فراشها ومعها حقيبة صغيرة، كانت مليئة بوثائق عن عمل الجماعات السرية. كان الغد هو يوم توزيع بطاقات السلع الغذائية، وكان عليها أن تحسب عدد البطاقات التي يجب أن تحصل عليها كل عائلة من عائلات الضيوف المختبئين. سحبت دفتر حسابات أكبر من الحقيبة وفتحته. كتبت تاريخ ٢٩ فبراير ١٩٤٤، وهو تاريخ اليوم التالي في أعلى الصفحة. كانت تحاول جاهدة أن تركز على المهمة التي تقوم بها لدرجة أنها لم تلاحظ أن التاريخ يدل على سنة كبيسة. نظرت كوري إلى قائمة أرقام البطاقات التموينية المسروقة وأعداد الناس الذين كانوا بحاجة لاستخدامها للحصول على الطعام. ولكن كلما

دققت النظر، ازداد غموض الأرقام والأسماء في القائمة. كان مجهودها ضائعاً ولم تستطع التركيز أكثر من ذلك. خلعت نظارة القراءة من عينيها واستندت برأسها إلى الوراء. بمجرد أن لامست رأسها الوسادة، راحت كوري في نوم عميق. انزلقت الحقيبة من على السرير إلى الأرض محدثة صوتاً وسقطت محتوياتها.

الصوت التالي الذي سمعته كوري كان صرخة ملحة. "أسرع. أسرع. إنزل. ناولني طفاية السجاير ولا تلقي بما فيها". استيقظت كوري وكان قلبها يدق بشدة. ما الذي كان يحدث في حجرتها؟ كان الناس يجرون بجوار سريرها. فجأة فتحت عينيها، وجلست معتدلة. كانت مسئولة عن ممارسة التدريبات للدخول إلى جب الملائكة، ولم تكن قد مارست أي تدريب في ذلك اليوم. لذا لا يمكن أن يكون هذا تدريباً، لابد أنها غارة. لابد أن الجستابو قادمون!.

تركت كوري الفراش في لحظة، وهي تحث الناس أن يتحركوا بسرعة، ويلقوا بالحقائب والوسائد خلفهم. كانت ماري آخر الأشخاص المنتظمين في الدخول إلى جب الملائكة. كانت تلهث وتحدث أصواتاً صادرة من رئتيها عندما شدها الآخرون إلى الداخل. صلت كوري صلاة صامتة بأن تهتدأ أنفاس ماري.

جعلت الحائط ينزلق ليعود إلى مكانه وأغلقت باب دولاب الملابس خلفهم. وفي الوقت الذي كانت تدفع فيه سلة من أمام الباب،

قفز رجل طويل أشقر إلى داخل الحجرة. تعرفت كوري عليه بنظرة واحدة وعرفت أنه أرنولد "سميت"، أحد الشخصيات الهامة في النشاط السري. اعتقدت كوري أنه كان يسلم معلومة إلى البيج والآن قد وقع في المصيدة بسبب الغارة.

نظر أرنولد في كل أنحاء حجرة النوم الصغيرة التي كانت في فوضى شاملة. قال بصوت متعجل دون تفكير. "والآخرون؟ اعتقدت إنهم جاءوا في نفس هذا الاتجاه". فتحت كوري باب دولاب الملابس ومدت يدها لتجعل الحائط ينزلق إلى الوراء: أمسكت الأذرع بأرنولد من الداخل، وفي لحظة واحدة أيضاً، كان قد اختفى بداخل جب الملائكة. أرجعت كوري الحائط إلى مكانه، وأغلقت الباب، واسرعت إلى الفراش.

ما أن مهدت فراشها حتى رأت محتويات حقيبة يدها تتناثر على الأرض حيث كانت قد سقطت من سريرها. صلت قائلة: "يا إلهي". كانت الحقيبة مليئة بالمعلومات، والأسماء، والعناوين، وأرقام البطاقات التموينية. إذا وجدها الجستابو، يمكن أن تهلك نفوس كثيرة. كان عليها أن تتخلص منها. وفي كسر من الثانية نهضت من الفراش مرة أخرى. أمسكت بالحقيبة ومحتوياتها المتناثرة، وفتحت باب دولاب الملابس، وأرجعت الحائط إلى الوراء،وألقت بها في الحجرة السرية. قالت لنفسها "أسرعي. أسرعي". وهى ترجع الحائط بسرعة إلى مكانه. لو دخل الجستابو هنا الآن، فسوف يقبض على الجميع. بمجرد أن أمنت

الحائط، أغلقت باب دولاب الملابس وقفزت عائدة إلى سريرها. حاولت أن تتنفس كالعادة. قالت لنفسها "لقد كنت نائمة، إني مريضة. أنا لا أدري ما يحدث. سوف أتصنع الاندهاش عندما يأتي الجستابو. ألقت برأسها إلى الوراء على الوسادة وأغلقت عينيها.

بعد عدة ثوان، سمعت وقع أقدام على السلالم، وفتح باب حجرة نومها، ودخل رجل يرتدي بدلة عمل رمادية اللون، لم يكن هو ما كانت تتوقعه كوري. تلعثمت وقالت: "من، من أنت؟. لا تقترب مني كثيراً. إني مريضة".

أخذت تسعل في اتجاهه لتوصل له قصدها.

قال لها بصوت أجش: "ما اسمك؟".

أجابته: "كورنيليا تن بووم".

حدثها بصوت أجش مرة أخرى وأمرها قائلاً: "ألبسي الآن"، قال ذلك وهو يخرج قطعة ورق من جيب جاكتته. تفحص الورقة بسرعة وقرأ ما فيها: "تن بووم، كورنيليا، إذاً فأنتِ العقل المدبر وراء كل هذا؟".

لم تقل كوري شيئاً وهي تلبس فستانها فوق بيجامتها للمرة الثانية ذلك اليوم. كانت يداها تهتز بشدة لدرجة أنها لم تستطع أن تضع الأزرار في الثقوب الخاصة بها.

سألها الرجل بفظاظة: "أين اليهود؟".

سألته كوري، محاولة عدم النظر في اتجاه جب الملائكة: "أي يهود؟" كانت لا تزال تسمع صوت أنفاس ماري المكتومة. ما الذي سيحدث لو توقف الرجل عن الكلام مدة تكفي لأن يسمعه هو أيضاً؟ لبست كوري حذاءها بسرعة وافتعلت سعالاً آخر. كانت مضطرة لمواصلة السعال وإخراج الرجل من حجرتها بسرعة.

تعثرت وهي في طريقها نحو الباب دون أن تنحني لربط حذائها. اتبعها الرجل، وهو يدفعها إلى أسفل السلم تجاه غرفة الطعام. عندما دخلت كوري الحجرة، كان والدها وبتسي موجودين بالفعل هناك. كان هناك أيضاً ثلاثة ممن يعملون في الجماعات السرية لم يتمكنوا من الصعود إلى جب الملائكة قبل فوات الأوان مثل أرنولد سميت.

كانت الحجرة مليئة بضباط من الجستابو. تكلم الضابط الذي اصطحب كوري إلى أسفل بصوت قاس وببرود وهو يدفعها عبر الحجرة. "طبقاً لأقوال الهر فوجيل، هذه قائدة المجموعة".

تركزت كل العيون على كوري.

وقال بصوت خفيض لأحد الرجال الذين يرتدون الزي الرسمي: "تحقق بنفسك مما تعرفه".

أمسك ضابط الجستابو كوري بعنف من ذراعها وسحبها إلى خارج الباب، ثم نزل بها خمس درجات إلى أسفل نحو ورشة دكان

الساعات. ألقى بها على نضد العمل، مما أطاح بصينية من قطع الغيار في الهواء وقال لها بلغة الأمر "أخبريني أين تخبئين اليهود".

أحست كوري أنها فقدت التركيز، وكان حلقها ملتهباً، وكل عضلة في جسدها تؤلمها. صلت صامتة: "ساعدني يا الله حتى لا أرتكب خطأ". سمعت طرقعة ثم أحست بلسعة في الجانب الأيمن من وجهها. كان الضابط قد صفعها. خبطت رأسها في خطاف في الحائط.

أمرها ثانية: "أين اليهود؟".

كان هناك المزيد من الصمت، ثم طرقعة صفعة أخرى على وجهها.

اشتعل الضابط غضباً ثم قال: "كم عدد الذين تخبئيهم؟".

كان هناك المزيد من الصمت ثم صفعة أخرى على وجهها.

وهكذا دواليك. المزيد من الأسئلة، والمزيد من الصمت والمزيد من الصفعات.

استطاعت كوري أن تتذوق طعم الدم وهو يهطل في فمها، وأحست أنها تتهاوى. صاحت في يأس: "يا يسوع، ساعدني".

توقف الضابط فجأة، وأصدر صوتاً كفحيح الأفاعى، أما وجهه الجامد أصبح الآن محمراً من الغضب، ثم أردف قائلاً: "لا تنطقي أبداً بهذا الاسم أمامي ثانية، إذا كنت غبية جداً إلى درجة تجعلك غير قادرة على الحديث، فإن أختك الأكبر منكِ سناً ذات البنية الضعيفة سوف

تخبرنا بما نريد أن نعرفه". قال ذلك ثم سحب كوري لتقف على قدميها ثم دفعها إلى الخلف نحو السلم المؤدي إلى حجرة الطعام ثم دفع بها بقسوة نحو كرسي. ابتسم بخبث وهو يمسك بتسى من مريلتها ويجلسها على قدميها.

جلست كوري في سكون. كانت عينها اليمنى متورمة، تكاد لا تبصر شيئاً من خلالها، وكان فمها متورماً أيضاً، وشعرت أن لسانها قد تضخم ليصبح خمسة أمثال حجمه الطبيعي. استطاعت أن تسمع الأنين والبكاء الصادرين من أختها في الطابق السفلي. كانت دموع كوري المتساقطة تلسع وجهها المضروب. ماذا ينتظرهم؟ لم ترد أن تفكر فيما يمكن أن يحدث. وبدلاً من ذلك ركزت على الأصوات الصادرة من الأدوار العليا. استطاعت أن تسمع الكثير من الصراخ وصوت أخشاب تتكسر لتحطيمها. افترضت أنهم يحفرون ثقوباً في الحوائط وألواح الأرضية بحثاً عن جب الملائكة. وتساءلت إن كان بإمكانهم تدمير جزء كبير من المنزل دون العثور عليها. استرجعت كوري طريقة إنشاء الحجرة السرية. كانت حوائطها مكونة من الطوب بدلاً من الأخشاب حتى لا تبدو مجوفة إذا طرق عليها أحد. والأرضية؟ تذكرت كيف كان مستر سميث فخوراً بالأرضية. فقد قطع الألواح الخشبية للأرضية حتى لا تمتد إلى ما تحت الحائط. وبتلك الطريقة، فإذا بدأ الجستابو في تحطيم ألواح خشب الأرضية للبحث عن الحجرة السرية، فلن يجدوا أي ألواح أرضية تمتد

إلى ما تحت الحائط الخارجي المفترض وجوده. قدمت كوري صلاة شكر لأجل مستر سميت، الذي أعطى الضيوف أفضل فرصة للحماية والاختباء. والآن فالله وحده هو الكفيل بحفظهم سالمين.

قوطعت أفكار كوري عندما دخلت بتسى إلى الحجرة مترنحة. كان وجهها مليئاً بالدم ومتورماً، ولكنها افتعلت ابتسامة باهتة وهى تتجسس طريقها لتجلس بجوار كوري.

قدمت لها كوري منديلاً لتمسح الدم من فوق شفتيها. ثم سمع طرق على الباب الجانبي. تجمدت كوري في مكانها. إن الرجل الذي كان مرتدياً بدلة العمل الرسمية كان يضحك مبتهجاً. كان يقول بفخر لضباط الجستابو الآخرين: "هذا بالضبط ما يجب أن تكون عليه الغارة، احتجزو المشتبه فيهم هنا في البيت حتى يعتقد الذين يتصلون بهم أن كل شئ طبيعي. ثم انتظروهم عندما يأتون كما يأتي النحل إلى الخلية" فرك يديه معاً، واستل بندقيته، واتجه إلى الطابق السفلي نحو الباب الجانبي.

بعد خمس دقائق رجع مع إمرأة شابة علمت كوري بأنها المرأة التي كانت توزع بطاقات التموين. وفي خلال دقائق كانت هناك طرقة أخرى على الباب، وكرر المشهد نفسه. في هذه المرة كان شاباً يحمل رسالة تحذير بأن البيج سوف يتعرض لغارة. كان متأخراً بعد فوات الآوان بالطبع.

سمعت كوري أصواتاً تحمل نبرات الإثارة على السلم، ثم اندفع جنديان ألمانيان صغيرا السن إلى داخل الحجرة يحملان الراديو الذي كان مخبئاً. أغلقت كوري عينيها لتفكر. أي شئ آخر كان في المنزل وكانت تأمل ألا يجدوه؟ وكما لو كانت هناك إجابة لسؤالها، سمعت رنين التليفون. كانت كوري قد قبلت عرض الشاب في أول اجتماع سري لها لكي تعيد توصيل التليفون.

كانت نظرة الاستهزاء تبدو واضحة على محيا الرجل. ابتسم بسخرية وهو يقول: "حسناً، لقد جلبنا الحظ لصانع ساعات عجوز وابنتيه العانستين، أليس كذلك؟ لقد اعتقدت أن كل تليفونات المنازل لا توجد بها حرارة منذ ثلاث سنوات" ثم تغيرت نبرة صوته فجأة. أمرها بصوت أجش وهو يشير بماسورة مسدسه نحو كوري: "انهضي وردي على التليفون".

وقفت كوري ببطء على قدر ما استجمعت من شجاعة ومشت نحو التليفون في الصالة، على أمل أن يتوقف عن الرنين قبل أن تصل إليه. ولكنه لم يفعل. أعاد الضابط وضع ماسورة مسدسه خلف أذن كوري وهي ترفع السماعة. أمرها هامساً وهو يلف ذراعها خلف ظهرها "تحدثي بصورة عادية". أحست بألم حاد في كتفها بسبب عنفه.

قالت كوري، وهي تأمل أن يعرف الشخص على الطرف الآخر أنها نادراً ما تستخدم اسمها بالكامل، وأنها لا تستخدمه أبداً في التليفون: "هالو، كورنيليا تن بووم".

انطلق الصوت على الطرف الآخر من التليفون يقول: "عليك أن تجعلي الجميع يختبئون في الحال. إنهم يعرفون من أنتِ. ليس لديك الكثير من الوقت". ابتسم رجل الجستابو، الذي كان يستمع إلى المحادثة بوضع أذنه على الطرف الآخر من السماعة.

ما أن وضعت كوري السماعة حتى رن التليفون مرة أخرى. كرر المشهد نفسه، ثم تكرر للمرة الثالثة. في هذه المرة الأخيرة أحست كوري أن المتحدث قد بدا عليه أنه فهم أن في الأمر خطورة ما ووضع السماعة في الحال. بعد ذلك توقفت المكالمات. مازال الرجل الذي يرتدي البدلة الرمادية اللون يلف ذراع كوري خلف ظهرها وقد أخذ يوجهها عائداً بها نحو الآخرين. بينما كانت كوري تجلس في حجرة الطعام، اقتيد موكب من الناس للنزول إلى الطابق السفلي. استطاعت كوري أن ترى كل واحد من خلال الباب المفتوح. كانت تعرف معظمهم من اجتماع صلاة ويليم. كانت تشعر بالأسى لأجلهم ـ المرسل المعتزل من جزر الهند الشرقية الهولندية، والمرأة من المخبز الذي يقع في نهاية الشارع ـ فلم يكونوا على دراية بالضيوف في البيج. كاد قلب كوري يتوقف عندما اجتاز ويليم وبيتر الباب. ثم شهقت بصوت عال عندما رأت نوللى تسير

خلفهما. ما الذي كانت تفعله في البيج؟ فقد سبق أن قبض عليها من قبل لإيوائها فتاة يهودية. أطلق سراحها، ولكن الألمان لم يستريحوا لها هذه المرة. قفزت الدموع من عيني كوري. لقد تم القبض على كل الأشقاء الأربعة في عائلة تن بووم. على يد الجستابو، وتم القبض كذلك على واحد من أبناء أخت كوري.

في تلك اللحظة دوت صيحة الانتصار من الطابق العلوي. نظرت كوري إلى بتسى، وكان الرعب في عينيها يؤكد أنهما كانا يفكران فكراً واحداً. لابد أنهم وجدوا جب الملائكة!.

استطاعت كوري أن تسمع الصيحات بالألمانية. "تعال وانظر ما وجدته! صناع ساعات أبرياء، هاها!" حبست كوري أنفاسها، وهى تنتظر أن تسمع بعض الضوضاء التي تؤكد اكتشاف الحجرة.

"صوت طنين ودوى" إنه جهاز الإنذار الذي ركبه لينيرت لهم. كان يدوى في كل أنحاء البيت. بعد دقيقة أو نحو ذلك، عاد الرجل الذي يرتدي حلة العمل الرمادية اللون إلى حجرة الطعام. قال: "إنه جهاز إنذار كفء. وإني أتساءل عن السبب الذي يدعو عائلة مثلكم لتركيب جهاز إنذار". نظر إلى كوري نظرة إرتياب.

هزت كوري رأسها، وهى تترنح من الفرح. ان اكتشاف جهاز الإنذار سوف يعقد الأمور بالنسبة لها، ولبتسى، ولوالدهما مع الجستابو، ولكنهم على الأقل لم يكتشفوا الحجرة السرية. نظرت كوري إلى الرجل

بـتحد مـن خـلال عيـنها غـير المتورمة. كانـت تـأمل أن تكـون الرسـالة واضـحة، فـيمكن للجسـتابو أن يضـربوها كما أرادوا، ولكنهم لن يحصلوا على أي معلومة منها.

لابـد أن الـرجل قـد فهم مقصدها. استدار الرجل فجأة وصرخ في المجموعـة: "انهضـوا واتبعوهما" وهو يشير نحو ضابطي الجستابو عند الـباب. "كان صيدا قليلاً ها هنا"، وأخذ يعنف كوري وهي تترنح محاولة أن تقف على قدميها فقال لها: "كان بإمكانك أن تسهلي مهمتنا بإخبارنا عـن مكـان اختـباء الـيهود الأعـزاء لديـك. ولكـن لا تقلقـين، سوف نضع حراسـة لـمدة ٢٤ سـاعة عـلى هذا المكان. فإما أن يموتوا كالجبناء وسوف نشم رائحة جثثهم العفنة في النهاية، أو يأتوا زاحفين خروجاً من الهيكل الخشبي كالصراصير في ظرف يومين. كان يمكن أن تقدمي لهم معروفاً بأن تخبرينا عن مكان تواجدهم" قال ذلك وعلى وجهه ابتسامة مرعبة.

مـدت كوري يدها نحو الحائط لتحتفظ بتوازنها قبل أن تمشي بـتحد أمـام الـرجل. ربما كان وجـهها مضروباً وبه كدمات، ولكنـها كانت لا تـزال تحـتفظ بسر موقـع جـب الملائكة. وطالما استمسكت بهذا السر، كانت تأمل وتصلي أن يبقى الضيوف المختبئين بداخله في أمان.

الفصل الثامن
عائلة محظوظة

أعلنت ساعة الحائط في المدخل الحادية عشرة عندما تركت المجموعة حجرة الطعام وسارت في مشية عسكرية. لقد مضت ثماني ساعات منذ أن غزا الجستابو البيج. خرج كاسبرتن بووم عن الصف واتجه نحو الساعة. فتح بابها الزجاجي وضبط عقاربها وقال "لا يصح أن نجعل الساعة تتأخر". وهو يمد يده للإمساك بقبعته. وضعت كوري ذراعها حوله وهما يخرجان من البيج. تم تجميعهم معاً خارج المنزل مع الذين كانوا يحضرون اجتماع الصلاة وتم تكبيلهم بالأغلال معاً لتكوين طابور طويل. ربطت كوري من معصم يدها بأبيها على اليمين وبأختها بتسى على اليسار. بينما كانت تقف في الزقاق الرطب المظلم، كانت مئات الصور تتسابق في مخيلتها.

فكرت في اللعب بالأطواق مع نوللي، وفي انتظار الترام للتوقف خارج دكان الساعات، وتوصيل الخالة جانز للعودة إلى المنزل بعد حضور أحد اجتماعاتها، وفي أطفال التبني الذين كانوا ينظمون مسافات للجري من أول الحارة إلى آخرها، وفي كيك وهو ينتظر صامتاً عند الباب الجانبي ليصطحب ضيفاً نحو الطريق الآمن، وكان هناك رعب الحاضر. كانت

كـوري أسيرة جـيش غـزا بلدهـا المسالم. والآن فهذا الجيش الغازي كان يقف على أهبة الاستعداد لتمزيق عائلتها وعالمها إرباً.

أصدر إلـيهم واحـداً من ضباط الجستابو أمراً بالسير، وابتدأوا يشـقون طـريقهم في الـزقاق نحـو شارع Smedestraat والمقر الرئيسي لشـرطة هـارلم. لم يسـتغرقوا سـوى دقـائق قلـيلة ليصلوا إلى مقر الشرطة، ولكن عملية استجوابهم استغرقت أكثر من ساعتين. أخيراً، وبعد الواحدة صباحاً، ذهبـت كـوري لترقد على حصيرة رقيقة على أرضية الجمنازيوم خلـف مقـر الشـرطة. تحـول الجمبازيوم إلى زنزانة اعتقال ضخمة لجميع الـناس الذيـن حشـدهم الألمـان في ذلـك اليوم. شعرت كوري بأنها مريضة جـداً لدرجـة أنهـا لم تأبـه لأن الحصيرة كانت غير مستوية وأن الأرضية الخشـبية الـباردة تحـتها كانت وعرة، فقد كانت مسرورة أخيراً لأن ترقد ثانية بعد وقت طويل.

كـان الجسـتابو يـريدون إطـلاق سـراح كاسـبرتن بووم، ولكنه رفض الموافقة على مطلبهم بألا يأوى المزيد من اليهود. ولذا فقد تزاحم هو وكـوري وبتسـي ونولـلي وويليم وبيتر جميعاً على الحصر على الأرض. لم يعرف أحد منهم ما كان ينتظرهم. ولما رأى كاسبرتن بووم القلق بادياً على وجـوه أبـنائه وحفـيده، تكـلم بصـوت عال. كانت عيناه الزرقاوان تلمعان وهـو يقـول: "لا تنسـوا أبداً أننا عائلة محظوظة". أحست كوري بقطرات

الدموع وهى تتساقط على وجهها المتورم حين كان يتكلم. صلت في صمت قائلة: "يا الله ساعدني حتى لا أنسى أبداً تلك الكلمات".

خلال بقية الليل الطويل، كانت كوري تتقلب فوق الحصيرة الرقيقة للجنازيوم وكانت تصلي لأجل أولئك الذين تركوا في جب الملائكة. كانت تسأل الله بأن يحفظهم سالمين بكيفية ما.

تسللت شمس الصباح الشاحبة من خلال النوافذ العالية للجمنازيوم. وبدأ الناس الذين يرقدون على الحصر في كل أنحاء الغرفة الكبيرة يتحركون. قام رجال البوليس الهندي بتسليم سلال أرغفة الخبز الأبيض الطري إليهم. لمحت كوري رولف فان فليت. أومأ رأسه إليها برفق. كانت تعلم أنه لا يستطيع أن يفعل الكثير لأجلهم الآن. حاولت كوري أن تبتلع قطعة خبز، فقد تكون آخر طعام تتناوله لمدة طويلة، ولكن شفتيها كانتا لا تزالان متورمتين وملتهبتين لدرجة لا تمكنها من قضم الطعام ومضغه. كانت لا تزال تشعر بسخونة بفعل الانفلونزا. بعد حوالي ١٥ دقيقة، تقدم الجنود الألمان نحو الجمنازيوم. صرخ ضابط وهو يأمر المساجين بتكوين طابور والتقدم خارجاً نحو باص كان في انتظارهم. مدت كوري وبتسي أيديهما للإمساك بوالدهما ومساعدته على الوقوف. كان يبدو أكبر سناً وأكثر ضعفاً عن ذي قبل بعد تلك الليلة التي قضاها في الجمنازيوم المزدحم. تساءلت كوري إن كان ممكناً أن يبقى على قيد الحياة لمدة أطول في مثل تلك الأحوال.

عـند خروجهم من مقر شرطة هارلم، صدمت كوري لرؤية مائة شخص أو أكثر مصطفين على طول الطريق الجانبي. كان يعد مجرد التواجد في الطريق الجانبي في مجموعة كبيرة كهذه مخاطرة كبرى. كانت كوري تعلم أنهم قد جاءوا، بغض النظر عن المخاطرة الشخصية، لإظهار تأييدهم لسكان هارلم الذين قبض عليهم الألمان لا لشئ سوى إظهار العطف وتقديم الحماية للأبرياء الذين كانوا يتم اصطيادهم كالحيوانات الضالة.

وقف المساجين في الباص وهو يشق طريقه في شوارع هارلم. كانت كوري تنظر من الشباك، محاولة الاحتفاظ بجمال زنابق الربيع وزهور البرقوق الوردية اللون في ذاكرتها.

بعد أن أسرع الباص لفترة من الزمن، توقف عن السير. تم إنزال المساجين وتحميلهم على سيارات نقل ضخمة لها مظلات من القماش. صلت كوري حتى لا يتم نقلهم إلى ألمانيا. تنفست الصعداء حين أوضح واحد من المساجين الآخرين، وهو رجل يحمل ضمادة على يده، أنهم سوف يحملون غرباً تجاه الساحل. تنبأ الرجل قائلاً: "انهم سيأخذوننا إلى سجن شيفنجن Scheveningen". وقد كان محقاً.

بعد ما يزيد عن الساعة من سير السيارات في الريف، توقفت فجأة. تم فك جوانب المظلة وفتحها. وبدأ الصراخ. تساءلت كوري عن السبب الذي يجعل كل الألمان الذين يحتلون هولندا يصرخون عالياً هكذا.

كان رأسها مازال مضطرباً بسبب تأثيرات الأنفلونزا، وكان آخر ما تحتاجه أن يصرخ شخص في أذنها. نزلت من الشاحنة.

صاح أحد الجنود الألمان، وهو يشير إلى الحائط الخرساني العالي المحيط بفناء السجن: "ضعوا أنوفكم بسرعة مقابل الحائط". اندفع الجميع نحو الحائط، حاملين كوري معهم. وجدت كوري نفسها في مواجهة الحائط الخرساني، وهي مسرورة لوجود شئ تستند عليه. حركت رأسها ذات اليمين وذات اليسار ببطء، حتى لا تجذب إليها الأنظار. لمحت ويليم ونوللى وبتسى إلى يمينها، ولكنها لم تستطع أن ترى بيتر وأباها في أي مكان. شعرت بالألم يتزايد. كان كل شئ يبدو محتملاً طالما إنها تستطيع البقاء مع عائلتها.

لم تجرؤ كوري على النظر إلى ساعتها، ولكنها خمنت أن الجميع واقفون مع وضع أنوفهم مقابل الحائط لمدة ما يقرب من ساعة ونصف. كانت ضعيفة جداً بسبب الأنفلونزا، فكان من المدهش أنها تستطيع أن تبقى واقفة طوال هذه المدة. أخيراً، أصدر شخص ما من الخلف هذه التعليمات. "السجينات، إلى اليمين. فلتسرن ورائي".

استدارت كوري بسرعة، على أمل أن تجد وقتاً كافياً لفحص مجموعة والدها وبيتر. تدافعت بتسى ونوللى لشق طريقهما حتى تحركت الأخوات الثلاث معاً. لمحت كوري بيتر يقف بعيداً بمحاذاة الحائط ولكنها لم تستطع أن ترى أباها. أخذت تبحث عنه حين تحركت جموع

النساء نحو الباب إلى اليمين. وأخيراً، استرخت كتفاها فقد وجدته هناك. كان كاسبرتن بووم الوحيد في الفناء الذي يجلس على كرسي. تعجبت كوري لهدوئه. كان يبدو كما لو كان جالساً في كرسيه المفضل في البيج، يدخن السيجار ويستمع إلى حفلة موسيقية في الراديو. شئ ما دفع كوري لتصيح قائلة: "يا والدى، ليكن الله معك!". دوى صوتها في الفناء. أدار كاسبرتن بووم رأسه وابتسم. ورد عليها قائلاً: "ومعكن أيضاً يا بناتي" كانت هذه آخر مرة قدر فيها لكوري وبتسى ونوللى رؤية والدهن".

أمسكت كوري بذراع بتسى، وخطتا سوياً في إثر النساء الأخريات. دق قلب كوري بشدة في صدرها. كانت تتساءل عما إذا كانت ستعاقب لصياحها في الفناء. فإذا عوقبت، فيكفيها أنها سمعت صوت أبيها مرة أخرى.

أغلقت الأبواب المعدنية خلفهن. كانت جميع النساء في قاعة متسعة ذات أرضية خرسانية. وفي وسط الأرضية كان يوجد شريط من الحصر المصنوعة من الأعشاب البحرية. خطت كوري عليها، وهى سعيدة بأن وجدت شيئاً لينا تحت قدميها.

صاح الحارس "إبعدن عن الحصر الآن. غير مسموح للسجينات بالسير على الحصر".

رجعت كوري ومجموعة من "المخالفات" الأخريات إلى الوراء متجهات نحو الأرضية الخرسانية. تساءلت كوري عن كم القوانين الغبية الأخرى الصادرة من سلطات السجن. انتظرت السيدات في طابور طويل حتى يتم أخذ بياناتهن الشخصية مرة أخرى وتم تجريدهن من متعلقاتهن الشخصية. خلعت كوري ساعتها وخاتم زفاف أمها ووضعتهما في مظروف بني اللون. كانت متأكدة أنها لن تراهما مرة أخرى. بعد التعامل مع كل النساء بهذه الطريقة، صاحت فيهن حارسة أن يتبعنها. التقطت لوحة بماسك، واتجهن جميعاً نحو الصالة. على كلا الجانبين كانت توجد أبواب معدنية سميكة عليها أرقام. توقفت الحارسة خارج الباب الأول وقرأت إسماً من القائمة. كان إسماً لإحدى عضوات جماعة الصلاة. تقدمت المرأة وهي تترنح، وعلى وجهها تعبير عن الصدمة. شعرت كوري بالأسف لها، فمنذ أقل من ٢٤ ساعة مضت كانت المرأة مشاركة بريئة في اجتماع صلاة فوق دكان الساعات. والآن فهي على وشك أن تحبس في إحدى زنزانات السجن.

أخرجت الحارسة مجموعة كبيرة من المفاتيح من جيبها، حددت المفتاح الصحيح، وفتحت باب الزنزانة. توقفت كوري عن السعال فترة كافية لتمد عنقها لتنظر ما بالداخل. لم تكن الزنزانة أكبر من حجم سرير كبير، وكان بها من قبل ثلاث نساء. دفعت الحارسة المرأة إلى الداخل وأغلقت الباب المعدني. استمر الموكب الحزين. كان يزج بامرأة

واحـدة في كل زنزانة، وليس اثنتان أو ثلاثة معاً. شعرت كوري بالرعب، وخمنـت أن ذلـك شئ متعمد حتى لا يتواجد إمرأتان من هارلم معاً. ما لم تحدث معجزة، فإنها سوف تفترق عن أختيها الأكبر سناً.

وهكـذا حـدث. لقـد وضـعت بتسى أولاً في زنزانة، ثم نوللى. وعصرت يد كوري للمرة الأخيرة قبل أن تزج بها في زنزانة.

لم يكن هناك سوى ثلاث نساء تركن في الصف عندما تم النداء عـلى كـوري أخيراً ـ أخذت كوري تسعل ثم دخلت إلى الزنزانة. صاحت الحارسة وراءها: "أتـركي ذلك السرير وأعطه لهذه المرأة، إنها مريضة". وقفت كـوري وهـى تستند إلى الحـائط وأخذت عيناها تتكيف مع الضوء الصـادر مـن مصباح واحد فقط. كان بمحاذاة الجانب المستقيم من الحائط سرير واحد ضيق عليه مرتبة رقيقة. كان يوجد على الأرض بجوار السرير ثلاث مراتب مليئة بالقش. كانت المراتب المفروشة على الأرض تشغل كل مساحة أرضية الزنـزانة. وتحـت السـرير كان يوجد دلو معدني له غطاء وحوض يحتوي على ماء رمادي اللون.

صاحت المـرأة العجـوز الـتي كانـت ترتدي ثوباً أخضر ممزقاً وكانـت ترقد على السرير: "مريضة! لا تقربي مني إذا كنت مريضة! إننا سنموت هنا قريباً بدون مرضك".

ظلت كوري واقفة وهى تستند بظهرها إلى الباب. لم يكن لديها طاقة، وما لم يفسح لها شخص ما مكاناً، لن تجد مكاناً تذهب إليه.

سمعت كوري الشابة التي على الأرض تقول للمرأة التي على السرير "تعالي هنا، يا إمرأة، إني متأكدة أنها ليست مريضة إلى هذا الحد".

راحت كوري في نوبة سعال، كما لو كانت تعترض عليها. كانت تسمع صدرها يحدث أصواتاً، ولم تستطع أن تأخذ نفسها. وفي النهاية توقفت نوبة السعال، وتخلت المرأة الأكبر سناً عن السرير رغما عن إرادتها وتدحرجت نحو الأرض مع المرأتين الأخريين.

قالت كوري محاولة أن تعتذر "أنا آسفة جداً"، ولكن المرأة الأصغر سناً أوقفتها.

قالت بلطف: "لا شئ يستحق الاعتذار. مرحباً بك في زنزانتنا". ابتسمت كوري وهى ترقد. تصاعدت كمية كبيرة من التراب من المرتبة إلى جانب رائحة البول. امتنعت كوري عن الكلام وتدحرجت على ظهرها. أخذت عيناها تتثاقل ببطء حتى راحت في سبات عميق.

استيقظت كوري منزعجة حين سمعت ضجيجاً وطنيناً. أين هى؟ وما هذه الضوضاء؟

حثها صوت أسفلها قائلاً: "أسرعي. التقطي طبقك من على الرف وإلا لن تحصلي على أي طعام".

أخذت كوري نفساً عميقاً، وغمرتها بقسوة ذكريات الليلة الماضية الأليمة.

أشارت المرأة الأكبر سناً والتي ترتدي الفستان الأخضر إلى الباب. زحفت كوري تجاه طرف السرير ومدت يدها إلى أسفل. تم فك لوحة معدنية صغيرة مثبتة في الباب ووضع عليها أربعة أطباق من الحساء. أخذت كوري الطبق الأخير ووضعته على ركبتيها. نظرت إليه مدة طويلة. كان عبارة عن سائل رمادي اللون به قطع صغيرة من شئ بني اللون يطفو فوق السائل. أحنت رأسها إلى أسفل وشمته ثم تراجعت إلى الوراء سلمته بسرعة إلى المرأة صاحبة الفستان الأخضر والتي كانت قد التهمت طبقها. قالت لها: "هاك، كلي هذا. فأنا لا أستطيع أن آكله".

قالت المرأة العجوز: "وا حسرتاه!، الكل يقول ذلك عندما يأتون إلى هنا، ولكن بعد يوم أو اثنين، يلتهمون الطعام مثلنا تماماً. سوف ترين".

كانت المرأة على حق. فعندما وصل الحساء في صباح اليوم التالي، كانت كوري على استعداد لتناوله.

لم تكن هناك نوافذ في الزنزانة، ولذلك كانت الأيام تعد بوصول الطعام كل صباح. كان اليوم يمضي وفق نمط ممل. ففي حوالي

الظهـر تقريباً، كان يتم فك اللوحة المعدنية المثنية في الباب، فتظهر أربع شـرائح مـن الخبز البني اللون. وبعد ساعة من الزمن، كان مفتاح يدور في القفل ويقفل الباب. كانت إحدى السيدات تسلم دلو التواليت، الذي كان يفـيض احـياناً عـلى المراتـب المصنوعة من القش. وكان يسلم حوض الماء القـذر لـيعطي بـدلاً مـنه مـاء نقـياً. وكـان دلـو التواليـت يعاد فارغاً، مع لفافتين من ورق التواليت.

كانـت النسـاء بداخـل الزنـزانة تحاولن أن تكن مؤدبات بقدر الإمكـان، ولكـن كـل واحـدة كانـت تعاني من مشكلتها الشخصية. كانت الفـتاة الأصـغر سـناً والـتي تحدثـت برفق مع كوري في الليلة السابقة، قد أخـبرتها أنهـا كانـت بارونـة رفض والدها أن يخدم في الاسطول الألماني. كانـت تقضـي العديـد مـن السـاعات كـل يوم تذرع الزنزانة ذهاباً وإياباً، سـت خطـوات في الذهـاب وسـت خطـوات في الإيـاب. نـادراً مـا كانـت تجلس، وعندما كانت تجلس، كانت تضع يديها فوق وجهها وتبكي.

وأعلنـت المـرأة العجـوز ذات الثوب الأخضر الممزق أنها كانت تقـوم يتنظيـف المنازل ولم تبلغ عن ولد يهودي كان يعيش في منزل قامت بتنظـيفه. أخـبرت الجسـتابو أنها لم تكن تعلم أنه كان هناك، ولكن دون جدوى.

المـرأة الثالثة كانت تقضي العديد من الساعات في المرة الواحدة جالسة مع وضع أذنها اليمنى على الباب المعدني.

سألت كوري المرأة العجوز ذات الرداء الأخضر "وماذا تفعل الآن؟"

أجابت: "مخابرات".

نظرت كوري في حيرة.

مضت المرأة العجوز تقول: "انها تعرف ما يعنيه كل صوت في هذا الجحيم. فهى تستطيع أن تخبرك أن الذي سار أمام الزنزانة هو المشرف أو الحارس. وتستطيع أن تخبرك أى زنزانة توقف عندها وكم عدد الناس الذين أخرجهم. إنها تحصل على المعلومة الصحيحة في كل مرة. وهذا شئ يستعصى على الفهم".

وكما لو كانت تثبت هذه النقطة، همست المرأة الثالثة، وهى مازال تضع أذنها على الباب: "شخص ما في رقم ٣١٦ بقيادة حارس، إنهما يتجهان نحو الجناح الغربي للمرة الثالثة هذا الأسبوع. إني أتساءل عن الهدف من وراء ذلك".

قالت كوري باعجاب حقيقي "مدهش". فهى نفسها كانت مستمعة جيدة. ففي بعض الأحيان عندما كانت الساعة لا تعمل جيداً، كانت تستمع إليها بعناية لمدة دقيقة أو دقيقتين لترى إن كانت تستطيع التعرف على المشكلة. ولكن هذه المرأة تلفت الأنظار حقاً في قدراتها على الاستماع. سألتها كوري: "ما طول المدة التي قضيتيها هنا؟"

أجابـتها قائلـة: "ثلاث سنوات، وربما أطول قليلاً من ذلك".

شـعرت كوري بالفزع. ثلاث سنوات! الألمان يحتجزون شخصاً لمدة ثلاث سنوات دون رؤية ضوء الشمس أو الاحساس بالهواء المنعش، وبدون حمام أو قـراءة كـتاب!. " مسـكين يا أبي! مسكينة يا بتسى!". كانت كوري تـئن وهـى تجلس منهكة على حافة السرير. كانت تسأل نفسها عن طول المدة التي سوف تظل محبوسة فيها في الزنزانة.

الفصل التاسع

ساعات الحائط في البيج في أمان

سمع صوت المفتاح في باب الزنزانة. فتح الباب، ودخلت مشرفة السجن إلى الزنزانة. قالت وهي تصرخ كما لو كان في الزنزانة أربعون سجيناً، وليس أربعة: "تن بووم، كورنيليا".

جاهدت كوري لتأخذ وضع الجلوس في سريرها. كان كل مفصل في جسدها يؤلمها، وكل نفس تأخذه كان يشكل جهداً تبذله.

"انهضي واحضرى قبعتك ومعطفك واتبعيني" أصدرت المشرفة تعليماتها وخطت خارج الزنزانة لتنتظر.

وضعت كوري قدميها على الأرض ووقفت بحذر. كانت لا تزال ترتدي معطفها، فقد كان الجو بارداً لدرجة إنها لا تستطيع أن تخلعه منذ وصولها إلى الزنزانة منذ ثلاثة أيام مضت.

همست المرأة ذات السمع المرهف، وكانت لا تزال جالسة بجوار الباب "قبعة. القبعة يمكن أن تكون شيئاً حسناً أو سيئاً. إنها تعني أنك سوف تغادرين المبنى".

كانت المرأة على حق كالمعتاد. اقتيدت كوري نحو المدخل، ثم خرجت من الباب، واتجهت نحو سيارة تنتظر. غاصت في المقعد الجلدي

الخلفي للسيارة حيث كان يوجد العديد من السجناء الآخرين جالسين أيضاً وعندما انطلقت السيارة بهم، حملقت كوري بشغف من الشباك. هل كانت السماء دائماً بمثل هذا اللون الأزرق اللامع؟ هل كانت السحب تتراقص دائماً عبر السماء هكذا؟ اندفع الهواء النقي إلى داخل السيارة، وتنفست كوري بعمق لتملأ رئتيها به. والأفضل من كل ذلك، كان هواء البحر المبهج ذو الرائحة الملحية.

اندفعت السيارة وهي تخرج من بوابات السجن إلى شوارع مدينة "شيفينينجين". كان هناك أناس في كل مكان في الشوارع: أناس يمشون، وأناس يقفون على نواصي الشوارع يتكلمون، وأناس يمشون بصحبة كلابهم، وأطفال يقفزون. بالكاد صدقت كوري أن ذلك شئ حقيقي. هل يدرك هؤلاء الناس مقدار البركة التي ينعمون بها؟ إنهم إحرار. أحرار في أن يأخذوا حماماً وينظفوا أسنانهم ويقرأوا الكتب ويستمعوا إلى الموسيقى.

كانت كوري مستغرقة وهي تنظر من الشباك لدرجة أنها لم تلحظ السيارة وهي تبطئ وتتوقف أخيراً خارج مبنى كبير من الطوب. طلب من الركاب أن يخرجوا ويتبعوا حارساً إلى أعلى درجات السلم نحو المبنى. كان أحد الركاب مريضاً جداً لدرجة أنه لم يستطع أن يمشي أكثر من ذلك ولدهشة كوري، ظهر جندي مراسلة ومعه كرسي متحرك ليحمله.

بعد بضع دقائق، وجدت كوري نفسها في حجرة انتظار كبيرة بها صفوف من الكراسي الخشبية.

بعد ساعة من الجلوس والانتظار، اضطرت لاستعمال الحمام. أخبرت حارساً، فقام باستدعاء ممرضة جالسة أمام مكتب في أحد الأركان. أخذت الممرضة بذراع كوري واقتادتها في المشى. وبدلاً من الانتظار خارجاً، اتبعت الممرضة كوري نحو الداخل واغلقت الباب وراءها. وهمست بإلحاح قائلة لها: "ما الذي يمكنني أن أحضره لك؟".

ذهلت كوري بسبب عطفها البالغ. لم تكن في تلك الأيام معتادة على تودد أي شخص يرتدي زياً نحوها. أخذت تفكر في جميع الاحتمالات، ولكن شيئاً واحداً كان أكثر أهمية من أي شخص آخر. قالت لها: "كتاب مقدس. هل يمكنك أن تحضري لي كتاباً مقدساً؟".

ابتسمت الممرضة وقالت: "سوف أحاول" ثم فتحت الباب بسرعة وانتظرت كوري في الخارج. في طريق العودة إلى حجرة الانتظار، لم يتبادلا الحديث.

مرت ساعة أخرى قبل أن ينده اسم كوري، ودخلت كوري حجرة جانبية لفحص طبي. تحسس الطبيب نبضها، وأخذ درجة حرارتها، واستمع إلى رئتيها وقلبها بالسماعة. أخذ يدندن وهو يكتب شيئاً في مفكرته. "التهاب في الغشاء البللوري للرئتين. عادة انصحك بأخذ

قسط وافر من الراحة والتدفئة، ولكن في ظل هذه الظروف....". خفت صوته وهز كتفيه.

وقفت كوري ومشت تجاه الباب. تبعها الطبيب. قال بصوت منخفض: "مع السلامة وحظ سعيد. أرجو أن أكون قدمت لك معروفاً بتقرير حالتك على أنها التهاب بالغشاء البللوري للرئتين".

عندما عادت كوري إلى مقعدها، احتكت بها الممرضة، وشعرت كوري بعلبة موضوعة في لفافة. وضعت اللفافة بخفة في جيب معطفها ومضت تمشي نحو مقعدها. بعد ذلك بفترة وجيزة، اقتيد المساجين مرة ثانية إلى السيارة. في أثناء سير السيارة في شوارع المدينة في طريق العودة إلى السجن، كانت كوري تفكر في شيئين: اللفافة في جيب معطفها وكلمات الطبيب. وضعت يدها بخفة على الجزء الخارجي من جيب معطفها بينما كانت تسأل نفسها إن كان الطبيب قد أسدى لها معروفاً بالفعل أم لا. هل إصابتها بالتهاب الغشاء البللوري مفيد لها؟ وهل يمكن للألمان أن يطلقوا سراحها؟ أم هل ينقلونها إلى مستشفى؟ كانت كوري تأمل بشدة أن يفعلوا بها ذلك، ولكنها كانت تعلم أيضاً أن النازي لا يتسّمون بالصبر تجاه المرضى وكبار السن، وقد كانت تنتمي للحالتين.

دوت أصوات ثلاثة أشخاص عندما اقتيدت كوري إلى الزنزانة مرة أخرى: "لقد رجعت. ماذا حدث؟ أين أخذوكِ؟ هل سمعتِ أي شئ عن الحرب؟" هكذا تساءلن جميعهن في وقت واحد.

جلست كوري على حافة السرير وأخبرتهن بكل شيئ. وعندما وصلت إلى الجزء الخاص باللفة، سحبتها من جيبها. شقهق الجميع، وقلن لها: "افتحيها، افتحيها"، كن يلححن عليها كالأطفال الصغار في حفلة أعياد الميلاد. مزقت كوري الجريدة التي كانت العلبة ملفوفة فيها وأخرجت المحتويات مرة واحدة. كانت هناك قطعتان صغيرتان من الصابون، الصابون الحقيقي الذي كان يمكن شراؤه قبل الحرب. مررت الصابون إليهن. ورحن يتشممن رائحته العطرية الجميلة. بعد ذلك أخرجت كوري مجموعة من دبابيس الأمان فأخذن ينظرن إليها ويتحسسنها كما لوكانت قلادة من الماس. في أسفل اللفافة كان هناك أفضل شئ. أربعة كتيبات صغيرة. رفعتها كوري وقبلتها، كانت الكتيبات هى الأناجيل الأربعة. قدمت واحداً للمرأة العجوز ذات الفستان الأخضر. تراجعت المرأة إلى الوراء. وقالت: "لا تلمسيها" وقد كان الرعب بادياً في صوتها.

قالت كوري: "انه الكتاب المقدس"، فقد اعتقدت إنها لم تفهم.

قالت المرأة العجوز بسرعة "أفهم ذلك. هل تريدين أن نواجه المتاعب كلنا؟" فالذي يقبض عليه متلبساً وهو يمسك الكتاب المقدس، يحاكم وينال عقوبة مضاعفة بالإضافة إلى عقوبة الـ "كالت كوست" طوال مدة إقامته في السجن".

كانت الـ كالت كوست كلمة مرعبة في السجن، فقد كانت تشير لتناول الخبز والماء فقط دون طعام ساخن. وهذه العقوبة مسلطة فوق رأس كل سجين في زنزانته أو كل سجينة في زنزانتها. كان السجين يعاقب بهذه العقوبة إذا تحدث بصوت عال، وإذا غنى، أو سكب محتويات دلو التواليت، أو إذا وجه أسئلة للحراس، أو إذا مشى على حصيرة أعشاب البحر. والقائمة طويلة جداً.

وضعت كوري الأناجيل الأربعة على مرتبتها. قالت: "إن عقوبة الـ كالت كوست تعد ثمناً بسيطاً مقابل هذه الأناجيل.

نظرت النساء إليها نظرة تعجب.

رقدت كوري على مرتبتها الرقيقة في تلك الليلة وهى تقرأ إنجيل يوحنا. استطاعت أن تسمع صوت والدها يتردد في ذهنها وهو يقرأ بصوت عال من الكتاب المقدس للعائلة كل صباح ومساء. تساءلت عن حاله. وتساءلت أيضاً عن الضيوف في جب الملائكة في البيج. هل من الممكن أن يكونوا في أمان، بالرغم من أن الجستابو يحرس المنزل؟ ثم اتجه عقلها مرة أخرى إلى كلمات الطبيب في وقت مبكر من ذلك اليوم: "أرجو

أن أكـون قـد فعلت ما هو صواب بخصوص تقرير حالتك بأنها التهاب في الغشاء البللوري" هل فعل ما هو صواب بالفعل؟

لم تكـن كوري بحاجة للانتظار طويلاً حتى تكتشف الحقيقة. فـبعد مضي ليلتين سمعت صوت المفتاح يدور في قفل باب الزنزانة. كانت مشرفة السجن مرة أخرى. قالت: "تن بووم، كورنيليا، إنهضي وأحضري متعلقاتك بدون أي كلمة".

وضـعت كـوري الأناجـيل الأربعـة سـراً في جيـب معطفهـا، وسـحبت قبعـتها مـن الشـماعة، واتبعـت المشرفة. ولكن في هذه المرة، لم يـتجها إلى الـيمين للذهـاب إلى المدخـل، ولكـنهما استدارا يساراً. شعرت كـوري بالفـزع. كانـتا متجهـتين إلى مكـان أبعـد داخل السجن. على بعد ٥٠٠ قـدم مـن المدخل، توقفت المشرفة، وأخرجت مفتاحاً آخر في سلسلة مفاتيحـها، وفتحت باب زنزانة دون حاجة لإصدار الأوامر، دخلت كوري إلى الداخـل. كـان ترتيـب الزنزانة هو نفس ترتيب الزنزانة التي تركتها، ولكـن هـذه الزنـزانة كانـت تختلف عن الأخرى في شيئين. لم تكن هناك سـجينات أخـريات في الزنـزانة، وكـان للزنـزانة نـافذة. كانت النافذة في أعـلى الحـائط ومغطاة بالقضبان، ولكنها بالرغم من ذلك كانت تعد نافذة. مـن هـذه الـنافذة، كـان يمكـن لكوري أن تحصل على الهواء النقي وضوء الشـمس. قررت أن تجر سريرها نحو الحائط الخارجي في الصباح وتتسلق إلى أعـلى وتنظر من النافذة. قبل أن تذهب للفراش، خدشت كوري علامة

على الحائط بجوار سريرها وكتبت تاريخ ٦ مارس ١٩٤٤، لقد أحست بكيفية ما أنه من المهم ألا تفقد إحساسها بالزمن.

في صباح اليوم التالي كانت كوري ضعيفة إلى الحد الذي جعلها غير قادرة على الوقوف بالمرة. رقدت على السرير ونظرت إلى السماء من خلال الـ ٢٨ مربعاً صغيراً التي كونتها القضبان في النافذة. جاء وقت الغذاء، ونظرت حارسة من خلال فتحة الطعام. لوحت كوري بيديها قليلاً. أمسكت الحارسة بشريحة خبز وألقتها من خلال الفتحة الصغيرة. هبطت قطعة الخبز إلى جوار السرير، والتقطتها كوري من فوق الأرضية القذرة وابتلعتها بشراهة. ثم انتظرت، وهي تتساءل عما يمكن أن يحدث بعد ذلك. بعد ساعة أو نحو ذلك، اقتربت عربة قادمة من المدخل وتوقفت خارج باب زنزانتها. كانت مشرفة طبية تحمل دواءً كريه الطعم لتأخذه كوري. كانت المشرفة ترتدي زي السجن، وقد علمت كوري أنها كما كان يشير إليها السجينات الأخريات زميلة محنكة في السجن لطول مدة حبسها وقد عهد إليها بالمساعدة في إدارة بعض شئون السجن. كانت هؤلاء السجينات تطبخن الحساء وتكنسن الأرضيات، وتوزعن الدواء. وفي مقابل ذلك كن يحصلن على امتيازات من قبل حارسات السجن. كانت كوري متأكدة أن هؤلاء السجينات المحنكات يعرفن الكثير عما يحدث في السجن.

بعـد بلعهـا للـدواء الـبائس، سـألت كـوري السـجينة ذات الأقدمـية. هـذا السؤال: "هل سمعت أي شئ عن عائلة الـ تن بووم أو الـ فان وردنز؟" زمجرت السجينة ذات الأقدمية قائلة لها: "رفقاً يا امرأة. لا تظـني أن بإمكـاني أن أكلمك واحتفظ بمنصبي، أليس كذلك؟" حملقت في كوري ثم أغلقت باب الزنزانة بصوت عال.

رقـدت كـوري في السرير مـرة أخـرى وقالـت: "إذن فالسجن يشبه الخـارج تمامـاً" هكـذا قالـت بصـوت عـال لنفسـها. "توجـد هـنا سـجينات عـلى اسـتعداد لـتحمل المخاطـر لمسـاعدة بعضــهن الـبعض، وسجينات لا يقدمن يد المساعدة"

في كـل يـوم كانت السجينة المحنكة تأتي إلى زنزانتها بالدواء الرهيـب، ولكنها لم تقل كلمة أخرى إلى كوري. إلا أن الدواء الذي كانت تحضـره قـد أفـاد كـوري" وبـدأت كـوري بـبطء في الاحساس بأنها أفضل حـالاً. وبالـرغم مـن ذلـك، لم توضع سجينات أخريات في الزنزانة معها. وبمرور الأسابيع الطويلة المملة، اصبحت كوري تشعر بالوحدة. وفي يوم ما عـندما خدشـت علامـة أخـرى على الحائط، لاحظت أن التاريخ كان ١٥ أبـريل. كـان عـيد مـيلادها الـ ٥٢ . حاولت أن تغني أغنية لتذكر نفسها بأعـياد المـيلاد الكـثيرة التي احتفلت بها في البيج، ولكن الحارسة طرقت عـلى بـاب الزنـزانة وصـاحت: "السجينات لا يسمح لهن بالغناء. إغلقي

فمك وإلا سوف تعاقبين بعقوبة (الكاتل كوست)". ولذا فقد غنت الأغنية سراً.

لم تكد تمضي دقيقة دون أن تفكر كوري في أبيها وعائلتها. كان لديها رغبة مستميتة في معرفة إن كانوا على مايرام أم لا. جاءت الاستجابة لرغبتها جزئياً كنتيجة لعيد ميلاد آخر. بعد عيد ميلادها بخمسة أيام، في ٢٠ أبريل، كان أدولف هتلر قد بلغ الخامسة والخمسين من عمره. وذهب جميع الحراس إلى حفل لإحياء ذكرى عيد ميلاده وتركوا الزنازين بلا حراسة. لم يتطرق إليهم التفكير في احتمال هروبهم، كانت الأبواب كلها مغلقة، وكان المساجين يحصلون على القليل من الطعام حتى إن معظمهم لم يكن بمقدورهم الترنح إلى مسافات بعيدة على أي حال، ولكن غياب الحراس كان يعني أن المساجين يمكنهم أن يتصايحوا منادين بعضهم بعضاً. في البداية، ارتبكت كوري بسبب كل ذلك الصياح، ولكن الضوضاء خفتت بالتدريج، ونظم المساجين أنفسهم على كلا جانبي المدخل من زنزانة إلى أخرى كانوا يتبادلون الصياح والاستماع بالدور ذهاباً وإياباً.

كانت كوري مبتهجة بتوصيل رسائل الصياح إلى السجينات الأخريات في الزنازين المجاورة لزنزانتها.

أضافت كوري لهذا السيل من الرسائل رسائلها الخاصة بها. "أنا كوري تن بووم في زنزانة ٣٨٤. هل هناك أي أخبار عن كاسبر، ووبليم، وبتسى تن بووم ونوللى وبيتر فان وردين؟".

كانت تستمع بانتباه عندما كانت الرسالة تدوى على طول المشى الفارغ انهالت المزيد من الرسائل ذهاباً وغياباً. انتظرت كوري ثم انتظرت. أخيراً جاء الرد "ويليم تن بووم وبيتر فان وردين أطلق سراحهما". صفقت كوري وضحكت وهى فرحة.

ثم كانت هناك رسالة أخرى. نوللي فان ووردين أطلق سراحها" تصاعدت آمال كوري. ربما أطلق سراح كل أفراد أسرتها الآخرين! ولكن الرسالة التالية أخبرتها شيئاً بخلاف ذلك: "بتسى تن بووم في زنزانة ٣١٤ تبلغ أختها إن الله صالح". كم أنا أحب بتسى، فمهما كانت الصعاب، فهى تثق بالله دائماً.

استمر تدفق المعلومات. كانت هناك شائعات عن الحرب. القوات الجوية البريطانية قصفت مبنى السجلات العامة، مدمرة العديد من سجلات النازي الهامة، والأمريكان كانوا يحرزون تقدماً ضد اليابانيين في المحيط الهادي. وأخيراً بدأت الأصوات العالية تخفت شيئاً فشيئاً حتى ران السكون على السجن مرة أخرى.

جلست كوري على سريرها وأخذت تفكر في الرسائل التي سمعتها. يبدو إن كل من قبض عليه في البيج أطلق سراحه ماعدا بتسى

وهي. ولكن ما أخبار أبيها؟ كان غريباً ألا تسمع أي كلمة عنه، كان عجوزاً وذا شكل متميز بلحيته الطويلة البيضاء، لدرجة أنه يصعب نسيانه. حاولت كوري ألا تفكر فيما هو أسوأ.

بعد اسبوعين ونصف في ٣ مايو، اكتشفت كوري لماذا لم تسمع عن أبيها. ألقى خطاب من خلال فتحة الطعام. نظرت إليه كوري. فقد انتظرت مدة طويلة لسماع اخبار عن العائلة، والآن فها هو خطاب ملقى على الأرض أمامها، وقد كانت خائفة جداً لدرجة أنها لا تستطيع التقاطه. أخيراً، استجمعت شجاعتها ومالت نحو الأرض والتقطت الخطاب. كان الخطاب من نوللى. لم تكن بداية الخطاب مشجعة "عزيزتي كوري. أريدك أن تكوني شجاعة. الخبر الذي لابد أن أخيرك إياه لن يكون سهلاً عليك قراءته..." اغرورقت عينا كوري بالدموع، ولكنها مسحتها وواصلت القراءة. "بابا ظل في السجن لمدة ١٠ أيام فقط، ثم فاضت روحه، وذهب ليكون مع الرب".

انفجرت كوري في البكاء بصوت عال. إن أباها، العزيز على قلبها، هذا الأب الرائع مات في هذا السجن القذر محاطاً بهذا الكم من الكراهية والعنف. لم تتحمل كوري التفكير في ذلك. لم تستطع حضور جنازته ولم تستطع أن تكون مع عائلتها. لم يكن هذا عدلاً. وأخذت تنتحب بصوت أعلى. بعد عدة دقائق من البكاء، فكرت في الوقت الذي كان فيه والدها يريد أن يلبس نجمة داود الصفراء على معطفه ليضع نفسه

جنباً إلى جنب مع الهولنديين اليهود. وقد حاولت كوري وبتسي منعه من عمل ذلك.

في صباح اليوم التالي أعادت كوري قراءة الخطاب. وعندما فعلت ذلك، لاحظت أن الكتابة على الظرف كانت مائلة جداً، بينما الكتابة في الخطاب نفسه لم تكن كذلك. ماذا يعني ذلك؟ هل هناك سبب جعل نوللي تفعل ذلك؟ فجأة تذكرت خطاباً كان قد جاء إلى البيج لابن أختها كيك. كيك كان قد بلل الطابع ليخلعه، لأنه كانت هناك تحت الطابع رسالة هامة من الجماعات السرية. وضعت كوري الظرف في حوض ماء. وعندما أزيل الطابع بفعل الماء. استطاعت أن ترى كتابة دقيقة. رفعت الظرف إلى أعلى تجاه الضوء وقرأت: "جميع ساعات الحائط في البيج آمنة" كانت هذه شفرة، ولكن كوري عرفت بالضبط ما تعنيه. أخذت تنخرط في البكاء مرة أخرى. ولكن في هذه المرة كانت دموع الفرح. كل الضيوف في جب الملائكة كانوا سالمين بطريقة ما. لأول مرة منذ القبض عليها، شعرت كوري شيئاً بداخلها بخلاف الخوف والفزع.

الفصل العاشر

القراءة

فرغت كوري من قراءة إنجيل مرقس. هل توقف أحد خارج باب زنزانتها، أم هل كان ذلك مجرد خيالات؟ كانت لوحدها في الزنزانة لمدة ستة أسابيع الآن دون وجود من يؤنس وحدتها سوى قبيلة من النمل وزيارة يومية صامتة من السجينة صاحبة الأقدمية في السجن لتسليم الطعام وتفريغ محتويات دلو التواليت. عندما سمعت صوت مفتاح يدور في القفل، عرفت أنها لم تكن تتخيل. وضعت بسرعة إنجيل مرقس تحت المرتبة. بعد لحظة، دخلت حارسة طويلة ونحيفة إلى الحجرة. لم تتعرف عليها كوري كواحدة من الحارسات المألوفات.

أمرتها بصوت أجش: "تن بووم، اتبعيني"

تركت كوري سريرها وبحثت عن معطفها.

قالت لها الحارسة: "لا، لا تهتمي بذلك. اسرعي".

عندما اسرعت كوري الخطو في الممشى وراء الحارسة، أخذت تسأل نفسها عن المكان الذي كانوا سيأخذونها إليه هذه المرة. لا يمكن أن تكون عائدة إلى المستشفى في "شيفينينجين"، إنها بحاجة إلى قبعتها

ومعطفها لتترك السجن، وبالإضافة إلى ذلك، كانت تشعر أنها أفضل بكثير الآن.

أخذت تقود كوري في أماكن من السجن لم ترها من قبل. كثيراً ما كانت تسمع إنسانة تتحدث أو تبكي خلف باب زنزانة وكانت تتمنى أن تتمكن من الوقوف لتبادل الحديث مع شخص آخر. ولكنها ظلت تمشى، ولدهشتها، اقتيدت إلى الخارج على أي حال. تعرضت لتيار من الهواء البارد يحيط بها وهي تقف في فناء صغير به أربعة أكواخ خشبية. كانت كل الأكواخ مطلية باللون الرمادي تبدو عليها الكآبة، قبل أي شئ آخر في السجن، باستثناء الكوخ القائم في الجانب البعيد من الفناء. كان مختلفاً. زرع حول هيكله الخارجي الكئيب الرمادي اللون صف من الزنابق الصفراء. لم تكن الزنابق في أوان إثمارها، وقد بدأت أوراق الزهور تتساقط، ولكن لم يكن ذلك هاماً بالنسبة لكوري. كانت زهوراً حقيقية، وحتى إن كانت ذابلة، فمازالت أجمل الأشياء التي رأتها منذ وقت طويل. ولفرط سرورها، أنها سارت بجوار الزنابق عندما كانت الحارسة تقتادها نحو الكوخ وقد أشارت إليها بأن تدخل.

"اقفلي الباب من فضلك، يا مس تن بووم" أمرها صوت رقيق من أقصى طرف الكوخ.

فعلت كوري كما أمرت ثم استدارت لترى من المتكلم. كان رجلاً متوسط الحجم، ذا شعر بني فاتح مرتدياً الزي الكامل للنازي، مع

صف من الشرائط والميداليات، ولفرط دهشة كوري، كان الرجل يبتسم لها.

قال بأدب وهو يرفع قبعته "اسمي النقيب رامز. اجلسي من فضلك". أشار لكوري بأن تجلس في كرسي بمسند بجوار موقد الخشب.

تمتمت كوري قائلة له: "شكراً"، وهي غير معتادة على التعامل معها بشفقة.

مد النقيب يده إلى كومة الخشب وهو يقول لها: "يبدو عليك أنك تشعرين بقليل من البرودة، وقد قرأت في ملفاتك أنك لستِ على ما يرام من الناحية الصحية. قبل أن نبدأ حديثنا، دعني أضع المزيد من الأخشاب القليلة في النار".

شعرت كوري بوهج دفء النار عندما فتح باب الموقد ودفع بثلاث قطع من الخشب فيه. أعطاها الدفء إحساساً رائعاً، وكذلك الكرسي الوثير المريح. شعرت كوري بأنها تحلم. ثم فجأة عاد إليها وعيها. كان هناك سبب جعل النقيب يعاملها هكذا. فقد حذروها من قبل بشأن ذلك قبل أن تدخل السجن. إن بعض المحققين من النازي كانوا يحاولون الحصول على معلومات من أعضاء الجماعات السرية بتعذيبهم، ولكن محققين آخرين استخدموا الرقة لتهدئة المحبوسين وجعلهم يظنون أن لهم صديقاً في الجستابو. منذ تلك اللحظة عاهدت كوري نفسها على

الحيطة والحذر. فأرواح الكثيرين كانت تتوقف على صمتها بشأن الأشياء التي كانت تعرفها.

انتهى النقيب رامز من إذكاء النيران وجلس في كرسي قبالة كوري. قال لها: "الآن، اسمحي لي بإلقاء الضوء على بعض الأمور القليلة التي تحتاج لإيضاح سوف أسألك بعض الأسئلة، وأريدك أن تجيبي عليها بأفضل ما يمكنك".

أومأت كوري رأسها بالموافقة، وهي مندهشة لأنه كان يتكلم لغة هولندية شبه متقنة باستثناء هفوات بسطة بسبب اللهجة الألمانية.

مد النقيب يده في جيب سترته وأخرج في النهاية مذكرة جلدية بنية اللون. فتحها وهو يتكلم، وبدأ حديثه هكذا: "يا مس تن بووم، كما تعلمين، فإن العديد من الاخطاء ترتكب خلال الأوقات غير المحظوظة كهذه الأوقات، ولكني أريد أن أقدم لك يد المساعدة لاكتشاف طريقة لإخراجك من هنا. هل تحبين ذلك؟".

واصل حديثه بصوت هادئ "ولكنني أستطيع أن أساعدك فقط إذا قلت لي الحقيقة كاملة. إذا قلت لي كل ما تعرفينه، سوف أرى ما يمكنني أن أعمله لأجلك. ما رأيك في هذا؟" سألها مبتسماً.

ردت كوري بابتسامة باهتة، محاولة أن تبدو أهدأ مما كانت عليه في الحقيقة.

أجاب النقيب قائلاً "حسناً، الان سوف أقرأ لك قائمة بالأسماء. وأريدك أن تقولي لي أيهم تعرفينه".

أومأت كوري رأسها بالموافقة. "يوئيل كوليجين؟" توقف، ثم نظر إلى كوري ثم مضى قدما. "هانز فريدريكس؟" واستمر يتلو القائمة.

استرخت كوري وغاصت في الكرسي الدافئ وهى تستمع. لم يكن لديها شئ تخفيه عن النقيب، فهى في الواقع لا تعرف أي اسم من الأسماء التي في القائمة. اعتقدت أن كل الأسماء هى لأعضاء في الجماعات السرية، ولكن كل واحد عرفته في الجماعات السرية كان يحمل اسماً واحداً هو سميت. لم تكن كوري تعرف اسماءهم الحقيقية. ولذا لم يكن لديها إطلاقاً ما يمكن أن تخبره به بشأن الأسماء في كتابه الصغير.

عندما فرغ النقيب من قراءة كل الأسماء نظر إلى كوري، وقال بنبرة رقيقة: "هل أنت متأكدة أنك لا تعرفين أي واحد من هذه الأسماء؟ سوف تقدمين لي مساعدة كبرى، وسوف يفيدك ذلك أيضاً". هزت كوري رأسها، وقالت: "لا أعرف أياً منهم"

ظل النقيب رامز يسألها طوال الساعة التالية كل أنواع الأسئلة عن العمل السري. كان لدى كوري الانطباع بأنه كان يعتقد أنها كانت متورطة إلى حد كبير في عملية الحصول على بطاقات تموينية زائدة، إما بشن غارات على مكاتب الطعام أو باستخدام أوراق مزورة. من بين كل الأشياء المتعلقة بالعمل السري، كان هذا البند هو أقل البنود التي كانت

كـوري تعـرف مـا يـدور فـيه. كانـت قـد وزعـت فقط البطاقات التموينية الـزائدة التي كان قد حصل عليها أعضاء التنظيمات السرية. ولذا فقد كان مـن السـهل علـيها ألا تقول شـيئاً عـن كيفـية حصـول أعضاء الجماعات السرية على بطاقات التموين الزائدة. كان هناك القليل الذي كان يمكن أن تقوله حتى لو أرادت ذلك.

أخـيراً، توقف النقيب رامز عن توجيه الأسئلة ونظر إلى عينى كـوري. قـال: "إني أستطيع أن أرى إنك إمرأة صادقة. لماذا لا أجلس أنا هـنا لكـي تخـبريني عـن الأشـياء التي كنت متورطة فيها قبل مجيئك إلى هذا السجن؟"

اعتدلـت كـوري في جلستها وامتلأت حماساً. فالآن كان لديها شـئ تـتحدث عـنه. بدأت تقول: "حسناً، أيها النقيب. عائلتي وأنا كان يشـغلنا دائمـاً شئ واحد ألا وهو أن نخبر الآخرين عن يسوع المسيح. وقد حـدث في الأسـبوع السـابق للأسـبوع الذي قبض عليَّ فيه أن زرت إحدى الفتـيات الـتي عملـت معهـا سـنوات عديـدة. وهى متخلفة عقلياً، ولكني متأكدة أنها تفهم أن الله يحبها".

صـاح النقيـب: "يـا له مـن أسلوب غبي لإضاعة الوقت! لماذا يحـب الله شخصـاً معوقاً؟ أى فائدة ترجى من ديانة تقبل نصف الأذكياء بين صفوفها؟ إن الرايخ الثالث لا يقبل سوى أولئك الذين هم أهل للثقة".

ابتسمت كوري وقالت له: "أريد أن أخبرك الحقيقة، إذا سمحت لي أيها النقيب".

مال الضابط إلى الأمام في كرسيه وقال وهو يلتقط قلم رصاص: "بالطبع، واصلي حديثك".

أخذت كوري نفساً عميقاً. كانت تعلم أنه من الجنون أن تقول ما كانت على وشك أن تقوله لضابط في النازي، ولكنها كانت الحقيقة، وقد طلبها. "أنت وأنا بشر، ونحن ننظر إلى ما هو خارج الإنسان، ولكن الله ينظر إلى قلب الإنسان هو يعرف إن كان ما بداخل الإنسان نور أم ظلام، وهذا هو ما يهمه".

لم يقل النقيب رامز شيئاً، ولذا مضت كوري تقول: "بعض الناس تغشى الظلمة قلوبهم. هل أنت واحد من هؤلاء الناس، ايها النقيب؟"

أجاب بيرود وهو ينهض من كرسيه ويفتح الباب على مصراعيه: "انتهت جلسة اليوم" ثم صاح: "أيتها الحارسة، عودي بهذه السجينة إلى زنزانتها".

ألقت كوري نظرة أخيرة على الزهور وهي تقتاد من مكتب النقيب عائدة إلى زنزانتها.

طوال بقية النهار وحتى وقت متأخر من الليل كانت كوري تتساءل إن كان ما فعلته هو الصواب أم لا. لقد أغضبت النقيب رامز،

وهو الشخص الوحيد الذي عرض أن يساعدها للخروج من السجن. هل ذهبت بعيداً حين أخبرته الحقيقة؟

ومن المدهش، أن الحارسة قد جاءتها في صباح اليوم التالي وصباح اليومين التاليين بعد ذلك. في كل مرة، كانت كوري تؤخذ إلى الكوخ المحاط بالزنابق، وفي كل مرة، كان النقيب رامز ينتظرها ومعه قطعة خشب زائدة لإضرام النار. ولكنه، لم يسألها المزيد من الأسئلة عن التنظيمات السرية. بدلاً من ذلك، سألها العديد من الأسئلة عن الله والكتاب المقدس.أخبر كوري أن زوجته وأطفاله كانوا في مدينة بريمن بألمانيا، وفي كل صباح كان يأمل أن يعيشوا ليلة أخرى. وقد أسر لها أيضاً بأنه في بعض الأيام كان يتمنى لو لم يستيقظ في صباح اليوم التالي بالمرة. إنه يكره عمله في السجن، ويكره كونه نازياً، ولكنه لا يرى طريقاً للخروج.

أخيراً، فهمت كوري ما كانت بتسي تحاول أن تخبرها إياه منذ الوقت الذي سقطت فيه القنابل لأول مرة على هولندا. ان عدداً كبيراً من الألمان كانوا مجرد ضحايا لأدولف هتلر وللرايخ الثالث الرهيب شأنهم في ذلك شأن الهولنديين. لقد كانوا هم أيضاً يعيشون في خوف على حياتهم وحياة عائلاتهم.

بعد أربع زيارات، أعلن النقيب رامز أنه انتهى من تحقيقاته وصرف كوري إلى زنزانتها للمرة الأخيرة.ز لم تكن تتوقع أن تراه مرة

ثانـية، ولكـنها كانـت مخطـئة. بعـد حوالي أسبوع، فتح باب زنزانتها، وكان النقيب نفسه واقفاً هناك. قال بلطف "اتبعيني".

حاولـت كـوري أن تمشط شعرها المنكوش وهي تقف. خرجت إلى الطـرقة وتبعـت النقيب. شعرت بارتياح كاف جعلها تسأله مع تسارع دقات قلبها: "أين سنذهب؟".

أجابهـا بـالقول: "سـآخذك إلى مكـتبي، حيـث ستكون هناك قـراءة". "قـراءة؟" رددت كـوري، وهـى تسـترجع ذكـريات الأمسـيات الجمـيلة لقـراءة الـروايات الـتي كـان يـنظمها ليندرت للضيوف في البيج. ولكن ما الذي يمكن أن يقصده النقيب رامز بالقراءة؟

سـألها بـدون أبـداء أي مشـاعر: "لقد قلت لي إن والدك مات في هذا السجن منذ ثلاثة شهور، أليس كذلك؟".

أجابت كوري: "نعم"

"حسـناً، المحامي هنا لقراءة الوصية للعائلة. هذه هى الطريقة الشرعية في هولندا".

لم تكـن كـوري متأكدة من فهم ما قيل. لماذا يهتم هو، كضابط في الـنازي، بالطـريقة الشرعية للقيام بالأشياء في هولندا؟ لم يكن لذلك أي معـنى ـ هـل يهـتم غازي ألماني بالقوانين في هولندا؟ ربما لا يكون النقيب يمثل دور المهموم بهذا الشئ، ربما هو مهتم بالفعل.

خطرت على بال كوري فكرة رائعة أخرى، هل ستحضر القراءة وحدها، أم هل كان يعني النقيب أن عائلتها سوف تكون منتظرة في مكتبه؟ لم تجرؤ على سؤاله، ولكنها شعرت بأنها تقفز وهى تتبعه في الطرقة. استدارا حول الناصية الأخيرة ثم خرجا إلى الفناء. فتح رامز لكوري الباب المؤدي لمكتبه.

"نوللى!" اتسعت حدقتا عينى كوري من الفرح. "ووليم، وبتسى، وتاين، وفليب. هل حقاً أنتم جميعاً هنا؟" رددت ذلك مراراً وتكراراً وهى تحتضن كل واحد فيهم عدة مرات.

استدارت كوري لتسمع الباب يغلق. لقد ذهب النقيب رامز. قالت وهى لا تكاد تصدق أن الحظ قد ابتسم لها.

قالت نوللى وهى تسلم لكل من كوري وبتسى كتاباً مقدساً صغيراً: "خذا هذين الكتابين بسرعة قبل أن يعود".

وضع كلاهما هذه الحمولة الثمينة في جيب المعطف وشكرا نوللى.

قالت كوري بإلحاح، وهى تستدير للتأكد من أن الباب مازال مغلقاً: "الآن أخبروني بكل شئ. قد لا يكون لدينا وقت كاف".

تبادل أفراد عائلة الـ تن بووم الأخبار في جلسة ودية.

استطاع ويليم أن يكتشف شيئاً ما عن موت أبيهم. فقد أصيب بالتهاب رئوي بعد وصوله للسجن بيومين. أخيراً، اقنع الرجال الآخرون

في زنزانته الحراس بأنه محتاج للرعاية الطبية. ولكن كان ذلك بعد فوات الآوان، فقد مات على نقالة وحيداً خارج المستشفى. لم يعرف أحد من هو، وعلى قدر ما استطاعوا أن يصلوا إليه، فقد دفن في قبر بلا شاهد. بكت كوري بهدوء وهي تستمع لذلك.

ثم أخبرهم تاين بعد ذلك عن كيك. كان قد قبض عليه وهو يحاول تهريب طيار أمريكي أسقطت طائرته إلى ساحل بحر الشمال، حيث كان المفروض أن يلتقط ثم ينقل إلى إنجلترا. سمع تاين وويليم أنه (كيك) قد نقل بالقطار حيث تم ترحيله إلى السجن في ألمانيا.

"وماذا عن الساعات في البيت؟" أرادت كوري أن تعرف.

أخبرها فليب القصة. عندما تم ترحيل جميع الذين قبض عليهم في البيج من مقر البوليس إلى الباص، لم يكن أرنولد معهم. كان محتجزاً بالطبع بسبب الغارة وكان واحداً من المختبئين في جب الملائكة. كان أبوه متأكداً أنه كان موجوداً في البيج في وقت حدوث الغارة، ولذا ابتدأ في توجيه الأسئلة إلى أصدقائه. هل يعرف أي شخص عن مكان في البيج يمكن أن يختبئ فيه رجل من التنظيمات السرية؟ ومن العجب العجاب أن أحد الأشخاص الذين سألهم كان هو الرجل الذي كان قد بنى الحجرة السرية، وما أن عرف من هو والد أرنولد، حتى أخبره بسرور عن المخبأ في حجرة نوم بالطابق الثالث. بعد ذلك تحدث والد أرنولد إلى رجل بوليس في هارلم كان يثق به، وتم وضع خطة. في الأمسية

التالية، كان الجستابو بسبيلهم إلى تسليم مهمة وضع الحراسة على البيج إلى البوليس المحلي. في ليلة الأربعاء ١ مارس، بعد الغارة بيومين، اكتشف البوليس الهولندي الذي كلف بمواصلة الحراسة بديلاً عن الجستابو، اكتشف الباب المؤدي إلى جب الملائكة وطرق عليه. انزلق الحائط، وخرج ستة أشخاص، أربعة منهم يهود، ماري، ومرثا، ويوسى، وروني، وعضوا التنظيمات السرية، هانز وأرنولد. شكر هانز وأرنولد رجال البوليس لإنقاذهما وصعدا إلى سطح البيج. قفزا إلى سطح المنزل المجاور واختفيا في جنح الظلام. انتظر "الضيوف" اليهود الأربعة بهدوء في الداخل مع رجال البوليس حتى جاء واحد من أفراد الجماعات السرية واقتادهم إلى بر الأمان. ثم أغلق رجال البوليس باب جب الملائكة وعادوا مرة أخرى إلى الوقوف خارج البيج للحراسة. وعلى قدر المعلومات التي توصل إليها فليب، فان الجستابو لم يتوصلوا بعد لاكتشاف جب الملائكة.

لم تستطع كوري أن تصدق ما كانت تسمعه. كانت قلقة بشأن الضيوف شكرت الله في صمت، فقد كان لا يزال هناك أناس طيبون في هولندا كرجال البوليس الذين خاطروا بحياتهم من أجل الضيوف في البيج.

بمجرد أن أنهى فليب سرد القصة، فتح الباب ودخل النقيب رامز إلى المكتب. سأل بأدب "هل قرأت الوصية؟"

المحـامي الهولـندي الـذي كان واقفاً في ركن الحجرة قال إنها لم تقـرأ ثـم فـتح مظـروفاً كـبيراً، وأخـرج وثيقة، وبدأ يقرأ. لم تكن هناك مفاجـآت في الوصـية. كـان الشـئ الوحـيد الـذي يمتلكه ويعد ذا قيمة هو البيج ودكان الساعات الملحق به، وقد تركه لبتسى وكوري إذا اختارتا أن تعيشا هناك.

عـندما انتهـت القـراءة، سـار النقيب نحو كوري وأمرها قائلاً "يجب ان تذهبي الآن".

ألقـت كـوري نظرة طويلة أخيرة على أخيها واختيها وتوقفت خـارج الـباب. اسـتطاعت أن تسـمع صـوت بتسـى في صـحبة الآخـرين خلفها.

عـندما عـادت إلى زنزانـتها شـعرت بأنهـا أكثر وحدة عن ذي قبل. رقدت على سريرها واستعادت كل لحظة من لحظات الزيارة. كانت قلقـة عـلى ويلـيم وبتسـى ومع أن ويليم كان قد خرج من السجن، إلا أنه كان يبدو هزيلاً وضعيفاً، أما بتسى التي كانت تعاني من مرض الدم الذي ألم بها، كانت أكثر شحوباً من أي وقت مضى.

فكـرت كوري أيضاً في وصية أبيها. كانت الكلمات التي قرأها المحـامي تـرن في أذنيها: "يمكن لاليزابيث وكورنيليا أن تأخذا البيج إذا اخـتارتا أن تعيشا هناك" بعد أن شب جميع أفراد العائلة في هذا البيت، لم تسـتطع كوري أن تتصور أن بإمكانها أن تعيش في أي مكان آخر سوى

في ذلـك البيـت الـرائع في هارلم. ولكن قبل أن تتمكن من أن تعيش هناك مـرة أخـرى، كان عليها أن تتخلص من الكابوس الراهن الذي يجثم على صدرها.

الفصل الحادي عشر

الكلمة التي بثت الرعب

علا صوت الحارس وهو يقول: "جميع المساجين، اجمعوا متعلقاتكم معاً وقفوا بجوار الباب". نهضت كوري، فقد كانت تزحف على ركبتيها في "حوار" مع نملة زائرة. كان ذلك بعد الأفطار في ١٢ يونيو سنة ١٩٤٤، فقد ظلت سجينة الآن لما يزيد عن ثلاثة شهور ونصف.

التقطت كوري الكتاب المقدس الذي أعطته نوللى لها، ووضعته في جيب معطفها، ووقفت بجانب الباب، وكان قلبها يخفق بشدة. ما عسى أن يكون هذا؟ في المرات السابقة التي كانت تغادر فيها زنزانتها كانت لوحدها، ولكن في هذه المرة كان الحارس يصرخ لكل من في مبنى السجن ليستعد للتحرك. هل هبطت قوات الحلفاء في هولندا؟ هل هم على وشك أن يتحرروا؟ وقفت بشغف بجوار الباب وانتظرته حتى يفتح. ولكن لم يحدث شئ.

جاء وقت الغذاء ومضى، ومازال الباب مغلقاً. لم يحضر أحد شريحة الخبز المعتادة للغذاء، وبدأت معدة كوري تؤلمها. هل كانت مجرد خدعة خسيسة من قبل الحراس والحارسات، محاولين جعل الجميع يعتقدون أنهم سوف يتركون السجن بينما يجلسون هم في حجرتهم

المشتركة يضحكون على المساجين الأغبياء؟ بدأت كوري تتساءل عن معنى ما يحدث.

وأخيراً، في منتصف فترة ما بعد الظهر، فتح الباب صرخت حارسة لم ترها كوري من قبل في زنزانتها: "أسرعن، قفن صفا وسرن إلى الأمام. الآن!".

خرجت كوري إلى الدهليز، وهي شغوفة لرؤية اناس آخرين. كان المكان كله مزدحماً بنساء قذرات نحيفات. ومع أن كوري لم تتعرف على أي واحدة منهن، إلا أنها أرادت أن تحتضن كل واحدة. كن سجينات مثلها، وكن يعانين جميعاً نفس الكابوس الذي تعانيه.

وكالروافد التي تصب في نهر واحد، انضمت النساء في الزنازين القريبة من زنزانة كوري إلى جموع المساجين الذين يسيرون في الدهليز. أثناء سيرهم، كانت هناك كلمة تتردد همساً على لسان المساجين من أول الصف إلى آخره، وهي "الغزو". كانت كوري تأمل أن يكون ذلك صحيحاً. ربما يمكنها أن تتحرر حالاً.

لم يمض وقت طويل، حتى كان يقف ألف رجل وسيدة من المساجين والسجينات في الفناء. مدت كوري عنقها لتنظر إلى قرص مستدير من الشعر البني المائل للاحمرار والذي يخص بتسي. وقبل أن تلمح أختها، سبقت كوري لتركب باصاً كبيراً. تم طلاء النوافذ مرة أخرى وإزالة المقاعد صرخ حارس "إلى الأمام، إلى الأمام، واضعاً يده على مسدسه

لتوضيح مقصده. شعرت كوري أن الجميع يعتصرونها. صاح الحارس: "أسرعن. أسرعن. هل تعتقدن أنها نزهة للاستماع برؤية المناظر الطبيعية". ثم ضحك بصوت عال للنكتة التي أطلقها بنفسه وهو يدفع النساء ليقتربن من بعضهن البعض ولوح للمزيد منهن ليركبن الباص.

وعندما تأكد الحارس أخيراً أنه لا يمكن حشر أي نساء أخريات، انطلق الباص. كان الباص يميل بخطورة حول المنحنيات، ولم يكن هناك شئ يمكن الإمساك به، ولكن لم تسقط أى امرأة، كانت جميعهن متراصات بإحكام شديد.

بعد حوالي ٢٠ دقيقة، توقف الباص وفتح الباب. حملت كوري وسط حشد النساء من الباص.

صرخ حارس آخر خارج الباص وقال: "كوّن صفوفاً!"، وقفت كوري في الصف، وقد تجاسرت أن تحرك رأسها قليلاً وهى تفعل ذلك. كانت السجينات يقفن فوق منطقة كبيرة مرصوفة بجانب شريط السكة الحديد. لم تكن هناك قطارات قادمة من هنا أو هناك، وقد بدأت الشمس في المغيب. ولم تأكل كوري شيئاً منذ ذلك الأفطار الهزيل الذي قدم للمساجين، وشعرت بالضعف والجوع. كانت تأمل أن يقدم لهن طعام ليأكلنه سريعاً.

"قفي دون حركة" زمجر حارس وهو يضرب مؤخرة بندقيته بكل قوته في معدة إمرأة. أغلقت كوري غينيها وصلت عندما تكومت المرأة وانهارت. كان يصعب عليها أن تراقب مثل هذه القسوة التي لا مبرر لها.

ظلت الباصات واحداً وراء الآخر تحمل المزيد من البشر لما يزيد عن ساعة. كمعظم السجينات، كانت كوري تدرس كل مجموعة جديدة تصل. كانت ترغب باستماتة أن تنظر بتسى. وأخيراً رأت قرص شعر مستدير بني اللون يميل للاحمرار. لابد أنها بتسى! حاولت كوري أن تراقب بتسى عندما كانت رأسها تتحرك بين الصفوف. وفي النهاية، انضمت بتسى لصف من السجينات يبعد عن المكان الذي كانت تقف فيه كوري بمائة متر تقريباً.

وقفت كوري وانتظرت، وهي تتحسس أجساد النساء الأخريات بالقرب منها. بعد ثلاثة شهور ونصف لوحدها في الزنزانة، كان من الرائع أن تجد نساء أخريات على مقربة منها. وعندما كان الحارس يبتعد قليلاً، كانت كوري تنظر إلى السماء. كانت الغيوم المحمرة المنتفخة تنزلق عبر الأفق أمام الشمس الغاربة. اعتقدت كوري إنه أجمل شئ قد رأته، وأخيراً، عندما اخترقت الأشعة الأخيرة من ضوء الشمس هذه الغيوم، سمعت ضوضاء. كانت هذه الضوضاء تتصاعد شيئاً فشيئاً حتى تأكدت كوري أنه قطار. توقف القطار أمام السجينات محدثاً صوتاً

كضجيج الأفاعي، وهو ينفث بكميات كبيرة من الدخان والبخار في وجوهن.

أصدر الحارس أوامره حين فتح أول عربة: "إصعدن. إبقين في صفوفكن" وسرعان ما انهار الصف المنظم، وتدافعت النساء، حيث كانت كل واحدة في شوق للحصول على مقعد بدلاً من أن تترك واقفة. رأت كوري أن الفرصة التي كانت تنتظرها قد واتتها. كان عليها أن تقاوم الحشد وتتدافع بالمنكبين لتشق طريقها إلى بتسي. كالسباح الذي يقاوم تياراً كاسحاً، كافحت كوري لتتجنب اكتساحها في القطار بسبب سيل السجينات الذي لا ينقطع. وفي الوقت الذي ظنت فيه كوري أنه لم يتبق لديها قوة كافية لتصل إلى غرضها، لاحت بتسي أمام ناظريها. كان يفصل بينهما الآن فقط ثلاثة أو أربعة أشخاص. استطاعت كوري بحركة واحدة، أن تفرق الحشد وتمسك بيد أختها. التفتت بتسي لترى يد من التي أمسكتها. أشرق وجه بتسي وهما يحملان إلى أعلى وإلى أسفل من تزاحم الجمهور في القطار وقالت: "كوري! شكراً لله لأنك أنت يا كوري". كانتا شاكرتين لأنهما وجدتا مقعداً سوياً.

لعدة دقائق كل ما استطاعت الأختان أن تفعلاه أن تضع كل منهما يديها على كتف أختها وتبكي. لقد كان ارتياحاً كبيراً أن يكونا معاً مرة أخرى. وعندما جلستا وبكتا وتحدثتا، كان الوقت يمر سريعاً. من وقت لآخر، كانت كوري تنظر من الشباك وتحملق في الظلام وتتساءل عن

المكـان الذي كن متجهات إليه. ولكن ذلك لم يكن يمثل كثيراً من الأهمية الآن، حيث أن أختها الأكبر كانت معها.

أخـيراً توقـف القطـار. كـان الجمـيع يـنظرن مـن الشـباك، محاولات التعرف على المكان.

"يبدو كما لو كنا في إحدى الغابات"

"إني لا أرى محطة سكة حديد"

"لا شـك أن القطـار مـتجه بـنا نحـو الجـنوب"، رأيـت بـرج كاتدرائية دلفت"

انتشـرت التعلـيقات في كـل أرجـاء القطـار عندما كان الجميع ينتظرن بعصبية ويردن معرفة ما يخبئه النازي لهن في الخطوة القادمة.

بدأ صياح الحارس: "أسرعن. اخرجن من القطار".

ساعدت كوري بتسى لكي تقف على قدميها، وقد انضمتا مرة ثانية إلى الموكب الحزين للسجينات، غير عالمتين إلى أين تذهبان.

مـا أن خرجـتا مـن القطار، حتى أدركتا أنهما بالفعل في وسط غابـة. شمـت كـوري رائحـة الصـنوبر التي تبعث على النشوة تملأ الجو. كانـت بالنسـبة لهـا أفضـل مـن العطـور الثميـنة. طلـب مـن المسـاجين والسـجينات تكويـن صـفوف. ثـم طلـب إلـيهم أن يتقدموا إلى الأمام. بعد السير لما يزيد عن ميل، خرجوا من الغابة إلى أرض فضاء.

تمتمت المرأة التي كانت بجوار كوري قائلة "فوت"، بثت الكلمة الرعب في قلب كوري، التي كانت قد سمعت عن هذا المكان من السجينات في زنزانتها الأولى في مدينة "شيفينينجين". كان سجن "فوت" يقع في جنوب هولندا بالقرب من "باربانت"، ولكنه لم يكن سجناً هولندياً. لقد كان معسكر اعتقال ألماني وهو مخصص بنوع خاص للمساجين الذين اعتقد النازى أنهم الأخطر بالنسبة لهم. أحست كوري بالخوف يتصاعد بداخلها أثناء سيرهن عبر بوابات الأسلاك الشائكة للمعسكر والدخول إلى المبنى الأول. كن في حجرة طعام بها صفوف من الموائد الخشبية الطويلة. وجدت كوري وبتسى مقعدين معاً، ووضعتا رأسيهما جنباً إلى جنب في صدر المائدة، واستسلمتا للنوم، بعد عناء الرحلة.

على الرغم من حقيقة أن كوري كانت في معسكر اعتقال سيئ السمعة، إلا أنها كانت أسعد حالاً في "فوت" عما كانت عليه في "شيفينينجين". كان هناك أناس آخرون تتبادل الحديث معهم، وكانت تنام في مكان مجاور لأختها، وكانتا تعقدان معاً دراسات كتابية في الأمسيات للسجينات الأخريات. كان لكل واحد وظيفة يؤديها، ومع أنهما كانتا تعملان طوال ١٢ ساعة كل يوم، إلا أن ذلك كان أفضل بكثير من جلوس كوري بمفردها في زنزانة دون رفيق تأنس به سوى النمل. كانت كوري تعمل في "مصنع فيليب"، أحد مباني السجن الحربية حيث

يقوم المساجين بتجميع مكونات أجهزة الراديو للمقاتلات الألمانية. بدأت كوري عملها بتقسيم القضبان الزجاجية إلى مجموعات وفقاً للحجم، ولكن عندما اكتشف مستر مورمان، أحد المساجين المحنكين الموثوق فيهم، وقد كان مشرفاً عليها، أن كوري كانت صانعة ساعات، أعطاها عملاً يتسم بالمزيد من الخبرة الفنية. في وقت الغذاء، كان يحصل العاملون على نصف ساعة للترويح عن النفس، وكانت كوري تستغلها في الجلوس على العشب لتأخذ حماماً شمسياً.

ولكن كوري كانت قلقة على أختها. كان يبدو أن بتسى أكثر ضعفاً في النهار. فقد تعين عليها أن تعمل في حجرة الخياطة، مع السجينات الأخريات الأكبر سناً والأمهات الصغيرات السن اللواتي لديهن أطفال. أخبرت كوري أن العمل كان سهلاً، فقد كان ينحصر أساساً في إصلاح ملابس الزي الموحد للسجن وأكياس المخدات. ولكن بعد أيام قليلة، بدأ الشك ينتاب كوري إزاءها. كانت يدا بتسى متورمتين، وفي يوم ما عادت إلى المبنى ويداها مربوطتان ببعض الخرق. بعد العديد من التساؤلات، صرحت لكوري بانها كانت تقضي معظم يومها في ضفر الحبال السميكة معاً. لم تخبر كوري بطبيعة عملها من قبل لأنها لم تكن تريدها أن تقلق. كانت هناك أشياء أخرى كثيرة تدعو للقلق في "فوت" بما فيه الكفاية. ولكن القلق انتاب كوري بالفعل. كانت تتساءل عن مدى قدرة جسد بتسى الهزيل على الصمود تحت وطأة هذه الظروف الصعبة.

في "شيفينينجين"، لم يكن عالم كوري أكبر من زنزانتها، ولكن في "فوت"، كانت محاطة بأناس آخرين وبمشكلاتهم ومصاعبهم. فالمرأة التي تعمل بجوارها في تركيب أجزاء الراديو معاً ولدت طفلة في إحدى الليالي، ولكن الطفلة كانت ضعيفة كأمها وماتت في الصباح. تلقت فتاة يهودية صغيرة خطاباً يخبرها أن أخاها قد ضرب بالرصاص أثناء محاولته سرقة بعض الطعام. وقد أصبحت هي الآن العضوة الوحيدة الباقية في العائلة. والقائمة طويلة ومؤلمة. كان لكل إمرأة قصة بائسة ترويها. كان للعديد من النساء أزواج او أبناء محتجزون في قسم الرجال من معسكر الاعتقال.

انتهى الربيع وأقبل الصيف، وابتدأ التوتر يزداد في فوت. كان الحراس ينفجرون غاضبين لأتفه الأشياء، وكان جميع المساجين يعاقبون من أجل "جريمة" شخص واحد. في كثير من الأحيان كانت كوري تجد نفسها مضطرة للوقوف في طابور لنداء الأسماء في الساعة الرابعة صباحاً بدلاً من الطابور المعتاد في الخامسة. وكانت النساء يضطررن للوقوف دون حركة طوال هذه الساعة الإضافية. ظلت كوري قلقة على بتسى، التي أصبحت أكثر نحافة عن ذي قبل، فقد كان وزنها الآن يقل عن ٩٠ رطلاً. كان الألم يعتصر معدة كوري بنوع خاص بسبب القلق على أختها أثناء طوابير نداء الأسماء والتي كانت تمتد لوقت طويل. كانت كوري تعلم أن النساء اللواتي كن يسقطن أثناء طابور النداء كن

يعاقبن بوضعهن في ما يشبه التوابيت، وهي عبارة عن دواليب صغيرة الحجم بمثل حجم التابوت. كانت السجينة توضع بداخل واحد من هذه الدواليب طوال اليوم دون هواء أو طعام. كانت العديد من النساء لا يرجعن إلى الثكنات مرة أخرى بعد ذهابهن إلى هذه التوابيت. كانت كوري تأمل وتصلي ألا ترسل بتسي إلى واحد منها.

بدأ معسكر الاعتقال يزدحم بالمساجين والسجينات من سجون أخرى في هولندا. كان الكل ينتظر حلول الليل حتى يمكن مساءلة القادمين الجدد. في معظم الأحيان كان لديهم شائعات يروونها، ولكن في بعض الأحيان كان لدى البعض معلومات حقيقية. في أواخر يوليو، كان هناك حديث عن أن الجيش الروسي كان يغزو بولندا. وفي أغسطس، بدأت الأخبار تتوارد إلى المعسكر عن غزو قوات الحلفاء لفرنسا في نورماندي. وطبقاً للإشاعة، استطاع الحلفاء تحرير باريس. كان المساجين يأملون ويصلون أن يكون ذلك صحيحاً. وفي الواقع، كان ذلك ما حدث. في ٦ يونيو ١٩٤٤ ، بدأت قوات الحلفاء يوم الغزو الشامل لفرنسا. استطاعوا مواجهة المقاومة الألمانية العنيفة، ولكن في النهاية انتصروا وبدأوا الآن في دفع الألمان إلى التقهقر.

انتشرت إشاعة أيضاً بأن بعض القرات الهولندية التي هربت إلى إنجلترا في بداية الاحتلال. كانت في طريقها للتحرك. كان لواء الأميرة أيرين، كما كانوا يطلقون على أنفسهم، يندفع نحو بلجيكا وسوف

يـزحف نحـو جـنوب هولـندا سـريعاً. اعـتقدت كـوري أن الكثير من هذه الأنـباء تغلب عليه الصحة، وهذا يفسر السبب الذي يجعل الحراس أكثر شراسـة. ثـم جـاء خـبر يقـول إن أدولف هتلر قد أصيب من جراء انفجار قنـبلة. مـن الواضـح أن بعـض ضـباطه المـرافقين له حـاولوا قـتله. لم تكن الأمور تسير على ما يرام بالنسبة للألمان.

في أوخـر أغسـطس جـاءت الـبادرة الأولى بـأن غزو الحلفاء قد حدث بالفعل. يوما ما عندما كانت كوري ترقد في شمس الظهيرة، سمعت طائـرة تحلـق فوقهـا، ثـم طائـرة ثانـية وثالثة. وسرعان ما امتلأت السماء بطائـرات مـن الصـلب الـرمادي اللـون، وهـى لا تحمـل شـعار الصـليب المعقـوف المخـيف عـلى أجنحـتها ولكـن تحمـل الدوائر الحمراء والبيضاء والـزرقاء للقـوات الجويـة البريطانية. نهضت النساء الأخريات الجالسات عـلى النجـيل واقفـات. لم يوقفهـن أحد وهن يلوحن ويهتفن للقاذفات في الجو حتى بح صوتهن.

بيـنما كانـت النسـاء يـراقبن ما يحدث، تفجرت السماء فجأة بومضـات برتقالية اللون. كانت المدفعية المعتادة للطائرات تطلق النار على الطائـرات، ثـم اقتربـت المقـاتلات الألمانية من جهة الشمال الشرقي وهى تطلق القذائف. بدأت معركة جوية كبرى. كانت الطائرات تُضرب فيخرج مـنها دخـان أسـود وهـى تهـوى إلى الأرض. بـدأت الشـظايا المتـناثرة من المعـركة تـنهال علـيهن. بعـض القطـع الكـبيرة كانـت ترشـق الثكـنات

(العنابر)، وتم نقل خمس سيدات جرحى إلى المستشفيات وبالرغم من ذلك عمت فرحة كبرى معسكر الاعتقال. أما السيدات الجرحى فلسوف يتم إنقاذهن في يوم قريب.

بدأت كوري وبتسي تخططان لماسوف يفعلانه بعد أن يطلق سراحهما. أصبح البيج مغلقاً الآن لمدة خمسة شهور. كانت السجاجيد بحاجة لإخراجها إلى السطح ثم تنفيضها. وكانت هناك ثقوب في الحوائط والأرضيات حين كان النازي يبحثون عن جُب الملائكة، كانتا بحاجة لنجار ماهر لإصلاح كل ذلك. وعندما يتم إصلاح كل شئ، فإنهما سوف يعملان حفلة كبرى للاحتفال بعودتهما. سوف يتم دعوة كل الأصدقاء والصديقات.

ولكن بعد أسبوع، كانت كوري لا تزال تلف الأسلاك معاً لأجهزة الراديو. وأثناء عملها، اهتز المبنى كله وامتلأ بدوى يصم الآذان. ولم يكن الانفجار المروع علىبعد مسافة كبيرة. شعرت كوري أن أذنيها قد أصيبتا بالصمم. صاح فيها مستر مورمان عندما نزل جميع العمال تحت الموائد: "ابلعي ريقك وتنفسي مع فتح فمك". دوى هائل!. ثم انفجار ثان وثالث. توالت الانفجارات لمدة نصف ساعة ثم توقفت ثم بدأت فجأة مرة أخرى. زحفت جميع السجينات من مخابئهن واحدة وراء الآخرى لمناقشة معنى كل ما يحدث.

"لابد أن الحلفاء يقصفون بارابانت".

"هل أنت متأكدة إنها ليست مدافع تطلق النيران في مكان قريب؟"

"لواء الأميرة أيرين هنا، سوف نتحرر غداً".

توالت الاقتراحات بما سوف يحدث في كل أنحاء الحجرة، ثم تكلم مستر مورمان: "لا أعتقد إنها بنادق أو مدافع، فلها دوى كالقنابل. ولكني لم اسمعها وهي تحدث صفيراً كما تفعل حين يتم إسقاطها من الطائرة. وقد كانت منتظمة. إني أعتقد أن الألمان ينسفون الكباري والمباني قبل انسحابهم. فقد فعلوا هكذا من قبل".

صدقت كوري مستر مورمان، فهو رجل ذكي كان مديراً لمدرسة كاثوليكية كبيرة قبل الحرب. كان يبدو أن مستر مورمان كان على حق بشأن معظم ما قاله. تساءلت كوري عن دلالة ذلك بالنسبة للسجناء في فوت. هل سيطلق سراحهم؟ كانت كوري تأمل قبل كل شئ آخر أن يحدث ذلك، ولكن في قرارة نفسها لم تستطع أن تتخيل أن أشخاصاً قساة كهؤلاء الحراس يفتحون الأبواب ويسمحون للمساجين بالخروج قبل الانسحاب. وقد كانت على حق.

بعد حوالي ساعة، أذيع إعلان من مكبرات الصوت في المعسكر. "الجميع يقفون طابورا لنداء الأسماء. عودوا إلى ثكناتكم فوراً"

لم يحدث شئ مثل هذا من قبل. فقد كانت الحياة تسير وفقاً لروتين صارم في معسكر اعتقال فوت. كان الناس خائفين. كان كل فرد

يحتضن الآخر في استماتة قبل أن يأتي الحراس لدفع المساجين للتحرك باستخدام مؤخرة بنادقهم.

اندفعت كوري نحو الثكنات. شعرت بارتياح كبير عندما وجدت بتسى هناك من قبل. اصطفت النساء أمام المبنى وانتظرن لرؤية ما سيحدث بعد ذلك. لم يكن بحاجة للانتظار طويلاً. كان الجو مليئاً بأصوات الانفجارات ثم صمت وجولة أخرى من اصوات الانفجارات. "بنادق! إنهم يقتلون الرجال!" صاحت إحدى السيدات وهى تنهار وتسقط. بدأت نساء أخرى تبكين وتولون. والبعض الآخر كن يصحن نظراً لسوء المعاملة ويصرخن بصوت عال في وجه مستعمريهم الألمان. بعد ذلك استدار الحراس ومشوا بعيداً.

ظلت النساء واقفات لمدة ساعتين معاً وهن يستمعن لتلك الأصوات المرعبة. وعندما لم يرجع الحراس، دخلن ثكناتهن. جاء عدد كبير من النساء اللواتي كن قد استمعن إلى الدراسات الكتابية للأختين تن بووم لكي يصلين مع كوري وبتسى.

وعندما رقدتا أخيراً لتناما في تلك الليلة، همست بتسى لكوري قائلة لها: "إني شاكرة". نظرت كوري لأختها وتساءلت عما يمكن أن تكون شاكرة لأجله في مثل ذلك اليوم الرهيب. وضعت بتسى ذراعها حول كوري واستمرت تقول: "أنا أشكر الله لأن والدنا العزيز مات في الوقت الذي مات فيه. إني لا أستطيع أن أحتمل التفكير في مدى المعاناة

التي كان يمكن أن يجتاز فيها لو كان الآن على قيد الحياة". شعرت كوري بغصة في حلقها. كانت الدموع تنساب على وجنتيها. كانت تصرخ لأجل حالها ولأجل بتسى ولأجل كل إمرأة في العنابر.

شهد الليل الطويل أنات وعويل النساء الحزاني. لم تستطع كوري أن تنام. كانت ترقد على ظهرها متسائلة عن دلالة كل ما يحدث بالنسبة للسجينات. لابد أن مستر مورمان كان على حق، فالنازي كانوا يستعدون للانسحاب. فلماذا يقتلون كل هذا العدد من المساجين الذي يعملون بجد؟ ثم حاولت أن تبعد الفكرة التالية عن عقلها، ولكنها ظلت تزحف راجعة إليه. إذا كان الألمان يقتلون السجناء اليوم، فهل يخططون لقتل السجينات غداً؟.

الفصل الثاني عشر

رقم ٦٦٧٣٠

صرخت واحدة من الحارسات: "إجمعا متعلقاتكما، سوف تخرجان". نظرت كوري إلى بتسى وتنفست الصعداء. فإن كانتا سوف تأخذان متعلقاتهما معهما، فمن المرجح أنهما سوف تنقلان إلى مكان ما لا أن تقفا في طابور خارجاً ثم تضربا بالنار كما حدث للرجال. لذا وضعت الأختان متعلقاتهما الضئيلة في كيس مخدة. كانت هناك زجاجة صغيرة تحوى نقاطاً من الفيتامينات من طرد للصليب الأحمر، وقد كانت فارغة تقريباً، ولكنهما حاولتا إطالة أمدها بقدر الإمكان. كانت نوللى قد أرسلت لبتسى بلوفر صوف أزرق. ولفرط دهشتها، فقد وصلها الطرد الذي يحتوي عليه في فوت. وضعت كوري البلوفر في كيس المخدة. لم تشكل متعلقاتهما سوى نتوء صغير في أسفل كيس المخدة بينما علقته كوري فوق كتفها. الشئ الوحيد الآخر الذي كانتا تمتلكانه كان ثميناً جداً لدرجة أنهما لم تقبلا وضعه في كيس المخدة. كان ذلك هو الكتاب المقدس الذي أعطته نوللى لكوري عند قراءة وصية والدهما. عملت له بتسى كيسا صغيرا من القماش في حجرة الخياطة، وكان معلقاً دائماً من أحد جوانبه. وكانت نوللى قد أعطت لبتسى كتاباً مقدساً في نفس الوقت، ولكن بتسى كانت

قد أعطته لإمرأة فقيرة. ولذا فقد كانت تشترك هى وكوري في كتاب واحد. كانت متعلقاتهما محمولة في يديهما، وقد اصطفت الأختان لسماع نداء الأسماء الأخير في معسكر اعتقال فوت.

بعد سماع النداء سارت النساء إلى الأمام، حيث كان كل خمس نساء يسرن جنباً إلى جنب. توقفت سيارة نقل كبيرة عند البوابة. وعندما كان كل صف من السجينات يصل إلى محاذاة السيارة، كانت توقف للحظة، وكانت كل سيدة في الصف تتسلم بطانية. لم يكن ذلك مفهوماً بالنسبة لكوري. لقد تركن لتوهن البطانيات في عنابرهن، فما معنى تضييع الوقت لتوزيع بطانيات جديدة؟ لم تستطع كوري أن تجد إجابة مقنعة لذلك، ولكن في ذلك الوقت، كانت الكثير من الأشياء التي يعملها الألمان لا تعني شيئاً بالنسبة لها. ولما كانت البطاطين سميكة وأثقل من أن تحملها بتسى بسبب ضعفها، حملت كوري بطانية بتسى كما حملت بطانيتها وهما تسيران بعيداً عن المعسكر.

اتبعت النساء نفس الطريق الذي سلكنه إلى فوت من القطار. وعندما وصلن إلى شريط السكة الحديد، أمرهن حارس بالوقوف. نظرت كوري إلى يمين ويسار الشريط ولكنها لم تر أي قطار ركاب كالقطار الذي أقلهن من "شيفينينجين". لم تجد سوى شاحنات سكة حديد صندوقية الشكل. كان الجنود الألمان يقفون فوقها، يصوبون بنادقهم الآلية إلى

النسـاء. كانـت كوري ترتعب إذا صوب أحدهم بندقية نحوها. لكنها الآن لم تكن تبالي بذلك.

نظـرت المـرأة الـتي عـلى يسـار كوري إلى الجنود وقالت: "ما الذي يهم إذا أطلقوا النار علينا الآن؟ إننا سوف نموت على أي حال".

مـدت كـوري يدها نحو المرأة لتواسيها. كانت تريد أن تقول: "لـيس هـذا صـحيحاً، لا تفكري هكذا"، ولكن ذلك يعد أكذوبة. على أي حال، انظر إلى ما عمله النازي بالرجال في اليوم السابق.

تقـدم جـندي طويـل أسـود الشـعر وراح يفـتح أقفال شاحنات القطـار كلـه، ويفتح الأبواب بجعلها تنزلق. كان يعرف ما سوف يحدث. كانـت جمـيع النسـاء اللواتي يبلغ عددهن حوالي ألف امرأة، سوف يزج بهـن في الشاحنات، والـتي لم يكن بها نوافذ أو مقاعد ولم تكن مخصصة لحمل الحيوانات، دع عنك البشر!.

صاح حارس بالقرب من كوري قائلاً: "تحركن يا أبقار، علينا أن نضع ثمـانين مـنكن في كل شاحنة. شعرت كوري ببندقية تضغط على ظهـرها، واندفعـت النسـاء معـاً نحـو الشاحنة. كان على العديد منهن أن يسـاعدن بتسـى عـلى الصعود، لأن الشاحنة كانت أعلى من أن تستطيع تسـلقها. ومـا أن دخلـن، حـتى تحـركن إلى الخلف على قدر استطاعتهن لأن المـزيد مـن النسـاء قـد أمرن بدخول الشاحنة. وأخيراً، عندما وجدت

كوري أنها تتنفس بالكاد، أغلق باب الشاحنة. غرقت كل النساء في العربة في ظلام دامس.

شعرن جميعهن بالرعب في البداية. كانت النساء تصرخن محاولات الإمساك بالحوائط، ولكن بعد ما يقرب من ساعة، هدأن إلى الحد الذي جعلهن ينظمن أنفسهن. لقد اكتشفن أنه إذا جلست كل إمرأة بساقين متباعدتين كما لو كانت تجلس على الزلاجة، لأتيح لهن مكان كاف لجلوس جميعهن على أرضية الشاحنة. وضعن بطاطينهن حول أنفسهن وانتظرن. خلال بقية اليوم كانت الشاحنة تنتقل إلى الخلف وإلى الأمام، دون أن تتحرك أكثر من أمتار قليلة في أي الاتجاهين لأن العربات كان يتم ربط كل منها بالأخرى لتكوين قطار طويل. كانت النساء بداخل القطار بحاجة للذهاب إلى الحمام، ولكن لم يكن هناك دلو - ولم تكن هناك وسيلة للتسلق فوق الحائط البشري للذهاب إلى مكان الدلو على فرض أنه كان موجوداً. لم يكن لديهن خيار سوى التحرك إلى اليمين في مكان جلوسهن. لم تكن كوري تعرف أيهما أردأ، الاحساس بعدم الارتياح أم الرائحة النتنة. عند حلول الليل، تمكنت بعض النساء الجالسات بجوار جوانب الشاحنة أن يحفرن بعض الثقوب في الخشب، مما سمح لدخول بعض الهواء النقي. وفي نفس الوقت تقريباً، سمعت النساء أصوات انفجارات خارج الشاحنة. جلسن جميعهن واستمعن.

همست إحدى النساء "أصوات مثل حبات البرَد".

قالت إمرأة أخرى: "كلا، إنها ليست على السطح، إنها تضرب جوانب العربة".

قالت إمرأة ثالثة: "بنادق آلية".

كانت النار تطلق عليهن! وهذا يمكن أن يعني شيئاً واحداً. لابد أن قوات التحالف قريبة. ملأت الإثارة الشاحنة. ففي أي لحظة يمكن أن تفتح الأبواب ويطلق سراحهن. ولكن لم يحدث شئ مثل ذلك. بعد نصف ساعة، شعرن أن القطار بدأ يتحرك، ببطء في البداية، ثم ابتدأ يسرع في سيره. ضاعت الإثارة بسرعة كما جاءت. جلست النساء في صمت. لم يكن هناك داع لقول شئ ما، فقد اتضح أنهن في الطريق إلى الشرق نحو ألمانيا. لم يكن هناك مكان آخر بخلاف ذلك في هذا الاتجاه.

تساءلت كوري بصوت عال: "لماذا يهتمون بأخذنا إلى ألمانيا؟ نحن جماعة من النساء المستضعفات، وشبه الجائعات. لماذا يتكبدون مشقة الانفاق على رحلة بالقطار؟" لم تستطع أي واحدة في القطار الإجابة على سؤالها.

أسرع القطار. كانت رائحة العربة مقززة لدرجة أجبرت كوري على محاولة التنفس عنوة. كانت النساء بجوار الثقوب في جوانب الشاحنة يصرخن ليلفتن نظر الأخريات عند حلول الظلام أو عند ظهور النور. مضت ليلة، ثم ليلة أخرى، وليلة ثالثة. وأخيراً، توقف القطار.

سمعت النساء صوت اولاد صغار يتصايحون بالألمانية، ثم انزلق باب الشاحنة. رفعت كوري ذراعها لتحمي عينيها من انسكاب الضوء القوي.

كان ضغط ٨٠ إمرأة متواجدة في مثل هذا المكان الضيق يدفع النساء الاخريات بالقرب من الباب نحو الخارج. كانت النساء يلقين بأنفسهن على الحجارة بجوار شريط السكة الحديد من على ارتفاع أربعة أقدام. زحفت المزيد من النساء بداخل العربة نحو الهواء النقي. كانت جميعهن منهكات لدرجة جعلتهن لا يستطعن فعل أي شئ سوى السقوط من الباب فوق الأخريات، وسرعان ما تكومت النساء بأعداد كبيرة خارج أبواب كل عربة في القطار. استطاعت النساء الأقوى تحرير أنفسهن من أكوام النساء ببطء. كانت هناك بحيرة صغيرة على بعد ما يقرب من ٢٠ قدماً، وبدأت النساء تزحف نحوها. وكانت كوري إحداهن. تركت بتسى في وسط كومة النساء ووعدت بأن تعود إليها. زحفت فوق الصخور الوعرة، وكانت ركبتاها تدميان في سيرها، وكانت عيناها مثبتتان على الماء أمامها.

أخيراً، انهارت كوري بجوار البحيرة. غمرت وجهها في الماء. كم كان ذلك إحساساً رائعاً! جعلت الماء ينزلق فوق شعرها وحول رقبتها. واحتست ماء يملأ فمها. كانت النساء الاخريات يفعلن نفس الشئ على طول حافة البحيرة.

بعد بضع دقائق قليلة، شعرت كوري أنها قوية بالدرجة الكافية كي تجلس. نظرت حولها. على خلاف الحراس في هولندا والذين كانوا بالغين كان الحراس هنا أولاداً في سن المراهقة. وبعضهم لم يكن يبدو في سن الخامسة عشرة. هزت كوري رأسها. فقد كان ما يزيد على ألف إمراة تحت سيطرة سبعة أولاد في سن المراهقة يحملون بنادق. وفي حقيقة الأمر، لم يكن هناك داع لما يزيد على سبعة حراس، فلم يكن لدى أى واحدة من النساء القوة على المقاومة.

ألقى واحد من الحراس الشبان كومة من الأكياس المصنوعة من القماش بجوار كوري، ثم قال لها بالألمانية: "استخدميها في نقل الماء".

أنزلت كوري الكيس في البحيرة ووقفت. كان جسدها كله يرتعش وهى عائدة إلى القطار تترنح حاملة الماء. استطاعت بتسى أن تزحف قليلاً بعيداً عن كومة أخرى من النساء. وجدتها كوري وسكبت عليها بعض الماء. قالت لها من خلال شفتيها المتشققتين "شكراً". استمرت كوري، تسكب الماء في أفواه السجينات الأخريات. ولكن بعضهن كن فاقدات للوعي، وكانت أعين الأخريات منكمشة في مآقيها. علمت كوري أنهن قد متن.

عندما نفذ الماء، سلمت كوري كيس القماش لسجينة أخرى ورقدت بجوار بتسى. كان يوماً جميلاً مشمساً. كانت الطيور تغرد فوق الأشجار المجاورة، وكان فلاح ألماني يقود عربته التي تحمل القش

ويجـرها حصان في الطريق بجوار شريط السكة الحديد. كان كل شئ يبدو طبيعـياً، باسـتثناء النسـاء الموتـى واللواتي يلفظن أنفاسهن الأخيرة بجوار القطار.

"انهضي. انهضي. تحركي". صرخ واحد من الحراس الشبان، وهـو يشـد بـنطلونه إلى أعـلى، وقـد كـان أكبر من مقاسة. ظلت كوري في مكانهـا. قالـت لنفسـها "كم يسهل الاستسلام الآن. يمكننا أنا وبتسى أن نموت سوياً، ونحن نرقد في الشمس، ونستمع إلى الطيور"

أفاقـت مـن أفكارهـا عـلى صـوت بتسى وهى تقول لها: "هيا بنا. علينا أن ننهض" أدارت كوري رأسها لتنظر إلى أختها. استطاعت أن تـرى بوضوح العظام تحت جلدها وشكل جمجمتها تحت وجهها النحيل الشـاحب. كانت شفتا بتسى جافة ومتشققة. نهضت كوري على قدميها. إذا اسـتطاعت أخـتها الأكبر سناً أن تواصل المسيرة، يمكنها هى أيضاً أن تفعل كذلك.

تسـاندت الأخـتان كـوري وبتسـى وانضـمتا إلى طـابور النسـاء المـتداع للسقوط والذي بدأ يختفي فوق تل صغير على يمين القطار بمحاذاة الـبحيرة الصـغيرة. تسـلقت الأخـتان إلى قمة التل ببطء. وعندما وصلتا إلى هـناك، كانـت بتسـى قـد فقـدت القـدرة عـلى أخـذ نفسها. وقفتا لحظة تنظران إلى أسفل من فوق التل.

دفع المنظر اسفلهما كوري لأن تغلق عينيها في خوف ورعدة. كانت تمتد على مرمى البصر صفوف وراء صفوف من المباني الخشبية الرمادية اللون، تماماً مثل تلك تركتاها في فوت. كان هناك حائط ضخم من الطوب ذو سلك شائك على طول الجزء العلوي منه يحيط بالمباني، ونحو الجزء الأمامي من المبنى كان هناك مبنى خرساني ضخم به مدخنة ضخمة تبرز من وسطه. كن يخرج منها دخان أزرق يميل إلى اللون الرمادي.

وحتى عندما وقفت كوري وعيناها مغلقتان، لم تكن حقيقة مكان تواجدهن غائبة عنها. همست إمرأة وهى تقول: "ليساعدنا الله، إنه رافنزبرك Ravensbruck". مدت كوري يدها لتثبت قدميها بالاستناد على أختها. لقد سمعت عن "رافنزبرك"، وكل واحد في هولندا سمع به. لقد كان معسكر الموت للنساء. إنه مكان يزج فيه بآلاف النساء من قبل النازي ولكن لا يخرج منه حياً سوى نفر قليل.

همست بتسى في اذن كوري: "أذكري أنه لا توجد هوة عميقة لا تستطيع محبة الله أن تصل إليها".

أومأت كوري رأسها بالموافقة.

سارت كوري وبتسى ومازالت كوري تمسك بكيس المخدة حتى وصلتا إلى أسفل التل، حتى دخلتا معسكر اعتقال "رافنزبرك" سئ السمعة مع مئات من النساء الأخريات من فوت من اللواتي كن مازلن

أحـياء بعـد رحلـتهن مـن هولندا. على يسار البوابة الرئيسية كانت توجد مـنطقة كـبيرة خالـية مغطـاة بـالقش، وقـد تجمعت النساء فيها وأمرن أن ينـتظرن. تـنهدت كـوري. وهكذا مرة أخرى، كان الألمان يطلبن منهن أن يسـرعن حتى ينتظرن في مكان قصي. عندما وصلت النساء إلى القش، نمن فيه. وجدت كوري وبتسى مكاناً أيضاً.

"أوه، كـلا" صـاحت سـجينة بالقـرب مـنهما وهى تقفز واقفة على قدميها: "القمل، المكان ملئ بالقمل"

كـان بـالفعل هكـذا. نظـرت كـوري إلى القـش الذي كان مليئاً بحشرات صغيرة تلدغ. نظرت النساء إلى بعضهن البعض كما لو كن يقلن، مـا الـذي نسـتطيع أن نفعلـه؟ كـن ضـعيفات إلى درجـة أنهن لم يستطعن مواصـلة الوقـوف. لم يكـن أمامهن خيار سوى أن يهبطن على القش الملئ بـالقمل. بعـد مضـى سـاعة أو نحـو ذلـك، كانـت جمـيع النسـاء مـازلن جالسـات عـلي القش. ثـم بـدأ قـص الشعر. لم يأمر النازي بذلك، ولكن النسـاء قمـن بـه مـن تلقـاء أنفسهن. كان لدى العديد من النساء مقصات، كانت تمرر من إمرأة إلى أخرى. بدأن في قص شعر بعضهن البعض. عندما سـلم المقـص إلى كـوري، قصـت كـوري شـعر بتسـى الجمـيل والدمـوع في عينـيها. بعـد ذلـك قصـت بتسـى شـعر كـوري. وعندما سقط شعرها على الأرض، لاحظـت كـوري أنـه في المـدة القصـيرة الـتي قضـتها كسجينة في سجون النازي، تحول شعرها من البني الغامق إلى الرمادي.

جلست النساء على القش بقية النهار وطوال الليل. امطرت بغزارة وبلت بطاطينهن. بدأت بتسى تسعل، في البداية كانت الكحة بالبلغم، وبعد ذلك بالدم. ساعدتها كوري لترتدي بلوفر نوللى الصوفي، ولكنه لم يفد كثيراً. طوال الليل واليوم التالي، كانت كوري مضطرة لمساعدة بتسى على الذهاب إلى الخندق الذي كانت تقضي فيه النساء حاجتهن. ظلت النساء طوال يومين كاملين جالسات على القش المليئ بالقمل دون ما يسد رمقهن سوى شريحة من الخبز الأسود وفنجان يطلق عليه كلمة قهوة مرتين في النهار ليبقين على قيد الحياة.

وأخيراً، وعندما كان اليلل على وشك أن يحل في اليوم الثالث، صاح حارس في النساء أن يصطففن في طابور ويتبعنه. سارت الناس في الصف امام مكتب، حيث كان يعطي لكل إمرأة رقم. كانت كوري السجينة رقم ٦٦٧٣٠، وكانت بتسى رقم ٦٦٧٢٩ .

ثم قسمت النساء إلى مجموعات، وكل مجموعة تتكون من خمسين إمرأة وقد أمرن أن ينتظرن. وحيث أن كوري في مقدمة المجموعة فقد استطاعت أن ترى ما يحدث. أمرت أول مجموعة مكونة من خمسين إمرأة أن تترك كل متعلقاتها، بما في ذلك البطاطين، في كومة بجوار باب مبنى طويل ومنخفض. لم يكن أحد يسجل ما يتركه النساء وراءهن. ارتعبت كوري هلعاً. إن ذلك يعني شيئاً واحداً فقط، وهو أنهن لن يستردن متعلقاتهن. بعد تسليم النساء لمتعلقاتهن، أمرن أن يجردن

أنفسهن من ملابسهن تماماً ويدخلن إلى المبنى. طوال ١٥ دقيقة مرعبة ظنت كوري أنهن قد أدخلن إلى غرفة زجاجية. ولكن مما أشعرها بالارتياح بعد ذلك، أنها لمحت النساء خارجات من باب في أقصى الجانب الآخر من المبنى. كن جميعهن يرتدين ملابس قطنية مثبت عليها حرف (X) كبير في الأمام وفي الخلف.

تملك الخوف على قلب كوري وهى تراقب المنظر. ماذا يمكنها أن تفعل هى وبتسى بدون الكتاب المقدس؟ كانت بتسى بحاجة إلى البلوفر الصوفي الذي أرسلته نوللى لها أيضاً. صلت وهى تنتظر دورها في الصف: "يا الله من فضلك ساعدني لأكتشف طريقة للتغلب على هذه الأشياء".

وفي الحال، تلوت بتسى من الألم وهى تقول: "معدتي، لابد أن أذهب إلى الحمام فوراً".

نظرت كوري حولها. كانتا في مكان بعيد جداً عن الخندق الذي استعملتاه في الأيام الماضية. خرجت من الصف بشجاعة وتحدثت إلى أحد الحراس قائلة: "أختي لابد أن تذهب إلى الحمام الآن. إنها مريضة، ولا يمكنها الانتظار".

نظر الحارس إلى كليهما وزمجر قائلاً: "هناك استخدمي بالوعة صرف الحمامات"، وأشار ببندقيته إلى الباب الذي دخلت منه النساء العاريات.

ساعدت كوري بتسى على الذهاب إلى الجماعات التي كانت توجد في مكان رطب مظلم به صف من الكراسي القديمة الموضوعة في نهاية المبنى. في ومضة عين، طرأت فكرة على ذهن كوري. قالت لبتسى: "اسرعي يا بتسى، إخلعي البلوفر". خلعت بتسى البلوفر بلا اعتراض وسلمته لأختها.

همست كوري وهى تسحب الكتاب المقدس مع جرابه دون أن يلحظها أحد ثم قالت لبتسى "راقبي الطريق" أخذت كوري تجري بطول مبنى الحمامات ودست الكتاب المقدس، وزجاجة الفيتامينات، والبلوفر الأزرق الصوف بين الكراسي. في اقل من دقيقة كانت بجوار بتسى مرة أخرى.

قالت وهى تساعد بتسى على النهوض: "دعنا نعود إلى الطابور بسرعة"

فما أن وقفتا في الطابور ثانية حتى أمرتا بالانتظار لمدة نصف ساعة أخرى حتى جاء الدور عليهما لكي يخلعا ملابسهما ويذهبا للاغتسال تحت الدش. أصبحت كل هذه العملية اللا إنسانية محتملة على أساس أن متعلقاتهما كانت في انتظارهما بالقرب من الباب المؤدي للحمامات.

كانت هناك كومة من الملابس البالية موضوعة على الأرض، وتجمعت النساء لكي تجد كل واحدة ما يناسبها منها. وجدت كوري

أفضل فستان لبتسي. كان له أكمام طويلة، تخفي البلوفر تحتها. لبست بتسي بينما كانت كوري تبحث عن فستان لها. في أثناء الفوضى المصاحبة لمحاولة النساء الأخريات العثور على فساتين تناسبهن، تسللت كوري واستعادت الأشياء التي خبأتها بين الكراسي. سحبت الكتاب المقدس مع جرابه دون أن يلحظها أحد ثم وضعت زجاجة نقاط الفيتامين داخل الجراب أيضاً، وربطت البلوفر حول وسطها تحت فستانها. ثم انضمت إلى المجموعة.

صرخ حارس جاء لتوه قائلاً: "قفن صفا بجوار الباب".

ارتعبت كوري وهي تنضم إلى الصف: "ظهر ثلاثة حراس آخرين، وكانوا يفتشون كل إمرأة من هامة الرأس إلى أخمص القدم. لا شك إنهم سوف يتحسسون البلوفر والجراب في لحظة. صلت مرة ثانية في يأس قائلة: "يا الله، يمكننا أن نتغلب على أي شئ لو كان هذا الكتاب معنا. من فضلك إرسل ملائكتك لتخفيه عن الحراس".

أخذت كوري نفساً عميقاً، وتم تفتيش المرأة التي أمامها. سوف يأتي عليها الدور بعدها. ولكن دورها لم يأت أبداً. فبدلاً من ذلك تخطاها الحارس وبدأ يفتش بتسي. وواصلت كوري مسيرتها. فيما بعد، حين تحدثت كوري مع النساء الأخريات، اكتشفت أنها الوحيدة التي لم يتم تفتيشها. انهمرت الدموع على خديها وهي تشكر الله لحمايته للكتاب المقدس، وتساءلت عما يمكن أن يكون مقدراً لها ولأخواتها.

الفصل الثالث عشر

اجتازت الفحص الطبي بنجاح

آلاف مـن السـجناء والسـجينات وضـعوا في معسـكر اعـتقال "رافـنزبرك". وسـرعان مـا خضـعت كـوري وبتسى والنساء الأخريات من "فـوت" لروتين الحياة الكئيب هناك. كان يتم إيقاظهن كل صباح بصفارة في الـرابعة. كانـت تقـدم شـريحة مـن الخبز الأسود وفنجان من "القهوة" السـاخنة للإفطـار، ثـم يصطف كل المسجونين في صفوف عبارة عن عشرة أفـراد لكـل صـف خـارج ثكـناتهم في الـرابعة والنصف. في بعض الأحيان كـانوا يقفـون في الطـابور حـتى السادسـة أو السابعة صباحاً. في البداية لم يكـن الأمر سيئاً إلى حد بعيد، ولكن عندما انتهى الخريف وأقبل الشتاء، لم يسـتطع عدد كبير من النساء أن يتحملن البرودة طوال تلك المدة. كانت تسـمع خـبطة عـندما يضـرب الأرض شـخص مـا، يعقـبها وقـع أقـدام وصـيحات الحـراس. كـان كل سجين يعرف ما سيحدث بعد ذلك، ولكن نـادراً مـا كـان يـتحدث أحـد في المعسـكر عـن ذلك ـ لقد كان شيئاً يدعو للرهبة.

كـان يوجـد في معسكر رافنزبرك حجرة كبيرة للغاز كان يوضع فـيها المسـاجين الضـعفاء والعصـاة حيـث يلقـون حـتفهم. كانت شائعات

كثيرة تقال عن إحدى السجينات التي يخدعونها بالقول إنها سوف تأخذ دشاً قبل إرسالها إلى المستشفى فتتجرد من ملابسها بإرادتها، وتقبل قطعة جديدة من الصابون، وتنضم إلى السجينات الأخريات لأخذ دش في الحجرة. وسرعان ما تغلق الأبواب المعدنية، وفي ظرف دقائق تموت السجينات المندهشات والمرتعبات من تنفس الغاز السام الذي يتم تسريبه إلى الحجرة. وتلقى الجثث بعد ذلك في موقد لإحراق القمامة كان يشتعل ليلاً ونهاراً.

بعد طابور نداء الأسماء، كانت النساء يذهبن للقيام بالأعمال المخصصة لهن. في البداية، كانت كوري وبتسى تعملان جنباً إلى جنب في مصنع سيمنيز المجاور. كان سيمنيز عبارة عن شركة صناعية ألمانية كبرى تمون جيش هتلر. في داخل المصنع. كانت الأختان، جنباً إلى جنب مع النساء الأخريات المريضات واللواتي على وشك الموت، تكلفان بدفع عربات سكة حديد ضخمة مليئة بالحديد الخردة على طول شريط السكة الحديد وإلى داخل المبنى، حيث كان يتم تفريغ العربات باليد ووضع الحمولة في صناديق ضخمة. كانت قطعة الحديد تزن في بعض الأحيان مئات الأرطال، وكانت مجموعة من النساء يعملن معاً لوضعها في الصندوق.

كانت النساء يعملن جنباً إلى جنب مع العمال الألمان الذين كان يدفع لهم أجر على عملهم ويأتون إلى العمل بسندوتشات الجبن

والبـيض المسـلوق للغذاء. وكانوا يذهبون إلى منازلهم حيث تكون زوجاتهم وأولادهـم في انـتظارهم. ومـع أنهـم كانوا يعملون على بعد عدة أمتار قليلة من النساء، إلا أنهم لم يكونوا يطلون على النساء في رافنزبرك إطلاقاً.

بعـد ١٢ سـاعة مـن العمل القاصم للظهر، كانت الأوامر تصدر للنسـاء بـالعودة إلى معسـكر الاعتقال، حيث كان يقدم لهن الحساء للغذاء ثم يغلق عليهن في عنابرهن طوال الليل.

كانـت كـوري وبتسـى في ثكـنة رقـم ٢٨، وهـى حجرة طويلة ومنخفضـة. وبـدلاً مـن وجـود أسّـرة للـنوم علـيها، كانت الحجرة تحوي صـنوفاً متراصـعة مـن الأرفف العريضة تحمل ثلاثة أشخاص في كل رف. كان كل رف يرتفع قدمين فقط عن الرف الذي يوجد أسفله. كان المفروض أن يـنام النسـاء على الأرفف. في الليلة الأولى في تلك الثكنات، لم تستطع كـوري أن تـتحمل الضوضـاء والرائحة المريعة للقئ والفضلات الآدمية. في صـباح الـيوم الـتالي، اكتشـفت السـبب. قالت لها إحدى السجينات إنه كـان يوجـد مـا يـزيد عـلى ١٤٠٠ إمرأة كن مكدسات في ثكنات مخصصة لاسـتيعاب ٤٠٠ إمـرأة فقـط. كـان الـباب يغلـق على كل هذه الأعداد من النساء بالليل، مع وجود ٨ مراحيض فقط للاستعمال. كان من رأى كوري أنــه إذا كان هناك جحيم على الأرض، فإن أوصافه تنطبق على رافنزبرك تماماً. لم تكن تتصور وجود مكان أقذر وأكثر ازدحاماً وأقسى من فوت.

وفوق كل ذلك، فقد كانت الثكنة ٢٨ تشتهر بأنها أكثر ثكنات رافنزبرك إمتلاءً بالبراغيث. وبسبب ذلك، كان الحراس يقفون عند الباب ويصدرون الأوامر، ولكنهم لا يضعون أقدامهم في الداخل إطلاقاً. في البداية كانت كوري تكره البراغيث، ولكن عندما اكتشفت أنها تبعد الحراس، كانت ممتنة لها. في الليل كانت الأختان تن بووم تعقدان حلقات لدراسة الكتاب المقدس واجتماعات صلاة للسجينات الأخريات دون أن يقبض عليهما.

في البداية كانت حفنة من النساء مهتمات بالاستماع لدراسة الكتاب المقدس، ولكن شيئاً فشيئاً تغير الموقف في الثكنة، وكثر عدد النساء اللواتي رغبن في سماع ما كانت الأختان تقو له. بالطبع، لم تكن جميع النساء في رافنزبرك هولنديات. كانت النساء من كل أنحاء أوروبا يتم وضعهن في السجن هناك، وسرعان ما تم التوصل لنظام لقراءة الكتاب المقدس يساعد الجميع على الفهم والاستيعاب. كانت بتسى تقرأ الفقرة بالهولندية والألمانية، ثم تترجم نساء أخريات في الحجرة إلى الفرنسية والإيطالية والبولندية والروسية. كانت النساء تستمع إلى الكتاب المقدس وهو يقرأ بهذه الطريقة. وبعد أن تعلن بتسى محبة الله لجميعهن، كن يرنمن سوياً ترنيمة ويصلين. وسرعان ما أصبح عنبر ٢٨ مشهوراً بأنه العنبر المجنون الذي يجد النساء فيه الأمل".

وعـند اقـتراب الشتاء، أعطى لكل إمرأة كانت تعمل في مصنع سـنميز معطفاً. وفي صباح أحد الأيام لم يرسلن إلى المصنع بالمرة. وبدلاً من ذلـك، وجـدت كوري وبتسى نفسيهما جالستين على "سريرهما" في العنبر تعمـلان جوارب رمادية للجنود بشغل الأبرة. لم يكن أحد يعلم على وجه اليقين السبب الذي جعل السيدات لا يذهبن إلى المصنع. بعض النساء كن مـتأكدات أنـه قـد ضرب بقنابل الحلفاء. على أي حال، فمدينة برلين قد أصبحت الآن هدفاً دائماً لقنابل طيارات الحلفاء.

كانت بتسى أسرع حياكة للجوارب. كانت تعمل بسرعة البرق وأنهـت الكمـية المفروضـة عليها طوال اليوم قبل أي شخص آخر. بمجرد انـتهائها مـن آخر غرزة، كانت تخرج الكتاب المقدس من جرابه وتبدأ في قـراءته بصـوت عـال. كانـت مجموعـات من النساء يقمن بأعمال الحياكة بهـدوء وهـن يسـتمعن وهـي تشعرهن بأهمية ما يقرأ عليهن. كانت بتسى تشـجع النسـاء عـلى الصـلاة لأجل الرجال الذين سوف يلبسون الجوارب الـتي يحكـنها لهـم. في الـبداية ضـحكوا عليها. لقد كان من المستحيل في تصـورهن أن يصـلين لأجل الجنود الألمان. فلا شك أن الله لم يتوقع منهن ذلـك. ولكـن بتسـى قـرأت لهن فقرات عن كيفية أن يسوع قد غفر للناس الذيـن سمروه على الصليب. ثم رددن الصلاة الربانية معاً "أغفر لنا ذنوبنا كمـا نغفـر نحن أيضاً للمذنبين إلينا" بدأ عدد كبير من النساء يفهمن ببطء معنى أن يصبح الإنسان مسيحياً.

ومع أن الحياكة كانت أسهل من العمل في المصنع، إلا أن كوري بدأت تزداد قلقاً على صحة بتسى. كانت بتسى تسعل كثيراً أثناء طوابير نداء الاسماء التي تمتد لفترة طويلة في الصباح، وعندما أخذتها كوري إلى المستشفى، أخبرت أن بتسى لم تكن مريضة بالدرجة الكافية حتى تستحق أن يفحصها طبيب. فأى شخص تقل درجة حرارته عن ١٠٤ درجة فهرنهيت لا يفحصه طبيب!

لم يكن بمقدور كوري أن تفعل شيئاً لأختها سوى المراقبة والصلاة. لاحظت أنه طوال المدة التي كانت بتسى تعقد فيها حلقة دراسة الكتاب المقدس، كانت تبدو عادية، ولكن فيما يتبقى من الوقت، كانت تبدو كما لو كانت في حلم. كانت ترقد في المكان المخصص لنومها وتقول لكوري: "سوف يطلق سراحنا قبل العام الجديد استطيع أن أرى كلينا يسير في شوارع هارلم. نعم، قبل أول يوم في سنة ١٩٤٥، سوف نكون مطلقي السراح"

كانت كوري تحتضنها بشدة والدموع تنساب بغزارة على وجهها، وتمضي بتسى إلى القول: "يا كوري. فكري في كل الناس الذين يحتاجون إلى مساعدتنا عندما تنتهي الحرب. سوف نجد مكاناً لهم ليأتوا إليه. سوف يكون مكاناً جميلاً. سوف تكون هناك حدائق واسعة، وسوف تكون الأرضيات مصنوعة من الخشب المرصع. ثم تتحدث كما لو كانت واقفة في مدخل هذا المكان إنها تقول: "انظري، توجد تماثيل رخام

موضوعة في فجوات صغيرة بطول الجدران. وبئر السلم واسع، والشبابيك عالية، تصل إلى السطح".

كانت كوري تتساءل غالباً عما إذا كانت أختها تتخيل السماء عندما كانت تتحدث هكذا أم لا.

كانت كوري تأمل وتصلي بكل ما أوتيت من قوة أن تنتهي الحرب قريباً حتى تستطيع بتسى أن تحصل على المعونة الطبية التي كانت في أمس الحاجة إليها. كانت بتسى في كل يوم أقل طاقة من اليوم الذي سبقه. وأخيراً، في صباح أحد الأيام في منتصف شهر ديسمبر، حدث ما هو متوقع. انهارت بتسى أثناء طابور نداء الأسماء. جاءها الحراس وسحبوها بعيداً. ولكنها لم تؤخذ إلى غرفة الغاز بل إلى مستشفى المعسكر. في وقت لاحق في ذلك اليوم، بعد أن انتهت كوري من أعمال الأبرة، اسرعت إلى المستشفى لترى بتسى. كانت بتسى ترقد مستريحة في سرير. ابتسمت كوري لها. يا له من ترف - لديها سرير بأكمله بمفردها! ولكن بالرغم من مرض بتسى الظاهر، أخبرت كوري أن الطبيب لم يفحصها بعد. عندما مالت كوري فوق الفراش لتقبل أختها قبلة الوداع، أمسكت بتسى بذراعها. كان بريق ساطع يتلألأ في عينيها وقالت لكوري: "علينا أن نخبرهم يا كوري. علينا أن نخبرهم أنه لا توجد هوة عميقة لا تستطيع محبة الله أن تصل إليها".

في صباح اليوم التالي بعد نداء الأسماء، أسرعت كوري إلى الخلف لترى بتسي. قررت أن تنظر من الشباك أولاً لترى إن كان الطريق خالياً أم لا. كانت هناك ممرضتان بجوار سرير بتسي. إحداهما كانت تقف عند الرأس والأخرى عند القدمين. عندما نظرت كوري، كانت كل منهما ترفع أطراف ملاءة السرير وتحملها إلى أسفل الدهليز وقد كانت بتسي فوقها. تسمرت كوري في مكانها بجوار الشباك. لقد رأتها عيناها، ولكن عقلها رفض أن يصدق ما حدث. أختها الأكبر، أفضل صديقة لها، قد ماتت. كانت المرضتان تحملان جسدها إلى موقد حرق القمامة.

أخيراً، تراجعت كوري عن الشباك وعادت إلى العنابر. عندما وصلت إلى هناك، تصايحت النساء الأخريات للحصول على معلومات عن بتسي. ران صمت رهيب على الغرفة عندما أخبرتهن كوري ما رأته.

مع أنها كانت محاطة بالعديد من النساء، كان اليومان التاليان أكثر أيام كوري شعوراً بالوحدة والعزلة عما كان الحال عليه عندما كانت محبوسة لوحدها في سجن "شيفينينجين". شعرت بخدر. انهمرت الدموع على وجنتيها، وغرقت في أفكارها. بدلاً من إطلاق سراحهما قبل العام الجديد، ماتت بتسي. كيف يمكن أن يكون ذلك؟ وكما لو كان حزنها على فقد بتسي لم يكن كافياً، فقد سرت إشاعة مرعبة في كل أرجاء المعسكر مفادها أن جميع النساء اللواتي تعدين الخمسين من العمر سوف يتعرضن للإبادة قريباً. وطبقاً لما جاء في

الإشاعة، فإن الطعام المتبقى لم يعد كافياً لإطعام كل المساجين في المعسكر فتقرر إقلال عدد المساجين في المعسكر بإبادة كبار السن في حجرات الغاز. عندما سمعت كوري ذلك، فرحت بالرغم من حزنها، لأن بتسى قد ذهبت لتكون في مكان أفضل.

في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٤، بعد موت بتسى بثلاثة ايام، تم نداء الصباح كالمعتاد، أي حتى الانصراف. ضربت الصفارة، ثم سمعت من خلال مكبر الصوت هذه العبارة: "تن بووم، كورنيليا، تبقى إلى الخلف". بدأت كوري تسير مع الأخريات فمع أنها سمعت النداء، فقد اعتادت على رقم ٦٦٧٣٠ لمدة طويلة جداً لدرجة أنها كادت ان تنسى إسمها الأصلي. بدأت الكلمات ترن في أذنيها ببطء، وتوقفت عن السير. لقد تم ندائها باسمها. لم تكن الأسماء تستخدم إطلاقاً في رافنزبرك. حاولت أن تفهم ما يمكن أن يعنيه ذلك. ما الذي يريده الألمان منها الآن؟ هل بلغ أحد عن زيارتها لبتسى في المستشفى؟ أم لأنها تعقد دراسات كتابية في العنبر؟ لم تكن كوري تعرف. ولكن مهما كان السبب، فقد كانت تأمل أن تتمكن من الجلوس بسرعة. في الأسابيع القليلة الماضية تورمت ساقاها وتمدد جلدها إلى الحد الذي كان يسبب لها الألم عندما كانت تقف.

صاحت حارسة: "اتبعيني". بذلت كوري كل ما في وسعها لتحتفظ بتوازنها. اتبعت الحارس طوال الطريق نحو مبنى إدارة المعسكر.

ما أن دخلت إلى الداخل، حتى أمرت بالجلوس على مقعد خشبي طويل مع تسع سجينات أخريات. كان ضابط يجلس قبالتهن خلف مكتب كبير. كانت أمامه أكوام من الأوراق ظل يحركها من جانب إلى آخر. وفي النهاية، رفع عينيه عن الأوراق ثم قال: "تن بووم، كورنيليا، تقدمي نحو المكتب".

نهضت كوري على قدميها وانتقلت إلى مكتبه كما أمرت.

سألها: "تاريخ الميلاد؟"

كان على كوري أن تفكر بجد لبرهة من الوقت ثم أجابت أخيراً "١٥ أبريل سنة ١٨٩٢"

قال الضابط وهو ينتزع كليشيها مطاطياً كبيراً من الدرج العلوي لمكتبه: "حسناً"

حكه على نشافة حبر عدة مرات ثم ضغط به على قطعة من الورق أمامه. ثم سلم الورقة لكوري ونده الأسم التالي.

تراجعت كوري تاركة المكتب إلى الخلف ونظرت إلى الورقة. كان الكليشيه قد طبع كلمة "إفراج" بالحبر الأحمر على الصفحة. هل يمكن أن يكون ذلك حقيقياً؟ بعد كل ما مر بها من أحداث، هل يمكن أن تكون حقاً في طريقها إلى البيت؟ هل ستعود إلى البيت إلى نوللى وويليم والبيج؟ نظرت حولها في تعجب. هل سيكون ذلك حقاً آخر يوم لها في هذا المكان المرعب؟

"اتبعيني" أمرتها حارسة أخرى، واقتيدت كوري إلى الحجرة المجاورة. قالت الحارسة: "الملابس هناك. فحص صحي أخير"، وهي تشير إلى كومة من ملابس السجن على الأرض. خلعت كوري ملابسها بسرعة وانضمت إلى مجموعة من النساء العاريات في نهاية الحجرة. جلسن معاً وانتظرن. كانت كل واحدة منهن تمسك بقطعة من الورق شبيهة بورقة كوري، ولكن لم يتكلم أحد.

كانت جميع النساء مستغرقات في أفكارهن. في البداية شعرت كوري بالإثارة لأن تكون حرة طليقة، ولكنها بدأت تعتقد أن الموضوع كله قد يكون شركاً وخدعة. ربما يكن في طريقهن إلى غرفة الغاز. لقد سمعت أن النازي كانوا يحتالون هكذا على المساجين حتى يذهبوا بسهولة وهدوء دون ارتياب إلى غرفة الغاز.

أشارت الحارسة "من الباب"

فجأة توقفت كوري عن الحركة. كانت خائفة جداً. كيف يكون الحال لو أنه كانت هناك غرفة غاز على الجانب الآخر من الباب؟ ارتسم الرعب على وجوه بعض السجينات الأخريات. ولكن بما أنه لا خيار أمامها سوى الطاعة، فقد وقفت ببطء ومشت مع النساء الأخريات نحو الباب. شعرت بالارتياح لوجود شاب على الجانب الآخر يرتدي معطف طبيب. أمر النساء قائلاً: "قفن بمحاذاة الحائط" أطاعت النساء الأمر.

أصدر أوامره إليهن فقال: "انحنين إلمسن أصابع أقدامكن"

ثم قال: "الآن، انتصبن"، ثم سار بمحاذاة طابور النساء. نظر إلى كل إمرأة من أعلى إلى أسفل، ثم قال: "اجتازت الفحص الطبي بنجاح" ثلاث مرات ثم وقف عند كوري. نظر إلى أسفل وقال بوضوح تام: "سيقان متورمة. المستشفى"

أسرعت كوري وراء إحدى قدامى السجينات وسألتها: "هل صحيح انه قد أطلق سراحي؟"

نظرت إليها السجينة بعطف وقالت: "نعم. إذا كان لديك الورقة، فأنت مطلقة السراح. ولكنهم لن يسمحوا لك بالرحيل ما لم تكوني بصحة جيدة"

قطبت كوري الجبين.

ومضت السجينة القديمة تقول: "النازي لا يطلقون سراح المساجين المرضى. إنهم يخشون لئلا يبدو وكأنهم لم يعتنوا بهم عناية كافية".

كادت كوري تضحك بصوت عال. لقد وصلت إلى حد أن تهلك جوعاً، وضربت، وأجبرت على العمل ١٢ ساعة يومياً، وفي كل يوم في رافنزبرك، كان عليها أن تشم رائحة اجساد النساء المحترقات اللواتي أعدمن عن طريق الغاز السام. والآن لا يريدون إطلاق سراحها لأن ساقيها متورمتان! إن ذلك شئ لا معنى له على الإطلاق.

اقـتادت السـجينة المحـنكة كـوري إلى مؤخـرة المستشـفى وتحدثـت إلى المرضـة. أعطيـت كـوري السـرير العلـوي بمحاذاة الحائط. عندما استقرت على السرير لتفكر في سير الأحداث الغريبة التي مرت بها خـلال الـنهار، احتفظـت بسـاقيها مرفوعـتين إلى أعـلى ومسـتندين إلى الحـائط. كانـت سـاقاها المتورمـتان الشـئ الوحـيد الذي حال بينها وبين الحرية!

في كـل صـباح كانـت كوري تقف في طابور "السجينات المطلق سـراحهن"، وفي كـل صـباح كـان يكتـب نفس الشئ على ورقتها "ساقان متورمتان، العودة للعلاج". كانت كوري تعود إلى سريرها وتحتفظ بساقيها في وضـع مـرتفع أكثر قليلاً عن اليوم السابق. كانت المستشفى مكاناً كئيباً عندما أحضرت بتسى إليه، والآن أصبحت مكاناً يمثل الرعب بعينه. فقد تم نقـل سـجينات بالقطـار إلى رافـنزبرك فضـرب الحلفاء القطار بالقنابل. أصـيب عـدد كـبير مـن النسـاء إصـابات بالغـة، وفقـد بعضـهن الأذرع والسـيقان. كانـت النساء يصرخن في ألم شديد طوال الليل في الوقت الذي كانـت فـيه المرضـات يهـزأن بهن ويضحكن على ألمهن. كانت الأسرة في المستشفى أيضاً مزدحمة جداً إلى الحد الذي جعل أربع سيدات يتدحرجن مـن علـيها ويسـقطن عـلى الأرض مما عجل بموتهن وذلك في الليلة الأولى لكوري في المستشفى.

ولكـن كوري اعتقدت أن النساء الأردأ حالاً دونا عن كل نزلاء رافـنزبرك هن النساء اللواتي كن يقفن معها في الطابور كل صباح ليخضعن للفحـص الطـبي. كـن مثلها، فقد عرفن أنهن سوف يطلق سراحهن لو أن صـحتهن تحسنت بما فيه الكفاية. ولكن حتى كوري استطاعت أن تعرف أن بعضـهن لـن يكـن بصـحة جـيدة بما فيه الكفاية، فقد كانت بشرتهن صفراء بسـبب مـرض اليرقـان أو كان سعالهن مصحوباً بالدم، وهو علامة أكـيدة عـلى السل الرئوي. كانت كوري تشعر بالأسى لهن. كم كان الأمر قاسياً عليهن لأن الحرية كانت بعيدة عن متناول أيديهن.

أخـيراً، في ٢٨ ديسـمبر، بعـد دخـول المستشـفى بعشرة أيام، سمعـت كـوري الكلمات التي كانت تنتظر أن تسمعها: "اجتازت الفحص الطبي بنجاح"

تغـيرت حـياة كوري بأكملها بسبب تلك الكلمات القليلة التي ذكـرها الطبيب. فبدلاً من العودة إلى سريرها في المستشفى أو إلى عنبر ٢٨، انطلقـت بسـرعة عبر مجموعة من الأبواب واتجهت نحو الباب. أدخلتها سجينـة قديمة إلى حجرة صغيرة حيث توجد أرفف بها ملابس نساء تمت معالجـتها ومعلقـة في صـفوف منـتظمة. قالـت لهـا: "إبحـثي عـن شـئ يناسبك. سوف أعود بعد دقيقة".

نظرت كوري إلى الأرفف هل ما تسمعه حقيقي؟ هل من حقها أن تخـتار بنفسـها؟ كانت الأوامر تصدر إليها لعمل ما يطلب منها، وبأن

تجلس حيث يـراد لها الجلوس، وكانت تؤمر بما تأكله، ومتى تتحدث كـل يـوم طـيلة العشرة شهور التي مكثتها في السجن، والآن يقال لها بأن تخـتار لنفسـها. كانت لا تزال واقفة هناك عندما جاءت السجينة صاحبة الأقدمية.

قالت لها: "تعالي. دعيني أساعدك"

وجـدا سـوياً "جونلـة" من الصوف، وبلوزة من الحرير، وقبعة ومعطفـاً، وزوجـا مـن الأحذيـة الجيدة. اضطرت كوري لترك رباط الحذاء محلـولاً، لأن قدمـيها كانتا لا تزالان متورمتين، ولكنها حاولت أن تمشي كما لو كانت قدماها عادية.

قالـت السـجينة المحـنكة: "إنـك تـبدين رائعـة" وهـي تقتاد كوري من الحجرة إلى المكتب حيث سلمت قلماً.

قالـت حارسـة: "وقعي على هذا". وهي تضع قطعة من الورق أمامها على المكتب.

قرأت كوري ما كان مكتوباً في الورقة. كان بياناً بالألمانية يقول ان الشخص الذي وقع على هذا كان يعامل معاملة حسنة في رافنزبرك ولم يمرض أبداً، ولم يتعرض للجوع أبداً، ولم تساء معاملته أبداً. كان توقيعها عـلى الورقة الآن هو كل ما يحول بين كوري والحرية. وقعت على الورقة بسرعة.

بعد ذلك أعطيت شريحة من الخبز وتذكرة قطار مجانية للذهاب إلى الحدود الهولندية. وأخيراً، سحبت حارسة مظروفاً كبيراً من الورق المقوى من دولاب الملفات وسلمته لكوري. بدأت كوري تفتح المظروف بيدين مرتعشتين. ما عسى أن يكون هذا؟ عندما مزقت الجزء العلوي من المظروف، وقع خاتم زفاف أمها، وساعتها الذهبية، والجلدرات الهولندية التي كانت طرفها في جيب فستانها عندما غزا الجستابو البيج. كان ذلك يبدو كما لو كان قد حدث منذ أمد بعيد.

قالت الحارسة "تحركي" وهي تشير نحو الأبواب المزدوجة في نهاية الحجرة. دخلت كوري من خلالها وهي تلبس ساعة معصمها. ملأت الساعة وأمسكت بها بالقرب من أذنها. كانت الساعة لا تزال تتكتك!

في الحجرة المجاورة، انضمت إلى عشر نساء أخريات، كلهن مرتديات ملابس معالجة، وساعات مزينة، وأقراطاً متحركة، وقلادات مطلية. ظنت كوري أنهن يشبهن مجموعة من السيدات مستعدات للذهاب إلى الكنيسة، باستثناء شئ واحد. كانت جميعهن نحيفات لدرجة أنه مهما ارتدين من ملابس، يستطيع أن يرى المرء بسهولة الشكل الخارجي لعظامهن.

دخلت حارسة أخرى وقالت: "سوف نغادر المكان"، أعلنت ذلك وهي تدخل الحجرة.

نظرت السيدات كل منهن إلى الأخرى ثم تبعنها وهن يخرجن من الباب لمواجهة صباح يوم بارد من أيام شهر ديسمبر تبعنها حتى الأبواب الحديدية الضخمة لمعسكر رافنزبرك. صاحت الحارسة بكلمات قليلة إلى حراس البوابة، وانفتحت البوابات. الحرية! هل هى حقيقة أم خدعة؟ أخذت كوري تسأل نفسها مراراً وتكراراً وهى تدخل من الأبواب، ثم تصعد إلى التل، وتنحدر نحو شريط السكة الحديد إلى محطة صغيرة للقطارات. وبينما كانت تجلس في المحطة انتظاراً لقطار يصل، طرأت على ذهنها فكرة مرعبة. قد تكون حرة بالفعل، ولكن هل هى أكثر أمناً خارج رافنزبرك عما كانت عليه بداخله؟ كانت بالقرب من برلين، في أعماق ألمانيا، في وسط منطقة حربية. كيف يمكنها أن تعود سالمة إلى هولندا؟.

الفصل الرابع عشر
التخلص من قبضة الاحتلال

اندفع قطار نحو المحطة الصغيرة محدثاً فرقعة. كان قطار بضاعة، ولكن لم يكن يشكل ذلك عائقاً أمام كوري والنساء الأخريات اللواتي أطلق سراحهن من رفنزبرك. ركبن الشاحنات الفارغة. وجدت كوري نفسها تجلس بجوار إمرأة هولندية أخرى، هي كلير برنس. وعندما تحرك القطار من المحطة، تذكرت كوري آخر مرة ركبت فيها قطاراً. كانت هناك ٨٠ إمرأة في عربة واحدة، ولم يكن هناك حمام، وكانت بتسي تلهث بحثاً عن الهواء. غمرتها الذكريات، وسرعان ما بدأت الدموع تنساب على وجهها. وضعت كلير برنس، بذكرياتها الخاصة ودموعها، ذراعها حول كوري. وقالت وهي تبكي: "نحن أحرار، أحرار في النهاية".

أومأت كوري رأسها ومسحت دموعها. كانت بتسي على حق. لم يكن باق على رأس سنة ١٩٤٥ سوى ثلاثة أيام، وكل من كوري وبتسي، قد أصبحتا حرتين، كل على طريقتها الخاصة.

توقـف القطـار عدة مرات، وقد أتاح هذا التوقف الفرصة لمعظم النسـاء الأخـريات مـن رافـنزبرك للـنزول مـن القطـار لإجـراء الاتصـالات التليفونية.

أخـيراً، لم يكـن سـوى كوري وكلير لوحدهما في عربة القطار. نظـرتا مـن خلال الثقوب الصغيرة في جانبي العربة. استطاعتا من خلالها أن تـنظرا الدمـار الـذي أحدثته الحرب. كان القطار يتحرك محدثاً فرقعة بـين سـاعة وأخـرى وسـط الـريف المحترق الذي لحقه الدمار والمدن التي يسـكن فـيها كـبار السـن والنسـاء وهـم يلـتقطون ما يمكن أن يجدونه بين حطـام بـيوتهم. تسـاءلت كـوري عـن مدى الدمار الذي يمكن أن يكون قد حل بهارلم. أخبرتها كلير برنس، التي كانت قد أرسلت إلى رافنزبرك من هولـندا بعـد كـوري، أنـه عـلى الرغم من أن جنوب هولندا قد تم تحريره عـلى أيـدي قـوات الحلفـاء، إلا أن شمـال هولـندا كـان لا يزال في قبضة الألمان. كانت النساء عائدات إلى هولندا، وليس إلى هولندا الحرة.

أخيراً، توقف القطار للمرة الأخيرة، وفتح باب الشاحنة. كان رجـل يقف بجوار الباب وهو يقول "عليكن أيها النساء أن تنزلن هنا. لقد تم نسـف خطـوط السكك الحديدية، ولا يمكنكن أن تذهبن إلى مكان أبعد مـن هـذا بالقطـار" قـال الـرجل ذلـك بلغة هولندية متقنة. ابتسمت كوري وكلير كل منهما للاخرى، فقد كانتا أخيراً في هولندا.

نزلت كوري وكلير من الشاحنة ونظرتا حولهما. كان القطار قد توقف في محطة. كانت هناك لافتة على الرصيف تقول "أهلاً بكم في جرونينجين Groningen" كانت كرونينجين في أقصى شمال هولندا. وحتى يمكن لكوري أن تذهب لهارلم، كان عليها أن تقطع المسافة عبر البلاد بالعرض. لم تكن تعرف كيف يمكنها أن تفعل ذلك، ولكن لم يكن هناك شئ يهم أكثر من الحرية والابتعاد عن ألمانيا.

نظرت شابة على الرصيف لكوري وكلير وقالت: "معذرة، ولكن يمكنكما أن تجدا العون في مستشفى الشمامسة" إنها على بعد ما يقرب من ميل على الطريق"

شكرت كوري المرأة، وتساءلت عن مدى الحالة المريعة التي وصل الشعب إليها إذا كان شخص أجنبي تماماً يشعر أنه من الضروري أن يوجههما نحو مستشفى! شقت المرأتان ببطء وبألم طريقهما في الشارع حتى ألقت كل منهما بنفسهما أخيراً على كراسي مريحة في حجرة انتظار المستشفى.

بعد دقائق، ظهرت ممرضتان. طلبت واحدة منهما من كوري أن تتبعها، بينما ذهبت كلير برنس مع الأخرى. اقتيدت كوري إلى حجرة مكتب صغيرة تطل على حديقة مغطاة بالثلج. استطاعت كوري أن ترى هياكل الأشجار والشجيرات، التي كانت تبدو جميلة، بالرغم من الثلج الذي يغطيها.

قالت المرضة وهي تلتقط لوحا يوجد بأعلاه مشبك لتثبيت الأوراق: "إحكي لي عن نفسك. من أين أنت؟"

أجابت كوري: "من هارلم"

ابتسمت المرضة وقالت: "وأنا من هارلم أيضاً. هل سمعت عن كوري تن بووم هناك؟" ثم أردفت قائلة: "من المرجح أنها أصغر سناً منك قليلاً"

حملقت كوري عن كثب في المرضة وقالت "تروس. تروس بينيس! نعم، أنت".

سألتها المرضة: "كيف عرفت إسمي؟"

قالت كوري: "إنها أنا. أنا كوري تن بووم. لقد كنتِ في نادي المثلث الخاص بي!"

سألتها وهي غير مصدقة لما تقول: "العمة كوري. أنا لا أصدق ذلك! هل حقاً أنتِ؟" أومأت كوري راسها، وهي تتساءل مرة أخرى عن حقيقة شكلها في أعين الآخرين.

جلست كوري وتروس لمدة نصف ساعة بينما حكت كوري قصتها. طلبت تروس شاياً وكعكة صغيرة لتأكل وهي تتكلم.

سألت تروس كوري بعد أن فرغت من قصتها: "ما أفضل شئ لديك على الاطلاق؟"

أجابت كوري بصراحة. كان هناك شئ لم أستمتع به لما يقرب من ١١ شهراً متصلاً. قالت لها بود: "حمام ساخن".

سرعان ما رقدت كوري متمددة في بانيو عميق لتأخذ حماماً ساخناً.

كانت تحس إحساساً رائعاً عندما كان الماء ينساب حول جسدها المتعب المتألم. ولكن الأكبر روعة علمها بأنه لا أحد سوف يصرخ فيها عندما تخرج، ولن يصحبها أخر لتعود إلى العنابر أو الزنزانة.

وأخيراً، بعد أن سالتها تروس أربع مرات إن كانت تريد أن تخرج، خرجت كوري من البيانو ولفت فوطة بيضاء نظيفة حولها. كم كان ذلك رائعاً! بعد أن جففت كوري نفسها، قررت أن تنظر في المرآة المعلقة على الجدار الأيسر للحمام. وقفت بجوار المرآة لحظة، وهى تستجمع شجاعتها. ثم خطت أمامها ونظرت. عندما نظرت إليها وجدت إمرأة شمطاء هزيلة. كان شعرها متقطعاً وقد تحول إلى خصل قصيرة، وكان جلدها شاحباً شحوب الموتى.

جاءت تروس بينيس بطاقم جديد من الملابس. كانت كوري سعيدة. لم تكن تستطيع أن تكف عن التساؤل إن كانت الملابس التي اعطيت لها في رافنزبرك كانت تخص بعض النساء الفقيرات اللواتي اعدمن بالغاز. كانت مسرورة لأنها تخلصت من أي شئ يربطها بذلك المكان المرعب.

ثم أخذت كوري بعد ذلك إلى غرفة خاصة، حيث أعطيت وعاء من الحساء ثم نامت في سرير. كانت تريد سريراً به ملاءات بيضاء نظيفة، وليس أقل من ذلك، وقد كان السرير خالصاً لها لا يشاركها فيه أحد. لم يكن أحد يصرخ في ألم أو يسبها. حاولت أن تبقى مستيقظة أطول مدة ممكنة لتستمتع بكل شئ، ولكنها كانت متعبة وسرعان ما استسلمت لنوم عميق.

عندما استيقظت أخيراً في صباح اليوم التالي، كان الإفطار ينتظرها، كان مقدماً فوق مفرش أبيض مع سكينة فضية وملعقة. لم تستطع كوري أن تصدق كل هذا الترف.

ظلت كوري في المستشفى لمدة عشرة أيام. مع الراحة والاسترخاء، هبط التورم في ساقيها بسرعة، وشعرت أنها أقوى بكثير بعد أن أكلت ثلاث وجبات في اليوم. وكانت تأخذ حماماً كل يوم، وقد أعدت المرضة بينيس وسيلة لتصفيف ما تبقى من شعرها. ولكن ظلت هناك مشكلة قائمة ـ كيف يمكنها أن تعود إلى هارلم؟ لقد حظر الألمان السفر على كل من يقيمون في شمال هولندا حظراً كاملاً. الأشخاص الوحيدون الذين بمقدورهم السفر كانوا أولئك الذين يقومون بالأعمال الرسمية للنازي. وعلى الرغم من أن كوري كانت تطعم جيداً في المستشفى، إلا أنه في كل أنحاء هولندا، كان الناس يهلكون جوعاً. كان الشتاء قارساً بنوع خاص، وكانت الأشجار تنزع من الأرض حتى يمكن

استخدام كل قطعة منها للحصول على نار تستخدم كوقود. وكان الناس أيضاً يكسرون الأثاث لشي وسلق أبصال نباتاتهم التي يعتزون بها حتى يجدوا طعاماً.

حرم النازي على الفلاحين الهولنديين بيع محاصيلهم الزراعية في هولندا. كان المفروض أن يذهب كل شئ إلى ألمانيا لمساعدة الجنود على القتال، ولكن عدداً كبيراً من الفلاحين الهولنديين اكتشفوا ثغرات في هذا القانون. كانت إحدى الجماعات الشجاعة تسرق الطعام من قطارات المؤونة وترسله إلى الجنوب. وصل خبر إلى المستشفى بأنه إذا أرادت كوري، يمكنها أن تركب إحدى سيارات النقل المسافرة إلى "هلفرسوم" مع حمولة من المنتجات الزراعية المسروقة.

كان قلب كوري يدق من فرط الإثارة لانتهاء الفرصة. كانت هلفرسوم هي المدينة التي يعيش فيها ويليم، وتاين وأطفالهما. في ليلتها الحادية عشرة بعد رجوعها إلى هولندا، اقتيدت كوري من المستشفى لكي تركب شاحنة كبيرة قديمة. كانت الشاحنة تخترق الشوارع الخلفية لمدينة جرونينجين بدون إضاءة الأنوار العليا لأن استعمالها كان خطراً.

صلت كوري من أجل سلامة الرحلة عندما اتجهت السيارة غرباً. كانت تعلم أنه ليس من المفروض أن يسافروا، وأن السيارة يمكن أن توقف في أي لحظة بواسطة النازي. وإذا أوقفت، فإن كوري سوف تضبط راكبة سيارة محملة بالخضراوات المسروقة. لم تجرؤ على التفكير في ما

يمكن أن يحدث. ولكن كان عليها أن تعود إلى بلدها هارلم، وإذا كان هذا هـو السبيل الوحيد، فهي على استعداد أن تخاطر بتعريض نفسها للقبض عليها.

كـات السـيارة تسـافر في اللـيل وقـد توقفـت أمـام دار ويلـيم للمسـنين عـند شروق الشمس بالضبط. كانت دار ويليم للمسنين كما كانت دائماً. نزلت كـوري مـن كابينة السيارة ونظرت إلى الطريق المؤدي للباب الأمـامي. توقفت لحظة ثم سارت ببطء في الطريق المتجه إلى المبنى المألوف المكـون من الطوب. عندما اقتربت من البيت، تذكرت آخر مرة أطلق فيها سـراحها هـى وويلـيم معاً. كان ذلك منذ ما يقرب من سنة مضت في البيج أثـناء انعقاد اجتماع الصلاة الأسبوعي في الوقت الذي دخل فيه الجستابو إلى البيت. طرقت كوري بصوت عال على باب دار المسنين.

خلال دقائق، أحاط ويليم وتاين وأطفالهما بكوري في حالة من الإثـارة، وهـم يمطـرونها بقـبلاتهم ويحتضـننوها بشدة. أخذوا يسألونها، وعـندما أخـبرتهم كـيف ماتـت بتسـى في رافـنزبرك، انهمرت الدموع من عـيونهم. ثـم ذكـرت تـاين كيف أنـهم لم يسمعوا أي شئ من كيك منذ أن أخذ إلى ألمانيا. ولكن خبرا ساراً كان له وقع طيب خفف من شدة الحزن. قـال ويلـيم كـيف أن كـل الـناس الذين كانوا يختبئون في البيج، باستثناء مـاري، قـد استطاعوا تجنـب القبض عليهم من قبل النازي. وأن الشبكة السرية في هارلم مازالت تعمل بجد في اخفاء الناس عن عيون الألمان.

أقامت كوري الأسبوع التالي مع ويليم وعائلته، ولكن عند حلول ثاني يوم معهم، أدركت أن ويليم كان مريضاً. لم يكن يحب أن يتحدث عن مرضه، ولكن تاين أخبرت كوري أن ويليم قد أصبح مريضاً بالسل الرئوي في السجن ولم يتحسن بعد إطلاق سراحه. ولكن ويليم، استمر كالمعتاد كما لم يكن شئ ما قد حدث، ظل يعمل في دار المسنين ويكتب كتاباً عن العهد القديم. قضى ايضاً كثيراً من الوقت وهو يفكر في كيفية إرجاع كوري إلى البيج. كان يعلم أنها لن تشعر أنها في بيتها تماماً حتى تعود إلى هناك.

عند الإفطار في صباح أحد الأيام في أواخر شهر يناير، أعلن ويليم أن كل شئ قد أصبح مهيأ لكوري لتعود إلى البيج. لم تكن هناك قطارات، ولكن سيارة سوف تأخذها في الحادية عشرة صباحاً وتوصلها إلى هناك: في الحادية عشر صباحاً بالضبط، وقفت سيارة ليموزين سوداء أمام الاستراحة. ودعت العائلة كوري بالتلويح لها وهى تركب الليموزين في أكثر الرحلات رفاهية في حياتها. كانت شغوفة بأن تعرف كيف استطاع ويليم أن يدبر مثل هذه الرحلة الرائعة، ولكنها كانت تعلم الشئ الكثير مما أغناها عن السؤال. فقد كان الدرس الذي لم تنسه كوري بعد اشتراكها في الجماعات السرية ألا توجه أسئلة.

أسرعت السيارة تجاه هارلم. لم تكن هناك مركبات أخرى في الطريق، مما أعطى الرحلة إحساساً مخيفاً ولكن مع عدم وجود حركة

مرور، استطاعت الليموزين في وقت قياسي أن تجتاز المنعطف نحو كنيسة القديس بافو وتصل إلى الشارع الذي يوجد به البيج. تمايلت في الشارع وتوقفت أمام دكان الساعات. قفزت كوري من السيارة، وأسرعت السيارة بعيداً. عندما اختفت عن الانظار في نهاية الشارع، تنفست كوري الصعداء. كانت تنتظر هذه اللحظة عدة مرات، مع أنها كانت تنتظرها حين كانت بتسى تقف إلى جوارها.

قبل أن تفتح كوري الباب إلى دكان الساعات، فتح، واندفعت نوللى خارجاً. أحاطت كوري بذراعيها. احتضنت الأختان كل منهما الأخرى وتعلقت كل منهما بالأخرى حيث كانت دموع الفرح تنساب على وجناتهما. وفي النهاية دخلتا البيج متشابكتى الذراعين. في الداخل كانت تنتظر بنات نوللى الثلاث، وقد رحبن بالعمة كوري بشغف لعودتها إلى الوطن. سرن جميعهن يتجولن في كل أنحاء البيج. في البداية، دخلن حجرة نوم كوري، كان جب الملائكة مازال مختفياً خلف دولاب الملابس والمكتبة. لم يتمكن الجستابو من اكتشاف الباب المؤدي إليها على الإطلاق. ثم دخلوا حجرة نوم العمة جانز، كان الكرسي الذي كانت تجلس عليه أمهم لكي تطل على الشارع منذ سنوات عديدة مضت، مازال موجوداً بجوار الشباك. في المطبخ، كان كتاب الطهى المفضل لبتسى مازال موجوداً بجوار الموقد. وفي دكان الساعات كانت نظارة كاسبرتن بووم مازالت موضوعة على نضد العمل في نفس المكان الذي كان يضعها فيه.

كانت كل الأشياء ماتزال في مكانها في البيج، ولكن الناس الذين جلبوها لم يكونوا موجودين. بينما كانت كوري تتجول في أنحاء البيت، كانت السعادة والحزن يمتزجان بداخلها. كانت كوري سعيدة للحصول على الحرية، وسعيدة لعودتها إلى هارلم في البيج، ولكنها كانت حزينة لأن بتسي وأباها لم يكونا هناك ولن يكونا هناك مرة أخرى.

قامت نوللي وكوري والبنات بتنظيف البيت حتى أصبح بلا شائبة. ولكن على أي حال، فالأحلام والشوق للعودة إلى البيج لم يعد له نفس المذاق كما كان في الماضي. وحتى بعد أن استأنفت مهنة تصليح الساعات، كانت تجلس لاستبدال الزبنرك الرئيسي في الساعة، ولكن لم تكن قادرة على التركيز في العمل. كانت طوال الوقت تشعر كما لو كانت يجب أن تكون في مكان آخر تؤدي عملاً آخر.

على الرغم مما كانت تشعر به، خلال ربيع ١٩٤٥، حاولت جاهدة أن تمضي قدماً وتمضي في مسيرتها في الحياة كما كانت قبل غارة الجستابو. ولكن محاولاتها للعودة إلى الحالة الطبيعية أصبحت أكثر صعوبة بسبب حقيقة أن شمال هولندا كان لايزال تحت الأحتلال الألماني. كان هتلر قد سحب كل قوات الاحتلال من النرويج والدانمرك وبلجيكا وفرنسا، ولكنه لم يكن على استعداد بأي حال من الأحوال، أن يخفف من قبضته علي شمال هولندا. وقد ترك ذلك مواطني هارلم والمدن الشمالية الأخرى في وضع مؤلم. لم يكن لديهم طعام أو وقود أو مواصلات.

كـان المواطنون الهولنديون يموتون من الجوع والبرد وهم في داخل بيوتهم، بينما كـان الـناس في كـل أنحـاء أوروبا يحتفلون بتحريرهم من الاحتلال الألماني.

جـاء الربـيع، وكانـت كوري تلاحظ أن عدداً كبيراً من الناس الذيـن كانـت تعـرفهم قـد يئسوا من إمكانية البقاء على قيد الحياة، كانوا يائسـين تقريـباً كالمسـاجين الذيـن كانـت معهـم هـى وبتسـى في فـوت وراڤـنزبرك. وعـندما رأت مـا يحدث لهم، تذكرت كلمات بتسى: "علينا أن نخـبر الـناس أنـه لا توجـد هـوة أعمق من أن تصل إليها محبة الله". عـندما تذكـرت تلك الكلمات، علمت كوري ما كان يغيب عن حياتها. لم يكـن مفروضـاً أن تكـون في دكـان إصـلاح السـاعات. كـان الله يـريدها أن تخبر هؤلاء اليائسين عن محبة الله لهم.

بعـد أيـام، بـدأت كـوري تـتحدث في البـيوت والـتجمعات الكنسـية. كـان يصعب علـيها أن تعـايش الألم الذي اجتازت فيه. ولكن القصـص التي كانت ترويها عن نفسها وعن بتسى أعطت لكثير من الناس الشـجاعة والقـدرة عـلى مواصـلة المسـيرة. وبسبب ذلك، وبالرغم من ألمها النفسـي، عرفـت كـوري أنهـا لا تسـتطيع أن تكـف عـن الحديـث عـن اختبارها.

ثـم وجـدت أنـه في ١ مايو سنة ١٩٤٥، انتشر بسرعة خبر في كـل أنحـاء هولـندا يقـول أن أدولـف هتلر قد مات. كان الخبر الذي أذيع

رسمياً أنه قد مات وهو يقاتل العدو. ولكن العالم عرف فيما بعد أنه قد انتحر في غرفة محصنة تحت الأرض في برلين.

حبست هولندا كلها أنفاسها. لن تمر سوى بضعة أيام حتى يستسلم النازي ويتخلوا عن هولندا. وهذا ما حدث بالفعل. في يوم الثلاثاء ٨ مايو سنة ١٩٤٥، دخلت الدبابات الكندية إلى هارلم. ودقت أجراس كنيسة القديس بافو، وتجمع الناس في الشوارع.

كان على كوري أن تفعل شيئاً واحداً قبل الانضمام إلى الأخريات في الشارع. خلعت صورة والدها من فوق الحائط في المدخل وأنزلتها إلى دكان الساعات، ووضعتها بحب في الشباك الأمامي للدكان. ثم صعدت السلالم مرة أخرى وأحضرت الكتاب المقدس الخاص بالعائلة والذي كانت تقرأ منه كل صباح وكل مساء. فتحته على مزمور ٩١ ووضعته في الشباك. ثم أخذت أشرطة برتقالية اللون (اللون المفضل للعائلة الملكية الهولندية) ثم وضعتها حول صورة كاسبرتن بووم. قالت كوري لنفسها "الآن، فهو أيضاً يشاركنا الاحتفال بهذا اليوم العظيم" وعندما قالت ذلك تسللت من الباب الجانبي للبيج واختفت وسط الجماهير الهولندية التي تحتفل بهذه المناسبة، مناسبة تحرر الشعب الهولندي،أخيراً من قبضة ألمانيا النازية.

الفصل الخامس عشر
المساعدة، والرجاء، والشفاء

مع أن الحرب كانت قد انتهت، لم تعد الأشياء لما كانت عليه في هولندا. لقد تم القضاء تماماً على روتين الحياة المعتاد. فقدت كل عائلة في البلاد تقريباً إبناً أو إبن أخ. وبالنسبة لعائلة تن بووم، فإن الكابوس الذي عايشوه لم ينته بانتهاء الحرب. في سنة ١٩٤٦، مات ويليم تن بووم، دون أن يشفى تماماً من السل الرئوي الذي أصيب به اثناء سجنه على يد النازي. مات دون أن يعرف ما حدث لابنه الأكبر، كيك. لم تعلم تاين سوى بعد مرور عدة سنوات أن ابنها قد مات في معسكر اعتقال (بيرجن بيلسن) في ألمانيا.

بدأت المعلومات ترد ببطء عن وحشية وفظاعة أدولف هتلر والنازي. لقد كان أردأ من أي شخص آخر تصورته. من بين الـ ١١٥,٠٠٠ يهودي في هولندا قبل الحرب، عاش فقط ٨٥٠٠ شخص. وفي كل أنحاء أوروبا مات ما بين ١٨ مليون و٢٦ مليون شخص في معسكرات الاعتقال. كان من الصعب الحصول على العدد الدقيق لأن كثيرين من الناس قد اختفوا دون أن يتركوا أثراً. ولكن بعض الصور التي أخذها المصورون لما وجده الحلفاء عندما دخلوا معسكرات الاعتقال كانت مريعة

إلى درجـة أنهـا لم تنشـر عـلى الإطلاق. وبإضافة كل الجنود الذين قتلوا، تكـون الحـرب العالمية الثانية قد قضت على خمسين مليون نسمة ودمرت بعضاً من أجمل مدن العالم.

قـبل موتـه، استطاع ويليم أن يحدد مكان القبر الذي دفن فيه كاسـبر تـن بـووم في "شـينفينجين". أعادت عائلة تن بووم دفن رفاته في مقـبرة الحرب في "لونين"، جنباً إلى جنب مع مئات من الرجـال الشجعان الآخـرين والنسـاء اللواتي، بعد أن عملن مع الجماعات السرية، قد قدمن حـياتهن لأجـل بـني وطـنهم. لقـد وجد رجل هارلم "العجوز الكبير" مقر الـراحة الـذي يسـتحقه. بكـت كـوري أثـناء خدمـة تدشين قبره الجديد. كانت تبكي لأن جسد بتسي لن يرقد بجواره.

ظلـت مـنهمكة في إلقـاء الأحاديـث بعـد الحـرب. كان الناس بحاجـة ماسـة، أكـثر مـن ذي قـبل لسـماع كيفـية الصـفح عـن الآخـرين ومواصـلة مسـيرة حياتهم كالمعتاد. كانت مهتمة بنوع خاص بالناس الذين تم أسـرهم مثـلها عـلى يـد الـنازي والذيـن شـهدوا أهوالاً لا يمكن التعبير عـنها. كـان عـدد كـبير مـنهم مرتعـبين لهـول ما رأوه وقد وجدوا أنه من الصعوبة بمكان أن يندمجوا مع الآخرين وأن يعيشوا حياة عادية.

خـلال هـذا الوقـت، كـان هـناك اجـتماع خاص تحدثت فيه كـوري ولم تنسـه أبداً. كان كغيره كالعديد من الاجتماعات الأخرى، حتى قرب النهاية، عندما جاءت إليها إمرأة ترتدي أفضل الثياب.

قالت المرأة: "هالو. أنا مسز "بيرينس دى هان" وأعيش في "بلومندال"

أومأت كوري. كانت تعرف المنطقة جيداً. منذ سنوات مضت كانت مشتركة في نادي للمشي للقيام بالمشي حول حدائق المنازل الفخمة هناك.

سألتها مسز دي هان برفق: "هل لازلتِ تعيشين في ذلك المنزل الصغير الذي يوجد به دكان الساعات في الطابق السفلى؟"

قطبت كوري الجبين، وهى تتساءل إن كانت تعرف هذه المرأة أم لا.

أجابت: "نعم أسكن هناك. كيف عرفتِ ذلك؟"

ابتسمت مسز دى هان. قالت: "كانت أمي تخبرني قصصاً عن زياراتها هناك. كانت تذهب لتزور إمرأة كانت زوجة لأحد الرعاة".

ابتسمت كوري: "العمة جانز. كانت دائماً تشرك معها سيدات للقيام بالأعمال الخيرية".

أومأت مسز دى هان وقالت: "نعم، أمي كانت مهتمة بالأعمال الخيرية، كذلك أنا. عندما كنت تتحدثين عن الحاجة لمكان للذين أطلق سراحهم من سجون النازي ومعسكرات الاعتقال ليذهبوا إليها لاستعادة صحتهم، كان لدى دافع قوى يدفعني للحديث إليك. زوجي ميت، ولكن لدينا خمسة أبناء. كان الخمسة يعملون مع التنظيمات

السرية، وقد قبض على واحد منهم، وهو جان، وتم ترحيله إلى ألمانيا. ولم نسمع كلمة منه منذ ذلك الحين".

"ولذا تريدين مني أن أصلي لأجله، يا مسز دى هان؟ يشرفني أن أفعل ذلك"، قالت كوري، محاولة أن تتوقع مقصد مسز ذى هان من الحديث.

قالت بابتسامة: "كلا، ليس هذا هو القصد. عندما كنت استمع إليك، شعرت أن الله يخبرني شيئين. أولاً، إن جان سوف يكون بخير وسوف يعود للمنزل قريباً، ثانياً، عندما يأتي إلى المنزل يجب أن اسلم بيتي إليك لأجل ما تقومين به من أعمال خيرية للتعبير عن شكري وامتناني".

ظلت كوري لا تعرف ما تقوله لحظة من الزمان. كان يبدو أن مسز دى هان كانت تعتقد أنها تعقد صفقة مع الله لاسترداد ابنها. لم تكن كوري تريد أن تكون طرفاً في هذه الصفقة. كيف يكون الحال لو لم يرجع ابنها؟ فالذين يعودون ممن يعملون في التنظيمات السرية قليلون. حاولت بسرعة أن تفكر في طريقة ما لرفض طلب مسز دى هان بلباقة.

قالت كوري: "هذا كرم منك. ولكن في رافنزبرك، قبل أن تموت بتسى بوقت قصير، وصفت لي ما بداخل أحد المنازل. وكانت تهتم بالتفاصيل الدقيقة. وأنا أثق في ذكراتها وبأني يجب أن أبذل جهدي لأجد منزلاً كالمنزل الذي وصفته". توقفت كوري لتستعيد وصف

بتسى. "المنزل الذي وصفته كان به أرضيات من الخشب المرصع، وكان يوجد به تماثيل من الرخام موضوعة في فجوات صغيرة بطول الحوائط. وكان بئر السلم متسعاً، والنوافذ عالية وكانت تمتد حتى السقف.."

توقفت كوري في منتصف الجملة عندما رأت الابتسامة فوق وجه مسز دى هان.

قالت مسز دى هان: "لقد اتضح كل شئ. ارى إنك جئت إلى بيتي من قبل. لا استطيع الانتظار حتى يعود جان إلى البيت!".

دهشت كوري لردها، ولكنها لم تكن مندهشة كما حدث عندما عاد ابن مسز دى هان جان إلى المنزل حياً وبصحة جيدة بعد عدة أيام قليلة. ولا شئ يعدل دهشتها عندما تجولت في منزل دى هان في وقت لاحق ذلك الأسبوع. كان يشبه بالضبط المنزل الذي وصفته بتسى لها في رافنزبريك. كانت كوري قد اعتقدت انه نظراً للتشويش العقلي الذي كانت عليه بتسى، فقد كانت تصف ما تعتقد أنه السماء، ولكنها في الحقيقة كانت تصف ما بداخل منزل مسز دى هان. أصيبت كوري بالدهشة البالغة عندما مشت على الخشب المرصع وتطلعت إلى التماثيل الموضوعة في فجوات في الجوائط. كان مكاناً جميلاً، مكاناً رائعاً يجد فيه الناس الراحة ويتغلبون على الصدمة الناتجة من اعتقالهم كأسرى في معسكرات الاعتقال.

صدقت مسز دى هان في كلامها، وسلمت لكوري المنزل المكون من ٥٦ حجرة. وفي خلال شهر، امتلأ المنزل بالناس، بعضهم كان قد أطلق سراحه للتو من معسكرات الاعتقال. وبعضهم كان من اليهود الذين قضوا الخمس سنوات الماضية مختبئين في البدرومات أو الغرف التي فوق السطح. وآخرون كانوا هولنديين ضربت بيوتهم بالقنابل ولم يكن لديهم مكان يذهبون إليه. والبعض الآخر كانوا أيتاماً قضى على عائلاتهم بأكملها على يد الألمان.

جاء كثير من الناس ليقدموا يد المساعدة لكوري. جاء أطباء وممرضات وبستانيون ومدبرات منازل. الجميع جاءوا ليقدموا المساعدة. ولكن العديدين الذين أتوا لتقديم المساعدة اعتقدوا أن كوري يمكن أن تدير البيت بحزم أكثر. على سبيل المثال، في الساعة الثالثة صباحاً، نهض رجل ومشى إلى هارلم. كان قد قضى مدة كبيرة من الحرب في معسكر اعتقال، وكانت كوري تعرف أنه كان بحاجة لأن يعرف أنه قد أصبح حراً ليذهب إلى أي مكان في أي وقت. اعتقد بعض الناس أن الأبواب يجب أن تغلق بالليل حتى لا يستطيع أن يخرج. ومع ذلك رفضت كوري أن تغلق أي شئ. لقد رات العديد من الأقفال والأسلاك الشائكة التي ظلت تحاصرها طوال العمر، ولذا كان عدد كبير من الناس يأتون إليها طلباً للمساعدة في بيت دى هان.

كانـت الأكـلات تقـدم في أي وقت يريد الناس أن يأكلوا فيه. اقترحـت بعـض المرضـات أن تحـتفظ كـوري بأجراس وبأوقات منضبطة لتـناول الوجـبات، ولكـن كـوري لم تسـتطع أن تفعـل ذلـك. كانت حياة الـناس الذيـن كانـت تسـاعدهم منضـبطة تماماً عن طريق النفير والأجراس لمـدة طويلـة، حـتى انهـم، مثـلها، لم يـريدوا أن يسـمعوا أياً منها ثانية. تذكـرت كـوري كـم كـان ذهابها إلى المستشفى في جرونينجين شيئاً رائعاً. تذكـرت رائحـة الملاءات النظيفة وعطف المرضات، وموسيقى باخ تعزف في الراديو، والأرفف المليئة بالكتب.

كـان العطف والجمال، من أكثر الأشياء التي كان يحتاج إليها الذيـن بقـوا عـلى قيد الحياة، وقد فعلت كوري كل ما في وسعها لتقديمها إلى الناس الذين أتوا إليها طلباً للمساعدة.

وجـد كـثير مـن الناس الشفاء والسلام في بيت دى هان، ولكن كـان هـناك نفـر مـن الـناس لم يستطيعوا أن يجدوا السلام في أي مكان في هولـندا. كـان يـبدو أنه لا أحد يريد مساعدتهم. لقد كانوا الرجال والنساء الذيـن شكلوا جزءاً من الرابطة القومية الاشتراكية (NSB) التي ساعدت النازي في السيطرة على هولندا. بمجرد أن وضعت الحرب أوزارها. أنقلب عليهم جيرانهـم، مظهـرين كـل الغضـب والكراهية التي لم يكن مسموحاً لهـم التعـبير عـنهما طـيلة خمس سنوات. ألقى بأعضاء الـ (NSB) من بـيوتهم وبصـق علـيهم عـندما كـانوا يظهـرون علـناً. كانـت كـوري تشعر

بالأسف لهم ودعت العديد منهم لكي يعيشوا في بيت دى هان في بلومندال. وقد اتضح بعد ذلك أن ذلك كان كارثة. فالذين فقدوا أفراداً من عائلاتهم واصدقاءهم لأن أعضاء الـ NSB خانوهم ووشوا بهم لم يرحبوا بهم في البيت. كان هناك الكثير من الجدل، وفي النهاية، اضطرت كوري أن تبطل فكرة إجبارهم على العيش معاً.

فكرت كوري في فكرة أخرى. تذكرت الليلة التي قبض فيها على والدها وكلماته التي قالها لضابط النازي الذي منحه حريته. "في صباح الغد سوف أفتح أبوابي لأي واحد يكون في حاجة لمساعدتي". كان كاسبرتن بووم على استعداد للسماح لأعضاء الـ NSB بالدخول إلى بيته. كانت كوري متأكدة من ذلك. ولذا فقد سمحت لأولئك الذين كانوا في الرابطة القومية الاستراكية بأن يستولوا على البيج ويعيشوا فيه. ذهب ستة أو سبعة منهم في وقت واحد ليعيشوا في بيت رجل خانه واحد من أعضاء جماعتهم: هناك وجدوا العون والشفاء.

وبالتدريج سار شعب بلومندال على نهج كوري وبدأوا يمدون ايديهم لبني وطنهم من الرجال والنساء الذين يعيشون في البيج. ولكن في الوقت الذي كانت كوري تحض فيه الناس على العفو عن الآخرين، خاصة أولئك الذين كانوا أعضاء في الـ NSB كانت كوري تصارع مع أفكارها ومشاعرها. صديق قديم من التنظيمات السرية كان قد أخبرها عن المكان الذي يعيش فيه جان فوجل. كان جان فوجل هو الرجل الذي

زارها في الليلة السابقة للغارة، يطلب منها ٦٠٠ جلدر. كانت كوري تعلم أنها يجب أن تغفر له. أخيراً، في يوم ما، شعرت إنها قوية بالدرجة الكافية لاخراج قلم وورقة وبدأت تكتب له خطاباً. "سمعت أنك الرجل الذي وشى بعائلتي وبي. ونتيجة لذلك، أقمت في معسكر اعتقال لمدة عشرة شهور. ومات والدي في السجن بعد ذلك بتسعة أيام بعد القبض عليه. وماتت أختي في معسكر اعتقال رافنزبريك.."

بذلت كوري جهداً كبيراً لتكتب الخطاب. "يا الله ليس لدي قوة على أن أغفر لهذا الرجل، من فضلك هبني قوتك" كانت تصلي وهى تكتب. وفي النهاية، أتمت الخطاب، قائلة لجان فوجل إنها صفحت عن الذنب الرهيب الذي ارتكبه ضد عائلة تن بووم وحثته على أن يطلب من الله أن يغفر له أيضاً.

في سنة ١٩٤٧، أراد عدد كبير من الناس أن يقدموا المساعدة بالعمل في بيت دى هان في بلومندال حتى تتفرغ كوري للكتابة والسفر. وفي خلال ذلك الوقت كتبت أول كتاب لها "سجين ولكن.." كتب معظم الكتاب في ساعات الصباح الأولى. بعد إطلاق سراحها بعامين من رافنزبريك. كانت كوري لا تزال تستيقظ في الرابعة والنصف كل صباح، في الوقت الذي كان يستيقظ فيه المساجين لحضور نداء الأسماء. حكى الكتاب قصة الوقت الذي قضته كوري وبتسى في فوت ورافنزبريك. كانت رسالة الكتاب أن الله يريد من الناس أن يصفحوا عن أولئك الذين أساءوا

إليهم. بعد كتابة الخطاب الصعب لجان فوجل لتعرب فيه عن صفحها عنه، اعتقدت كوري أنها حولت رسالة كتابها إلى حقيقة ماثلة أمام الجميع حتى سافرت إلى ألمانيا لإلقاء الأحاديث.

في كنيسة كبيرة في ميونيخ، تكلمت عن كيفية أن الله يطلب من الناس أن يغفروا لبعضهم البعض، وكيف أنه، عن طريق محبته، يمكنهم أن يكونوا كالأخوة والأخوات، بغض النظر عن جنسياتهم. عندما انتهت كوري من الحديث، تقدم عدد كبير من الناس ليشكروها لأجل ما قالته صافحتهم وشكرتهم لأجل المجئ والاستماع. ثم عندما أصبحت الكنيسة خاوية تقريباً، لمحت كوري رجلاً طويلاً له شعر أشقر يشق طريقه نحوها. في لمح البصر، تذكرت ما حدث في مبنى الحمامات في رافنزبريك. هذا الرجل، وهو حارس سابق، كان يقف بجوار الباب، واضعاً يده على بندقيته، وهو يرقب النساء السجينات، ويأمرهن بالتجرد من ملابسهن. كانت كوري تقف بلا حراك وهو يقترب منها. سمعت صوته كما لو كان بعيداً عنها بمليون ميل. قال لها: "أشكرك لأجل حديثك. إنه لشئ رائع أن يعرف المرء أن الله يغفر كل خطايانا، أليس كذلك؟".

نظرت كوري إلى الرجل الواقف أمامها. وبدلاً من رؤية وجهه المبتسم، رأت وجهي بتسي وأبيها. مد الرجل يده ليصافح كوري، ولما

فعل ذلك، ملأت الكراهية قلبها. كانت لا تريد ولم تستطع أن ترفع يدها لتصافحه.

صلت في سرها قائلة: "يا الله، ساعدني لأعيش رسالتي"

ولما صلت تلك الكلمات، سرت في جسدها رعشة قوية كما تفعل الكهرباء، وامتد ذراعها كما لو لم يكن لها سيطرة عليه، وصافحت يد الرجل. وعندما فعلت ذلك، ذابت كل الكراهية التي شعرت بها، وعلمت أنها غفرت له.

قالت وهي تعني كل كلمة: "نعم، من الرائع أن نعرف أن الله يغفر خطايانا".

في وقت لاحق في ألمانيا، جاء رجل آخر ليرى كوري. كان قد سمع عن العمل. في بيت دى هان في بلومنداال. كان عضواً في الكنيسة اللوثرية الألمانية، وأخبر كوري أن الحكومة الألمانية الجديدة كانت تريد أن تفتتح الكنيسة منزلاً مشابهاً للألمان الذين دمرتهم الحرب ولايزالون يكافحون للتكيف مع الحياة المعتادة. طلب من كوري إن كان من الممكن أن تساعدهم للوصول إلى ذلك الهدف. اعتقدت كوري إنها فكرة جيدة، حتى سمعت عن المكان الذي سوف يقام فيه ـ في معسكر اعتقال سابق يدعى دار مستادت Darmstadt لم تكن تعتقد أن لديها قدرة على الدخول إلى معسكر اعتقال آخر، على الرغم أنه كان مغلقاً لمدة عامين، دع عنك أنه سوف يتحول إلى مكان للاستشفاء. ومع ذلك، رنت كلمات

بتسى في ذهنها: "علينا أن نخبرهم بأنه لا توجد هوة لا تستطيع محبة الله أن تصل إليها". على الرغم من مشاعرها، عملت كوري ما كان عليها أن تفعله، وبدأت في تحويل دار مستادت إلى مكان للرجاء والشفاء.

مضت السنوات سريعاً بالنسبة لكوري. في عام ١٩٥٣، ماتت نوللى، تاركة كوري تشعر بوحدة قاتلة. كانت كوري آخر من بقى على قيد الحياة من عائلة كاسبرتن بووم. أتيحت لها المزيد من الفرص للتحدث وتوصيل رسالتها البسيطة. وقد شملت زياراتها ما يزيد على ٦٠ دولة بما في ذلك كوبا، وتايوان، وإسرائيل، ونيوزلندا. في عام ١٩٥٦، قامت بإحدى رحلاتها التبشيرية مع الدكتور بوب بيرس، مؤسس "الرؤية العالمية" World Vision كانا قد انتهيا لتوهما من سلسلة اجتماعات في تايوان عندما قدم بوب اقتراحاً سخيفاً. قال لها" لماذا لا تلتقين بالملكة. ولهلمينا ملكة هولندا؟" ضحكت كوري. كانت تعلم أنه بما أن بوب بيرس أمريكي، فهو لم يفهم أن الهولندي العادي لا يأخذ ميعاداً لرؤية الملكة".

قالت له: "إن الأمر ليس بهذه البساطة"

أجاب بوب بيرس: "حسناً، صل لأجله وسوف ترين ما يحدث"

وافقت كوري على عمل ذلك، ولكنها علمت أنها لم تفعل شيئاً غير عادي في هولندا. كان الآلاف من الشعب الهولندي شجعاناً كما

كانت هى، وقد عانى البعض بأكثر مما عانت هى. ومع ذلك، فانها سوف تصلي لأجل هذا الأمر.

عندما رجعت كوري إلى هولندا، أرسلت خطاباً إلى ولهيملينا، والتي أسمت نفسها وقتئذ الأميرة ولهيلمينا لأنها تنازلت عن العرش حتى تصبح إبنتها جوليانا ملكة. بعد ثلاثة أيام، كانت السيارة الملكية تقف خارج منزل كوري تنتظر كوري لتركبها. جلست كوري مرتعبة طوال الطريق إلى حيث يقع القصر الملكي. أصبحت كوري والأميرة ويلهملينا صديقتين حميمتين، ودعت الأميرة كوري لتأتي ثانية لتبادل الحديث معها. أخبرتها كوري عن كل تفاصيل حياتها وكيف أعطاها الله رسالة الغفران للعالم. وأخبرت الأميرة ويلهميلنا أيضاً عن أبيها وكيف أنه كان يصلي لأجلها كل صباح طوال عمره ـ وكيف أنه كان يحب أن يعرف أن ابنته الصغرى كانت تجلس بالفعل في القصر الملكي وتتحدث مع ولهملينا عن محبة الله!.

عندما أصبحت ماري أكبر سناً، كان من الصعب عليها أن تسافر لوحدها، ولذا فقد انضمت إليها معاونة هى كوني فان هو جستراتن. استمرتا تجوبان العالم سوياً، حيث كانت كوري تعلن رسالتها لكل من يستمع إليها.

في إحدى رحلاتها إلى الولايات المتحدة، تقابلت كوري مع كاتبين موهوبين، جون واليزابيث شيريل، اللذان استمعا إلى قصتها وقرآ

كتابها "سجن ولكن..." سأل شيريل وزوجته كوري إذا كان بإمكانهما أن يشتركا معها في تأليف كتاب يحكي كل قصة عائلة تن بووم أثناء الاحتلال الألماني لهولندا. وافقت كوري، وفي سنة ١٩٧١، تم نشر "المخبأ".

حقق الكتاب نجاحاً منقطع النظير، وبيع منه ما يزيد على ٢ مليون نسخة. فجأة اصبحت كوري شخصية مشهورة بين المسيحيين في كل أنحاء العالم. ومع أنها اكتشفت حقيقة ما تفرضه الشهرة من صعوبات، إلا أنها كانت شاكرة لأن الشهرة ساعدتها لنشر رسالتها إلى آفاق أرحب. في كل مكان كنت تذهب إليه، كانت تأخذ صندوقاً من كتبها لتوزعه على الناس، كل أنواع الناس. في إحدى المطارات، كانت تتجاذب أطراف الحديث مع حمال المطار فتقول له "إني أراهن أن هذا المطار مألوف لديك حقاً وأنك تعرف كل ركن فيه" فيرد عليها الحمال بالإيجاب، وهو يفخر بأنها قد لاحظت ذلك. فتقول له "حسناً، هو رائع. ولكن الأهم حقاً أن تعرف الطريق إلى السماء. هل تعرفه؟" ثم تسحب أحد كتبها، وتوقع عليه، وتسلمه للحمال بزهو كبير"، ثم تقول له "خذ، إقرأ هذا، وإذا كانت لديك أي أسئلة، أكتب لي" وكانت تضع بطاقة مكتوباً عليها عنوانها في داخل الكتاب.

وعندما كانت تجلس في كرسيها في الطائرة، كانت توقف مضيفة جوية. وتسلمها نسختين من كتابها، إحداهما لتحتفظ به

والاخرى لتعطيها للطيار، فتقول لها: "هل تسمحين بإعطاء هذه النسخة للطيار؟".

منذ وقت نشر "المخبأ"، كانت كوري نادراً ما تعود إلى هولندا. كانت تنام في سرير مختلف كل ليلة تقريباً، لأنها كانت منهمكة في الوفاء بمتطلبات مواعيد رحلاتها. ومع ذلك، ففي سنة ١٩٧٤، كان عليها أن تعود إلى هارلم. فقد تحولت قصة "المخبأ" إلى فيلم سينمائي، كان يصور في هولندا.

أخذت كوري الممثلين وطاقم العاملين في الفيلم في زيارة للبيج. اقتادتهم بطول شارع بارتيلجوريسترات واتجهت بهم إلى الباب الأخضر الشهير للبيج. فتحت الباب ودخلت. كان البيج لايزال مليئاً بذكريات أمها وأبيها وبتسي. وعندما أشارت إلى الممثلين والعاملين بالدخول، توقفت في سيرها. كانت هناك ضوضاء صادرة من الأدوار العليا. أشارت إلى الآخرين بالبقاء بالدور السفلي. وصعدت هي السلالم لتستطلع الأمر. إزدادت الضوضاء حدة وهي تصعد. كانت صادرة من حجرة نومها القديمة في الطابق الثالث، وكان الصوت عبارة عن تراتيل دينية باللغة العبرية. كانت نوعاً من الإنشاء الديني العالي الصوت والحزين في نفس الوقت علمت كوري أن الصوت يمكن أن يكون صوت شخص واحد، هو يوسي!.

مشت على أطراف أصابع قدميها حتى باب حجرة نومها ونظرت إلى الداخل. وجدت هناك جنباً إلى جنب يوسى وهانز بولى. كان يوسى ينشد، وهانز يستمع وعيناه مغلقتان. عندما انتهيا، دخلت كوري الحجرة. تعانق الثلاثة معاً بحرارة.

"ماذا تفعلان هنا؟" سألتهما أخيراً.

قال يوسى: "لقد مضت ثلاثين سنة منذ أن كنا مختبئين هنا"، وهو يشير نحو جب الملائكة. "عندما كنا جالسين هناك نتساءل ساعة وراء الأخرى إن كان النازي سيقبضون علينا، تعهدت أمام الله. قلت له إنه إن أبقاني على قيد الحياة، سوف أرجع إلى هذا المكان لأنشد له أناشيد الحمد بأعلى الأصوات. ولم أنج أنا فقط، ولكن زوجتي وأبنائي الثلاثة أيضاً بقوا على قيد الحياة ونجوا من الموت. نحن العائلة اليهودية الوحيدة التي أعرف إنها بقيت على قيد الحياة دون أن تُمس بأذى". تهرج صوته، ثم مضى يقول: "واليوم قد جئت لأنشد".

ابتسمت كوري. كان يود أبوها لو سمع صوت قائد الترتيل وهو يردد تراتيله في البيج مرة أخرى.

أخيراً، نزل ثلاثتهم السلالم. كان المثلون وطاقم العاملين ينتظرون بفارغ الصبر في دكان الساعات لكي يستمعوا لتقرير لما حدث من ضوضاء في الطابق العلوي. قدمت كوري يوسى وهانز إلى المثلين، والذين

أمطروهما بوابل من الأسئلة عن اختباراتهما وهما يختبئان في البيج أثناء الحرب.

استمرت كوري تستأنف أسفارها حول العالم، لتوصيل رسالة المحبة والغفران. كانت تشعر من وقت لآخر أنه قد حان الوقت بالنسبة لها لكي تستقر وتحيا حياة هادئة، ولكنها كانت تتذكر عندئذ كلمات بتسى: "علينا أن نخبرهم بأنه لا توجد هوة أعمق من أن تصل إليها محبة الله" كلما كانت كوري تسمع تلك الكلمات تدوى في أسماعها، كانت تعلم أن عليها أن تواصل المسيرة.

في سنة ١٩٧٦، وفي سن الرابعة والثمانين، كانت كوري لاتزال قوية. قامت هى ومساعدتها بجولة في ١٨ مدينة بالولايات المتحدة استغرقت سبعة شهور.

ولكن في النهاية، فإن بللى جراهام الذي أصبح صديقاً لها، أقنعها بأنها يجب أن تهدأ قليلاً وتوقف إيقاعها المحموم، الذي يكفي لكي يبلى إمرأة في منتصف عمرها!. ولذا ففي سنة ١٩٧٧، انتقلت كوري ومساعدتها الجديدة، بام روزويل، إلى بيت ريفي في ضاحية بلاكنيتا الواقعة في إقليم أورانج بكاليفورتيا. ربما وافقت كوري على الإقامة في مكان واحد، ولكنها لم تقل شيئاً عن التوقف عن العمل! أعلنت لبام أحدث خطة لها. إنها سوف تنتج خمسة كتب جديدة وخمسة أفلام تعليمية في أقل من سنتين.

بـبلوغ كـوري سـن السـابعة والثمانين، أكملت كوري خطتها. ولكـن المجهـود والطاقـة المطلوبـين للقـيام بذلـك كان له تأثير شديد على جسدها.

في صـباح أحـد الأيـام بعد ذلك بوقت قصير، استيقظت كوري لـتجد أنهـا لا تسـتطيع أن تـتحرك عـلى الإطـلاق. وإذا كانـت تـرقد في الفراش، علمت ما حدث. كانت تعاني من نوبة قلبية شديدة، كما حدث تمامـاً لأمهـا مـنذ سـتين سنة. في الـبداية، ظـن الجميع أن كوري سوف تموت، ولكنها لم تمت. تعافت قليلاً، ولكنها لم تستطع الكلام. فاجأتها نوبـة ثانـية وثالـثة. انتقلت صديقتها الهولندية القديمة "لوت ريمررنجر" إلى البيـت لمساعدة "بـام روزويل" لتعتني بها. كانتا تعزفان موسيقى باخ وبـتهوفن عـلى أجهزة ستريو وكانتا تتبادلان القراءة لكوري. وكانتا تقرآن أيضـاً بعـض الكتـب لهـا. أثـناء قـراءتها، كانـت كـوري تسـتعيد ذكرى طفولـتها السـعيدة مع بتسى، وويليم، ونوللى. كانت تستعيد ذكرى سماع موسـيقى الأرغـن الجمـيلة لبـيتر وتسـتعيد ذكـرى أمها وهى تقوم بأعمال الـتطريز. تذكـرت أباهـا وهـو يجلـس في كرسيه المفضل واستعادت ذكرى فـرحة الجـرى وسـط الكثـبان الرملـية مـع البنات في نادي المثلث. كانت تبتسـم وتومـئ برأسها. يا لها من حياة رائعة تلك التي كانت تحياها. إن تلـك الـتجارب الـتي مـرت بهـا هـى الـتي صنعت شهرتها، وكان يمكن

لكتبها وأفلامها أن تجعلها غنية لو لم تكن قد وهبت كل أموالها تقريباً لأغراض عديدة.

اتبعت كوري بأمانة النصيحة التي قدمتها بتسى لها منذ ٣٣ سنة مضت. لقد قضت بقية حياتها بعد إطلاق سراحها من رافنزبريك تحكي للناس أنه لا توجد هوة لا تستطيع محبة الله أن تصل إليها. وأخيراً، فإن المرأة التي عاشت لكي تخبر الآخرين عن المحبة والغفران، ماتت في هدوء على فراشها في ١٥ إبريل سنة ١٩٨٣، في عيد ميلادها الواحد والتسعين.

دفنت كوري تن بووم في لوس انجيليس، ونقش على شاهد قبرها تلك العبارة: "كوري تن بووم، ١٨٩٢-١٩٨٣، يسوع غالب منتصر".

المراجع

ten Boom, Corrie. In My Father`s House. Fleming H. Revell Company, 1976.

ten Boom, Corrie. Prison Letters. Fleming H. Revell Company, 1975.

ten Boom, Corrie, with Jamie Buckingham. Tramp for the Lord. Fleming H. Revell Company, 1974.

ten Boom, Corrie, with John and Elizabeth Sherrill. The Hiding Place. Fleming H. Revell Company, 1971.

Poley, Hans. Return to the Hiding place. Chariot Family Publishing, 1993.

Rosewell, Pamela. The five Silent Years of Corrie ten Boom. Zondervan publishing House, 1986.

Wellman, Sam. Corrie ten Boom: Heroine of Haarlem. Barbour and Company, 1985.

White Kathleen. Corrie ten Boom. Bethany House Publishers, 1983.

إصدارات مكتبة المنار

	الكتـــاب	السعر
١-	هل حقاً تكلم الله (طبعة ثانية)	٨,٠٠
٢-	جوني	٨,٠٠
٣-	انهض وحارب (نفذ)	٥,٠٠
٤-	لكي أربح (طبعة ثانية)	٥,٠٠
٥-	العلاقة الحميمة مع الله (نفذ)	٤,٠٠
٦-	رحلة في دروب الحياة	٤,٠٠
٧-	أعماق نفسي (طبعة ثانية)	١٠,٠٠
٨-	ترس الصلاة (نفذ)	٦,٠٠
٩-	لمسة رحمة لعالم جريح (نفذ)	٥,٠٠
١٠-	نسل إبراهيم (جـ ١)	٤,٠٠
١١-	نسل إبراهيم (جـ ٢)	٤,٠٠
١٢-	الحرب الروحية	٧,٠٠
١٣-	مع المسيح فوق الآلام	٣,٥٠
١٤-	روعة الحياة بالإيمان	٧,٠٠
١٥-	يشفي نفسي	٣,٠٠

١٦-	القيادة	٨,٠٠
١٧-	العهود السبعة	٨,٠٠
١٨-	كيف تنتصر على الخطية	٢,٥٠
١٩-	المحبة حينما تبدو مستحيلة	٥,٠٠
٢٠-	أين أجد الوقت	٦,٠٠
٢١-	اكتشاف المصير	٢,٥٠
٢٢-	العلاقات الصحيحة	٧,٠٠
٢٣-	سر القط الضاحك (أطفال)	١,٥٠
٢٤-	المسيح يحررك (كتيب)	٠,٧٥
٢٥-	أسرار النجاح الروحي	٦,٠٠
٢٦-	مصر المباركة	٧,٠٠
٢٧-	بالحقيقة أحرار	٨,٠٠
٢٨-	أسس خدمة الشفاء	٨,٠٠
٢٩-	حنان الآب	٢,٥٠
٣٠-	رؤية المدينة بعيني الله	٦,٠٠
٣١-	دعوة إلى حياة الطهر والنقاوة	٨,٠٠
٣٢-	لغات المحبة الخمس عند الأطفال	١٠,٠٠

٣٣-	بيلي جراهام	٥,٠٠
٣٤-	أخرج من مخبأك	١,٥٠
٣٥-	الديداخي - أي تعليم الرسل	٧,٠٠
٣٦-	الكنائس الشرقية وأوطانها جـ١	٨,٠٠
٣٧-	حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي	١٠,٠٠
٣٨-	التقليد الرسولي	٨,٠٠
٣٩-	الكنائس الشرقية القديمة جـ٣	٩,٠٠
٤٠-	سر البغبغاء الثرثار	١,٥٠
٤١-	المسيحيون الأوائل	١٠,٠٠
٤٢-	قصة ميلاد المسيح	١,٥٠
٤٣-	الانطلاقة	٦,٠٠
٤٤-	• **الأساس الكتابي للتربية في مرحلة الطفولة المبكرة** الكتيب الأول: دليل المعلم	
٤٥-	الكتيب الثاني: معرفة الله أبينا	
٤٦-	الكتيب الثالث: معرفة يسوع، الله معنا	
٤٧-	الكتيب الرابع: معرفة يسوع بواسطة الروح القدس	
٤٨-	الكتيب الخامس: التأديب الذي في البر (٥ كتب + ٣ شريط كاسيت + ٧ بوستر)	١٠٠,٠٠

٤٩-	نحو زواج أفضل	١٠,٠٠
٥٠-	المرشد إلى مجموعات الشركة الروحية	٦,٠٠
٥١-	إرشاد الصغار إلى الله	١٠,٠٠
٥٢-	إعادة بناء الحياة	١,٥٠
٥٣-	أشتاق إلى الله	١,٥٠
٥٤-	البحث عن السلام	٥,٠٠
٥٥-	أسرار وعجائب في إنجيل القديس مرقس	٤,٠٠
٥٦-	غيِّر عالمك بالصلاة	٦,٠٠
٥٧-	غريب عن المألوف	٣,٠٠
٥٨-	مناضل في سبيل الحرية ــ وليم ولبرفورس	
٥٩-	* أبطال المسيحية: في الماضي والحاضر هدسون تايلور ــ في قلب الصين	
٦٠-	* أبطال المسيحية: في الماضي والحاضر جورج موللر ــ الوصي على أيتام بريستول	
٦١-	* أبطال المسيحية: في الماضي والحاضر كوري تن بووم ــ حارسة جُب الملائكة	
٦٢-	ارعَ قلب طفلك	
٦٣-	آباء وأبناء	

قصص ملهمة لرجال ونساء استجابوا لدعوة الله.

فتاة أيرلندية ثرية تنقذ الأطفال في الهند؟ شابة إنجليزية تكرز بالإنجيل في الصين ؟
طيار أمريكي يخدم المرسلين في الإكوادور؟

سلسلة أبطال الإيمان : في الماضي والحاضر، تسرد القصص الواقعية المثيرة، الملهمة والمؤثرة لرجال ونساء عاديين حققت ثقتهم في الله إنجازات باهرة لملكوته ومجده.



كوري تن بووم

(١٨٩٢-١٩٨٣)

وخزت الأضواء الباهرة التي لا ترحم عيني كوري المسودتين وهى تدخل قسم الشرطة الهولندية في هارلم ، والخاضع لسيطرة الجستابو الألماني. كم كانت كلمات أبيها المسن صادقة ، هذه الكلمات التي قالها في تلك الأمسية الهادئة قبل اكتساح النازي لأراضي هولندا على يدي هتلر المجنون.

فقد قال: "سوف تغزو ألمانيا هولندا. وسوف تخسر المعركة. كان الله في عون جميع الذين لا يدعون باسم الله في هولندا"

فجأة فقدت كوري حياتها المنتظمة في وسط جنون الحرب .استطاعت هى وعائلتها وأناس لا حصر لهم من المواطنين الهولنديين أن يضحوا بكل شئ بشجاعة ليمد
لأولئك الذين كانوا معرضين لتنفيذ حكم الإعدام فيهم، في عالم فقد عقله .
تن بووم دليلاً حياً على التصميم والإيمان والصفح في وجه الوحشية والصعو
تصورها، وشهادة مذهلة لقوة الله المعضدة والمؤيدة.



